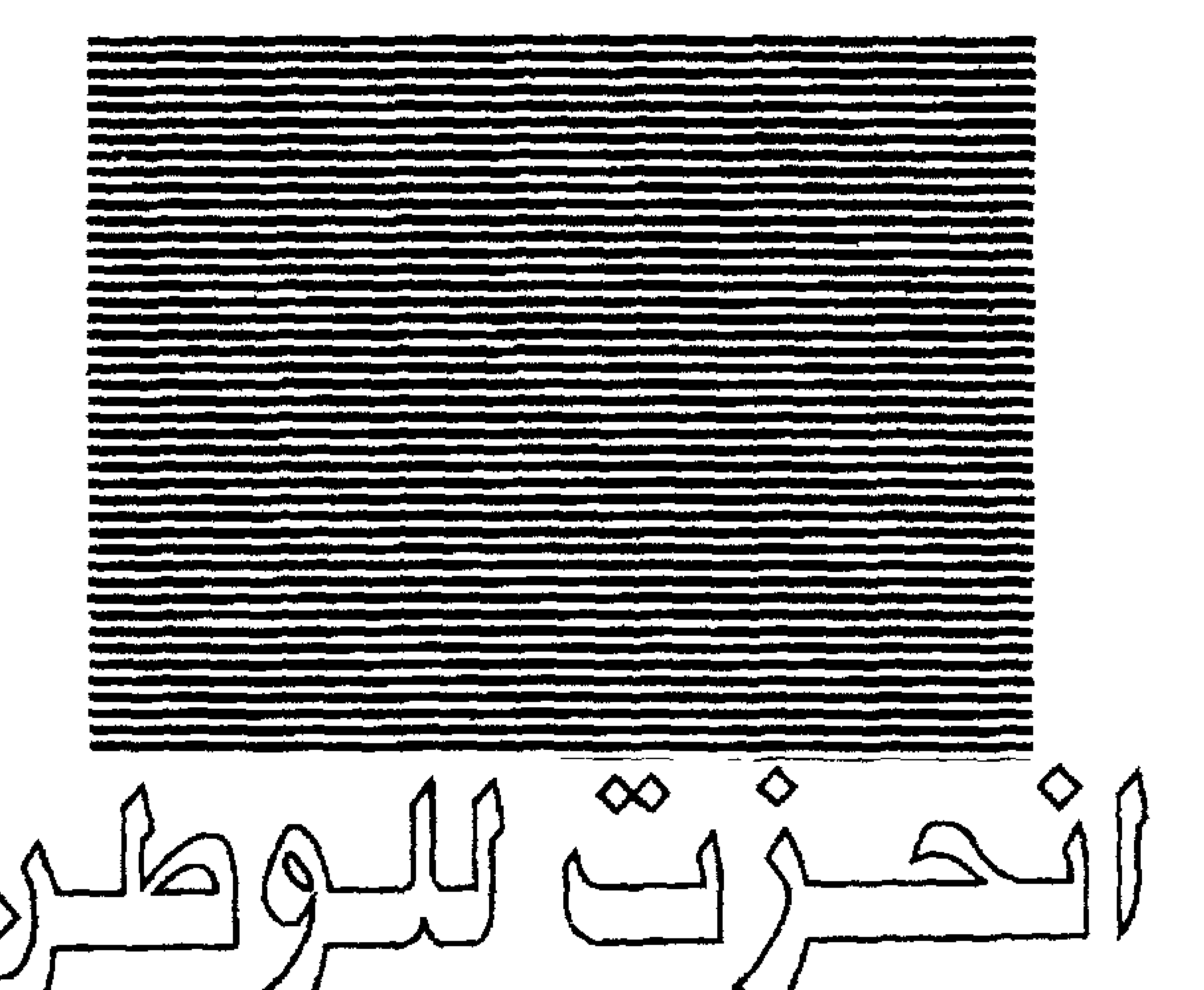
انحزت للوطن

شهادة من جيل الغضب



د. بهاء الدين شعبان



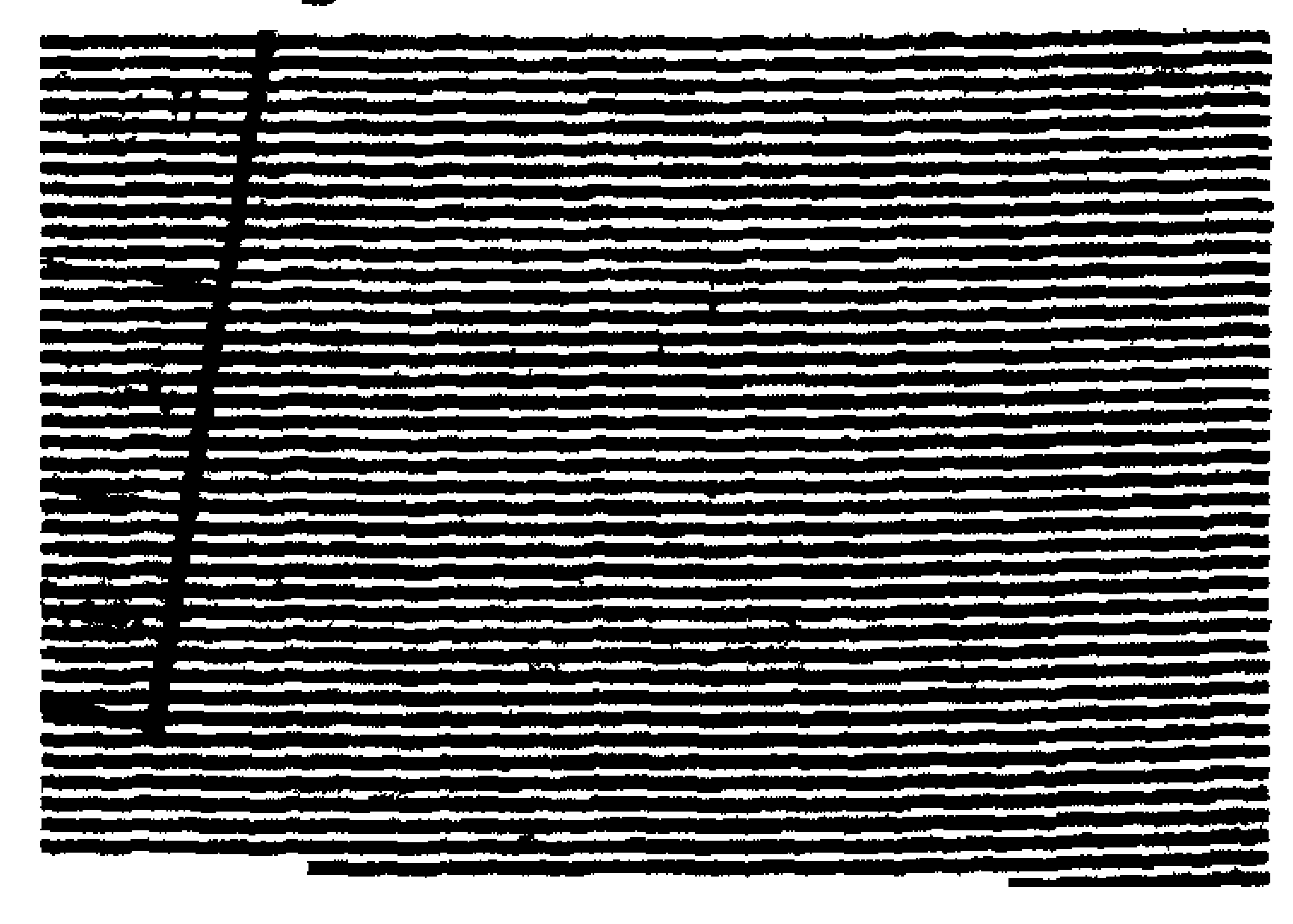
انحزت للوطن

شهادة من جيل الغضب

صفحات من تاريخ الحركة الوطنية الديمقراطية لطلاب مصر

(١٩٦٧ - ١٩٧٧)

- قضايا الماضي
- إشكاليات الحاضر
- تحديات المستقبل



الطبعة الأولى يناير ١٩٩٨

عنوان الكتاب : انحزت للوطن .. شهادة من جيل الغضب
تـأليـف : أحمد بهاء الدين شعبان

الناشر : مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر
٤ش ٩ب المعادى – ت: ٣٧٥٢٠٣٣
المدير العام : فـريـد زهـران
مسئول الطباعة : محمد سعيد
رقم الإيداع : ٢٥٥٥/٩٨
الترقيم الدولى I.S.B.N: 0 -82 -5652 -977

إهـــــــداء

إلى كل من ساهم، ولو عن بُعد، في هذه المسيرة التاريخية لجيل ثار على الهزيمة والخضوع، وأعلن تمرده من أجل الوطن والشعب، ودفع الثمن، ولا زال، دون أن يهادن أو يبيع قضيته.

وإلى مصر: المبتدأ ... والمنتهى

أحمد بهاء الدين شعبان

انتفاضة الطلبة المجيدة

أنا رحت القلعة وشفت ياسين
حواليه العسكر .. والزنازين
والشوم والبوم
وكلاب الروم
ياخسارة يا أزهار البساتين
عيطي يا بهيه
علي القوانين

*

والله زمان يا مصر .. كنا اتنين فاضلين من صحبة الستينيات . الشيخ إمام .. وأنا ، وفي مكتب المفتش في مبنى لاظوغلى الشهير قال البيه المفتش

- كفاره .. حمد الله ع السلامه .

ماحدش فينا رد . فاستأنف سيادته :

- أنا عارف إنكم خارجين من المعتقل واخدين على خاطركم !. لكن أحب اقول لكم إن التلات سنين دول مجرد شدة ودن !

ماحدش فينا رد ! .

- لكن ربنا برضه مايسيبش أهم اللى اعتقلوكم أصبحوا في المعتقل وانتو خارجين للحريه ومبروك .

ماحدش فينا رد ! .

- طبعا أنا جايبكم هنا عشان أنبهكم إن كل الألاضيش اللى كانوا حواليكم من تلات سنين .. خلاص !!

قلت له :

- ضلمتوها يعني ؟

قالي لي :

- تقريبا

وخرجنا في صمت . الشيخ إمام وأنا .. وقال الشيخ إمام :

- دي كده مصر بقت تخوف !

قلت له :

- واحنا عندنا إيه نخاف عليه يا إمَّه ؟!

قال لى :

- الناس يابو النجوم !

ماقدرتش أرد .. أو ماحبيتش ارد .. أو مالقيتش كلام أرد بيه .. وبالفعل وجدنا أنفسنا لوحدنا فى جوف بيت سى على الشعبينى .. بيتنا فى حوش آدم وذات أجمل صباح سمعنا اللى بينده من الحوش

- يا شيخ إمام .. يانجم
- مين ؟
- إحنا طلبة الجامعه !
- جامعة إيه ؟
- جامعه القاهره .
- أهلا وسهلا .
- إنت مبسوط كده وانت باصص علينا من فوق ؟!.
- طب اطلعوا .

وطلعوا .. وسمعنا منهم العجب .. خطفونا من وحدتنا وونسونا ، حتى فى السجون ونسونا .. وغنينا معاهم وغنينا لهم :

يا فرحه هلت واحنا حزانى
يا ميت حلاوه عليك يا شباب
و .. رجعوا التلامذه يا عم حمزه
للجد تانى
يا مصر انتى اللى باقيه
وانتى
قطف الأمانى ...

إنتفاضة الطلبه الجيده اللى أشرق على الدنيا صبحها الجميل فى نهايات عام ١٩٧١، لما يكتب عنها واحد من صنّاعها نتفرج ونفرح ونتعلم ، ولما يكون هذا الصانع هو أحمد بهاء الدين شعبان تبقى الصنعة على أصولها .

أحمد فؤاد نجم

مقدمة

هذه الصفحات ليست تأريخًا ولا هي تقييمًا لحدث كبير هو انتفاضات طلاب مصر التي عمت جامعاتها منذ ربع قرن ، وزلزلت الأرض تحت الأقدام ، وحفرت لها موقعًا لا يمحى ، داخل الوجدان الوطني للأمة ، ولا زالت توابعها تعيش وتؤثر في العقول والضمائر . لا تستطيع هذه الصفحات أن تدعي ذلك ، ولا كان هذا هو مبتغاها . إنما الغاية منها أبسط من ذلك بكثير ، وأكثر محدودية وتحديداً .. فحين يتنادى الرعيل الذي شارك وقاد وتحمل مسئوليات وتبعات الانتفاضات الطلابية الثورية التي وسمت عقد السبعينيات المنصرم بطابعها ، إلى الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عامًا على وقائعها ، يصبح من الضروري أن يقدم كل منا ما يستطيع ، احتفاءً بهذه المناسبة الجميلة والجليلة ، وتجديداً لذكرياتها وذاكرتها ، ولخبراتها ودروسها ، فهي وإن كانت قد أثرت في أعماق جيل بأكمله ، وتركت – ولا زالت تترك – بصماتها الحادة على وعيه وانتماءاته وانحيازاته الوطنية والاجتماعية ، فلا يعني ذلك أنها حدث تاريخي وانقضى ثم انتهت آثاره إلى غير رجعة ، على العكس تمامًا فهي ككل الأحداث التاريخية الكبيرة ، أثرت ، وستظل تؤثر ، في مسار الوطن واختياراته التاريخية لعقود طويلة من السنين ، ومن هذا المنطلق ، كان واجبًا على كل من أتاحت له الظروف معايشة جانب من وقائع هذه المرحلة الهامة ، أو أتاحت له الأحداث معاينة بعض ملابساتها ، أن يقول كلمته بقدر ما تتيح له إمكانياته في التعبير ، متوخيًا الأمانة والدقة والصدق قدر الاستطاعة ، حتى نساعد – على الأقل – من يريد من المتخصصين والمحللين ، ربما في فترة تالية أرجو ألا تتأخر كثيراً ، على إنجاز ما تستحقه تلك الحقبة من دراسات موضوعية وعملية، تستخلص العناصر الرئيسية لها ، وتسجل – لصالح الأمة – أبرز علاماتها وإنجازاتها ، وأيضًا نقائصها وسلبياتها ، دونما تحيز أو غرض ، اللهم إلا ابتغاء وجه الحقيقة ، إلتي هي في نهاية المطاف الحق ذاته .

من هذا المنطلق أقدم هذه الصفحات لزملائى ولرفاق مسيرتنا العسيرة ، بعضها كتب مواكبًا للأحداث التى عشناها ، وبعضها معاصراً للواقع الذى نحياه ، وبعضها مستشرفًا للمستقبل الذى نرجوه .. وهى صفحات مليئة بالنواقص ، لا هى مكتملة ولا تدعى العصمة .. وهى ككل جهد إنسانى تعبيرة عن واقع وظروف ، وفى مواجهة هذا الواقع وتلك الظروف ، ومع هذا فأستطيع الزعم - بضمير راضٍ - أن كل حرف احتوته ، لم يخطه إلا قلم ابتغى دائمًا وجه الوطن وخير الأمة ، ولم يستهدف مصلحة ذاتية ، ولا حقق لصاحبه فائدة شخصية من أى نوع ، ربما كان العكس تمامًا هو الصحيح ، ومن هنا فإننى ألتمس الغفران من كل الزملاء الذين قد يكون لهم ملاحظات على ما جاء فى متنها ، وحتما سيكون ، وأرجو أن يتقبلوا كل ما سيقرأونه باتساع صدرٍ وأفق ، ورحابة عقل وفكر ، ولهم أولاً وأخيراً أن يقبلوا ببعض أجزائها أو يرفضوا البعض ، أو يقبلوها جملة وتفصيلاً ، أو العكس .. ليس هذا هو المهم ، وإنما المهم بالفعل أن تثير القضايا التى قد تطرحها هذه الصفحات حواراً خلاقًا ومخلصًا ، لصالح البلد الذى أحببناه دومًا ، وتغنينا به فى كل وقت ، وأن الأوان لكى ندلى بدلونا فى قضايا مصيره ، وشئون مستقبله ، الذى هو مستقبلنا ومستقبل أجيالنا القادمة .

ندلى بدلونا فى مصير الوطن الآن ؟!.. نعم ، ولم لا !؟ ألم نتنادى للقيام بهذه المهمة المقدسة ، ذات صباح ، حينما كنا فتيانا فى ميعة الصبا ؟!.. وها نحن وقد بلغنا قمة نضجنا ، وذروة قدرتنا على العطاء ، مطالبون أيضا أن نستكمل مسيرتنا.

ومن أجل هذه المسيرة التى نتمنى ألا ينقطع مددها كتبت هذه الصفحات .

أحمد بهاء الدين شعبان

القاهرة - يونيو ١٩٩٧

القسم الأول

قضايا الماضى

دور الطلاب

فى تاريخ النضال الوطنى المصرى

تقـــديــم

هذه إطلاله سريعة على دور الشباب المصرى فى حركة الكفاح الوطنى الحديثة لبلادنا وكفاحه فى سبيل الاستقلال والتقدم والديمقراطية .

ليس القصد من هذه الصفحات أن تكون تاريخًا ولا توثيقًا ، وإنما هى أقرب إلى البانوراما العامة ، التى تستهدف فتح نافذة لرياح المعرفة بالتاريخ الوطنى أمام أجيالنا الجديدة التى وُلدت فى سنوات الضباب ، ونمى وعيها خلال أيام عصيبة استُهدفت فيها الذاكرة الوطنية ، وتعرضت عبرها الأجيال الشابة لعملية غسيل مخ مستمرة ، سعت بضراوة من أجل تزييف فهمها لتاريخ أمتها ، ولإضعاف مشاعر انتمائها وولائها للوطن والشعب .

لقد اخترت أن أعرض فى هذا الكراس لنضال شباب الطلاب ، لكن هذا لايعنى إهمال باقى فئات الشباب الذين ينتمون إلى طبقات وفئات اجتماعية أخرى ، كالعمال وكالفلاحين ، الذين كان لهم دورهم البطولى فى فترات محددة مثلما حدث إبان انفجار ثورة ١٩١٩ ، أو خلال فترات مقاومة الرأسماليين كبار مُلاكى الأراضى فى بهوت وكمشيش وغيرها ، وسأحاول فى مرحلة قادمة تغطية هذا النقص حتى تكتمل ملامح الصورة .

ولأن الشباب هو المستقبل وهو الأمل ، فله نتوجه بالخطاب ، ومن أجله ، ومن أجل مصر الغالية ، نتذكر هذه الوقفات ، على امتداد التاريخ الطويل لكفاحنا من أجل الحرية والاستقلال والديمقراطية والتقدم .

تكون القاعدة الطلابية فى مصر :

ارتبط تطور حركة التعليم فى مصر الحديثة ، بشروع محمد على فى توسيع قاعدة المتعلمين لخدمة أغراضه وطموحاته الخاصة ببناء جيش قوى ودولة متطورة ، وإمبراطورية حديثة توحد المنطقة العربية تحت رايته ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض وضع محمد علي مسئولية الإشراف على المدارس والمعاهد العلمية تحت أمرة « ناظر الجريدة » .

كان التعليم بالمجان فى عهد محمد علي ، وتحملت الحكومة نفقات إعاشة التلاميذ كاملة لكى يتفرغوا لطلب العلم ، وفى ذلك العصر ابتدأ التحول من نظام تلقى العلم فى الكتاتيب وحلقات الدرس بالمساجد إلى النظام الحديث للدراسة بالمدارس والمؤسسات الأكاديمية المتقدمة ، التى شيدت على النمط الغربي .

ويذكر « كلوت بيك » فى كتابة «لمحة إلى مصر» المطبوع سنة ١٨٤٠ ، أن عدد الطلبة المصريين فى عهده قد بلغ نحو تسعة آلاف طالب موزعين على أربعة وخمسين مدرسة ابتدائية وستة عشر معهداً ثانويًا وعاليًا [١] وقد ارتفعت جملة ميزانية المدارس إلى ١٠٠٠٠٠ جنيه[٢]، وهو مبلغ كبير للغاية بمقاييس ذلك الزمان.

ويُرجع أمين باشا سامى السبب الرئيسى لاهتمام محمد على بإدخال التعليم الأساسى للبلاد إلى غايات عملية ، أبرزها رغبته فى تحديد مساحات الأراضى وقياسها بالأقصاب ، وهو الغرض المقصود للباشا [٣] ،ذلك الاهتمام الذى واكب

---

(١) د. سعيد إبراهيم ذو الفقار ، **الإمبريالية البريطانية فى مصر** (١٨٨٢ - ١٩١٤) (تحليل بنيان استعمار) ، Editions Pluriel - جنيف ، بدون تاريخ ، ص ١٢٠ .

(٢) أمين سامي باشا ، مصر والنيل من فجر التاريخ حتى الآن ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٨، ص ١٨.

(٣) أمين سامي باشا ، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا ، جـ ٢ ، طبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ ميلادية ، ص ٢٥٧ .

بسط احتكاره على الأراضى فى مصر » ، حيث أمر محمد علي ببناء مكتب بحوش السراية ، « وأن يرتب فيه جملة من أولاء البلد ومماليك الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات ، مع مشاركة شخص رومى يقال له روح الدين أفندى بل وأشخاص من الإفرنج ، وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنجليز يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ، ورتب لهم شهريات وكساوى فى السنة ، واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه «مهندسخانه»[1]، وبعد ذلك بقليل تم إنشاء فرع آخر للمهندسخانة ببولاق .

لقد رأي محمد علي « أن فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعرفة » [2]واعتماداً على ذلك نشطت عملية التعليم إلى مدى واسع ، فاستحدث نظام إرسال البعثات العملية إلى أوربا ، وفرنسا بداية ، لدراسة أعمال الكبارى والجسور والترع ، ولما اشتدت حاجة مصانع الغزل والنسيج إلى ميكانيكين اتجه نظره إلى انجلترا ، «موطن وات ستيفنسن » ، وقد جاء بعدد الوقائع المصرية رقم ٩٥٠ الصادر في ٧ من المحرم سنة ١٢٦٤هـ أنه « حصل انتخاب عشرة من متممى الدراسة بمدرسة المهندسخانة ببولاق للتخصص فى الميكانيكا ببلاد إنجلترا ، ولما عاد هؤلاء المهندسون عهد إليهم بأعمال المنافع العامة ، ونبغ منهم بهجت ومظهر ، فأغدق عليهما الرتب[3] ، ومن المعروف أن الشيخ رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) المصرى العظيم ورائد التنوير الكبير ، كان إمامًا للبعثة الأولى التى ابتعثها محمد علي إلى فرنسا فى يولية سنة ١٨٢٦ .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

التعليم العسكري :

وفي سعي محمد علي لإحكام السيطرة علي مصر والمنطقة ، كانت مطامحه العسكرية تتجسد في التخطيط لبناء جيش قوي ومدرب ومجهز ، وهو شرط لازم لكل حكومة تريد أن تكون مقاليد البلاد في قبضة يدها حتى تتمكن من إدارة شئونها على محور النظام وتعمل على حفظ حوزتها من الغارات الخارجية [1] ، ولذا استجلب سليمان باشا الفرنساوي (الكولونيل سيف) من فرنسا ليشرف على تعليم وتنظيم قواته ، وقد اتجه التفكير - في بداية الأمر - إلى الاعتماد على مماليك الباشا لكي يكونوا نواة الجيش النظامي الذي بدأ في تدريبه بأسوان ، وكذلك باستجلاب مواطنين من أهل السودان للعمل كجنود ضمن صفوفه ، فأحضر ثلاثين ألفًا إلى معسكراته بمنفلوط ، غير أن تجربته باءت بالفشل ، مما أجبره على الاتجاه لتجنيد الفلاحين المصريين ، الذين سرعان ما أظهروا ذكاءً فائق الحد ، ونشاطًا عظيمًا [2] وقد كان هذا الأمر بداية لتطوير التعليم العسكري ، وتعميمه في البلاد حيث أنشئت مدارس للمدفعية والمشاه والبحرية ، وغيره وبنيت مصانع للتجهيزات والأسلحة والذخيرة .

والواقع أن جهود محمد على التحديثية لم تقتصر على الجانب الهندسي والعسكري فحسب ، بل شملت مجالات أخرى كثيرة كالزراعة والتعدين والترجمة والمحاسبة والطب والبيطرى .. إلخ ، وهي جهود استهدفت في مجموعها بناء قاعدة متعلمة وقادرة تكنولوجيًا تواكب طموحات الباشا ويتسند إليها لتحقيق أحلامه .

---

(١) الأمير عمر طوسون. صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي : الجيش المصري البري والبحري ، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٠ ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩ .

اتساع القاعدة الطلابية :

واستمرت القاعدة الطلابية المصرية فى الاتساع رأسيًا وأفقيًا ، فى عهود خلفاء محمد علي ، ففى عهد الخديوى اسماعيل بلغ إجمالى عدد المدارس المخصصة للفتيات ٤٩ مدرسة ، أمتها ٤٠٨٠ تلميذة ودرسَّ بها ٢٠٤ معلمًا ، كما بلغ إجمالى عدد المدارس المخصصة للبنين ٤٨٢٤ مدرسة ، تلقى فيها العلم ١٤١٤٠٧ تلميذاً على يد ٦١٢٣ معلمًا ، وتنوعت هذه المدارس ما بين المدارس الابتدائية والثانوية والعالية والخصوصى ، كما تنوعت المواد المدرسّة بها من علوم عامة ومساحة ومحاسبة وعلوم حربية وطب بيطرى وصنائع وعمارة ورى وحقوق وإدارة وطب وصيدلة ومعلمين .. إلخ [1].

لا يدخل فى هذا الإحصاء المتعلمون من منازلهم ولا طلبة البعوث بأوربا ، هذا فضلاً عن ١٤ كُتّابًا للفتيات ، درس بها ٢١٣ تلميذة على يد ١٤ معلمًا ، ٤٦٨٦ ، كُتّابًا للبنين درس بها ١٢٠٤٧ تلميذاً على يد ٤٨٩٣ معلمًا[2] .

والجدير بالذكر أن عهد الخديوى إسماعيل شهد أول بعثة علمية عربية لتلقى العلم فى المعاهد المصرية ، بوصول عشرة طلاب من الشام ، « على مصاريف الحكومة المصرية داخلية ، يتمتعون بالمأكل والملبس والكتب المدرسية ويصرف لكل طالب منهم فى كل شهر ١٥ قرشًا ، للالتحاق بالمدرسة الطبية بالقصر العينى [3] ، وقد بلغت هذه المدرسة وضعًا بحيث « أصبحت من حُسن نتائجها تتنافس مع غيرها

---

(١) تقويم النيل ، مصدر سابق ، ص ٨ - ٩ .

(٢) أنظر جدول التعليم فى عصر سمو الجناب العالى الخديوى اسماعيل باشا - إحصائية التعليم فى القطر المصرى سنة ١٨٧٥م - مصر والنيل ، مصدر سابق ذكره ، ص ٣١ ، والنص مستمد من كتاب الإحصاء لدور بك مفتش عموم المدارس والمكاتب ، المطبوع سنة ١٨٧٥ بالقاهرة .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

من المدارس الطبية الأجنبية الأوروباوية »[1] .

وقد صدر فى عهد الخديوى توفيق فى شهر مارس ١٨٨١ أمر بتشكيل المجلس العالى بنظارة المعارف ، وتم التصديق علي قانون المهندسخانة ومنهجها وإعطاء دبلوم مهندس، كذلك منح دبلوم مدرس لخريجى مدرسة العلوم ، ودبلوم محامى للدارسين ودبلوم الطب أيضًا ، كما صدر فى ٢٩ مارس سنة ١٨٨٧ قرار من نظارة المعارف بإعطاء شهادة الثانوية نظام (البكالوريه) .

وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى وصل عدد مدارس الفتيات إلى ٢٣٦ مدرسة ، وتعلم فيها ما جملته ٦٩٥٠٥ تلميذة ، على يد ١٠٥ معلمًا ، ٢٠١٦ معلمة .

أما مدارس الفتيان فقد بلغ عددها ٨٧١٨ مدرسة وكُتّاب وعدد تلاميذها ٤١٩١٠٩ تلميذاً وعدد مدرسيها ١٩٧١٦ مدرسًا ، ٢٠٣٣ مدرسة [2] .

ويلاحظ هنا قفزة فى عدد المدارس الأجنبية بمصر (مدارس المبشرين الأجانب) حيث كانت ١٠٣ مدرسة عام ١٨٧٥ تضم ١٠٣٨٨ تلميذاً وتلميذة فى عهد الخديوى اسماعيل (إحصاء ١٨٧٥) ، فأصبحت ٤٠٦ مدرسة تضم ٦٩٦٩٢ تلميذاً وتلميذة بنسبة زيادة ٣٩٤٪ فى عدد المدارس ، ٦٧٠٪ فى عدد الدارسين ، وهو ما يعكس تضاعف النفوذ الأجنبى بنسبة هائلة فى أعقاب هزيمة الثورة العرابية ووقوع البلاد تحت سيطرة الإحتلال .

وإبان عهد السلطان حسين كمال بلغ عدد المدارس والكتاتيب ٩٠٦٠ مدرسة وكتاب ، دَرَّسَ بها ٢٠٦٨٨ معلمًا ، و ٢٢١٣ معلمة ، وبلغ عدد التلاميذ

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٢) مصر والنيل ، مصدر سابق ذكره ، جدول إحصائية التعليم فى عهد سمو الخديوى الحاج عباس حلمى باشا الثانى ، الصفحة بدون رقم .

٤٦٣٥٧٢ تلميذاً ، ٧٩٥٧٣ تلميذة[١] .

ومع بدايات الثلث الثانى من هذا القرن (١٩٣٠ - ١٩٣١) ، فى عهد السلطان فؤاد الأول ،بلغ جملة عدد التلاميذ ٨٩١٦٨٢ منهم ٢١٨١٦٥ فتاة ، ٦٧٣٥١٧ فتى، وبلغ جملة عدد المعلمين ٣٧٠٢٢ منهم ٦١٣٤ معلمة ، ٣١٠٨٨ معلماً[٢] والملفت للنظر هنا عدد المدارس الأجنبية ، التى بلغت ٦٦٨ مدرسة تضم ٧٠٢٢٣ تلميذاً وتلميذة ، من ضمنها مدارس أمريكية وإيطالية وبريطانية وفرنسية ويونانية، كما كان هناك ٦٦ مدرسة إسرائيلية تضم ٧٩٥٥ تلميذاً وتلميذة[٣] ، وشهدت هذه المرحلة ميلاد أول جامعة مصرية حيث بلغ إجمالى الدارسين بها ٢٢٦٦ منهم ١٥٧ طالبة[٤] .

أما فى عهد الملك فاروق (إحصاء سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧) ، فيلاحظ أن الإجمالى العام لعدد الدارسين قد تجاوز للمرة الأولى رقم المليون حيث بلغ ١٣٠٩٠٣٥ تلميذاً وتلميذة ، وبلغ إجمالى عدد المعلمين من الجنسين ٤١٥٧٢ معلماً ومعلمة[٥] ، وارتفع عدد الدارسين بالجامعة إلى ٨٣١٢ فرداً ، منهم ٥٨٨ طالبة ، ٧٧٢٤ طالباً[٦] .

وفى ذلك العصر ، بُدء فى إنشاء « جامعة فاروق الأول » بالاسكندرية ، بإقامة فرع كلية الآداب ، وكلية الحقوق ، وفرع لكلية الطب بها .

وهكذا فمع بدايات النصف الثانى لهذا القرن ، كانت القاعدة الطلابية فى مصر قد ازدادت رسوخاً ، واتسع محيط تأثيرها فى المجتمع وتأثرها بتطوراته إلى الحد

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) مصر والنيل ، مصدر سابق ذكره ، جدول إحصائية التعليم فى عصر حضرة صاحب العظمة السلطان حسين كمال .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

الأقصى ، ففى كل مرحلة من مراحل الكفاح الوطنى ، كان دور الطلاب المصريين يبرز بوصفه واحداً من أهم الأدوار وأكثرها اندفاعًا وبطولة، حتى لتصح فى وصفه تلك المقولة التى تشير إلى أن التاريخ لايعرف مجتمعا لعب فيه الطلبة والمثقفون بصفة عامة ، دورا طليعيا فى الحركة الوطنية ، كما حدث فى مصر[1] .

وضع التعليم تحت وطأة الإحتلال :

بمجرد أن أتمت انجلترا سيطرتها على البلاد ، نظمت سلسلة من الإجراءات القصيرة والبعيدة المدى ، استهدفت عبرها تقويض الشعور الوطنى ، وحصار روح المقاومة فى الشعب ، وبالذات وسط الفئات المستنيرة والمثقفة فيه .

وكان نصيب التعليم كبيراً من هذه الإجراءات ، إذ اتخذت سلطات الإحتلال قرارها بإغلاق العديد من المدارس الابتدائية والثانوية والفنية والعمالية (بحجة قلة الاعتمادات المالية) ومنها : مدارس : المساحة والمحاسبة والفنون الجميلة والآثار المصرية والألسن ، وصُرِفَ النظر عن التعليم الإلزامى ، ورفعت المصاريف المدرسية ، وتم إعادة هيكله البرامج الدراسية لخدمة أهداف المحتل ، وفُرضت اللغة الإنجليزية كلغة دراسة أساسية فى المرحلة الثانوية ، وتعرض التاريخ الوطنى الذى كان يدرّس للتلاميذ فى تلك الحقبة ، لتشويه وعبث شديدين[2] ، ومنع المدرسون الإنجليز

---

(١) والتر لاكور ، مذكورة فى عبد اللطيف محمود محمد ، دور الطلبة فى السياسة المصرية ، مجلة اليقظة العربية - العدد الخامس القاهرة ، مايو ١٩٨٦ ، ص٤١.

(٢) إن تاريخ مصر والشرق لم يكن يدرس على الإطلاق ، وقد لاحظ الاستاذ ميتان Metin مدهوشًا عند زيارته مدرسة أسوان أن ناظر المدرسة والمدرسين، وكلهم مصريون ، كانوا يلمون بتاريخ انجلترا أكثر من إلمامهم بتاريخ بلادهم .

Metin, Alpert,. La transformation de L' Egypte, Alcan,1903, P.314

- مذكورة فى الإمبريالية البريطانية فى مصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٨ .

سلطات واسعة لتحقيق هدف كرومر الذي أعلنه ، بأن القصد من التعليم هو تكوين موظفين لا أدباء ، وتحكم في مسار العملية التعليمية في مصر ، دوجلاس دنلوب Doglass Dunlop - الذى لا زالت بصماته واضحة على منهج التعليم فى مصر حتى الآن - فصاغ ملامحها الرئيسية ، على امتداد ٢٨ عامًا بما يحقق غايات المستعمر البريطانى ، ويفقد التلميذ النضج والرؤية الشاملة وتكامل الشخصية ، وسعة الآفاق.

وقد كانت النتيجة النهائية لهذه السياسات ، ارتفاع نسبة الأمية فى مصر من ٨٤٪ عام ١٨٨٣ إلى ٩١٫٧٪ عام ١٩٠٧ ، وانهيار مستوى التعليم ، ووصوله إلى درجة من الضعف بحيث يكاد يكفى لإعداد التلاميذ للوظائف الدنيا[١] ، وبالرغم من وضوح الهدف من السياسات التعليمية التى وضعها كرومر ، والتى سعت لتحقيق ما أسماه « ترشيد الآثار الطبيعية للتعليم » ، أى القضاء على كل عناصر الوعى التى تصاحب تلقى الإنسان للعلم ، وتفتح مداركه[٢] ،فلقد باءت كل هذه المخططات بالفشل الذريع ، الأمر الذى أكده سير ألدون جورست ، خليفة كرومر بقوله « أخشى أن لا يكون للأساتذة الإنجليز تأثير على تلاميذهم ، ويبدو فى الواقع أننا نعد طبقة من الشبان ستسبب لنا مصاعب كثيرة فى عشر أو خمسة عشر سنة »[٣] وهو ما يعنى باختصار ، أن جورست كان يعتقد أن طلاب المدارس الثانوية والعالية قد انضموا جميعًا إلى صفوف القضية الوطنية[٤] .

(١) الإمبريالية البريطانية فى مصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣١ .

(٢) كرومر إلى جورست فى ١٢ مارس ١٩٠٨ ، أوراق كرومر ، مراسلات وزارة الخارجية المصرية ٦٣٣ ، ٩٥/١٠/١٤ ، مذكوره فى المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) جورست إلى كرومر ، فى أول مارس ١٩٠٨ ، أوراق كرومر ، مراسلات وزارة الخارجية المصرية ٦٣٣ ، ٩٥/١٠/١٤ ، مذكوره فى المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٤) الإمبريالية البريطانية فى مصر ، مصدر سابق ذكره ، ص ١٣١ .

مصطفى كامل ومرحلة الرومانسية الوطنية :

مرت البلاد بفترة جذر ملحوظ عقب سقوط العرابيين واستكمال السيطرة الإنجليزية على مقدراتها ، وكان دور مصطفى كامل الطالب والشاب ، الذى لمع نجمه كالشهاب البارق فى سماء مصر ثم خبا ، أن يُحيى روح الإنتماء للوطن والفخر بالانتساب له ، من أجل آثار الهزيمة .

كان مصطفى كامل قد التقى بعبد الله النديم ، الثائر المصرى العظيم - بعد عودته من منفاه ، مايو ١٨٩٢، فى المطبعة التى كانت تطبع له « المدرسة » ، وكان قد قرأ مؤلفاته وأعجب بها فتتلمذ عليه وحين بدأ كفاحه الوطنى اعتمد - كأدوات للنضال - على الخطابة البليغة ، وكتابة المقالات ، والاتصال بالشخصيات والهيئات التى رأى إمكانية الاستفادة من جهودها فى الداخل والخارج ، وقد مثَّلَ مصطفى كامل ، النزعة الرومانتيكية الثورية ، تلك النزعة التى التمست تحريك الحوافز المعنوية والأخلاقية فى الشعب ، بالمطالبة بتوحيد الصفوف وبإحياء التراث وبالتعليم ، ومناشدة الرأى العام الأوربى لنصرة الحق ، ودفع الظلم عن البلاد .

كان اعتماد مصطفى كامل ، دارس الحقوق والزعيم الشاب ، على الطلاب والشبان كبيراً ، فبحسب رؤيته ، فإن الشباب « هو أمل اليوم ودعامة المستقبل وسوف تنهض مصر بهم ، وتتخذ مركزها اللائق بين الأمم »[1] .

لقد كان مصطفى كامل زعيماً وطنيّاً مشبوب العاطفة ، وبالرغم من رفضه لأساليب النضال الثورية[2] ، وأوهامه حول إمكانية استخدام التناقض بين فرنسا

---

(١) أحمد رشاد - مصطفى كامل : حياته وكفاحه - القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥ .

(٢) لست أقصد بهذا الكلام أن أسألكم باسم الوطن إعلان ثورة دموية ضد محتل البلاد ، كلا ثم كلا ، إن أقل الناس إدراكا لمصلحة مصر يعلم علم اليقين أنها مناهضة لكل ثورة ولكل هيجان ، وإنما أسألكم أن تعملوا بكل الوسائل السلمية على استرداد الحقوق المسلوبة منكم ، إن مصلحة الوطن المصري مخالفة لكل ثورة ولكل هيجان ، وإنها قاضية علينا بمعاملة الأوروبيين بالمعروف وبالحسنى !! - المرجع السابق - ص ١١ .

وانجلترا من أجل خدمة هدفه في تحرير البلاد[1] ، وموقفه من الزعيم العظيم أحمد عرابي ، وغير ذلك من مواقف ، إلا أنه من المحقق أن دوره في بعث الروح الوطنية كان مشهوداً ومؤكداً ، وتأثيره في انهاض همة الشعب ، وتصعيد نقمته على المحتل لا ينكر، مما كان له الفضل الأكبر في التمهيد للثورة الوطنية الكبرى عام ١٩١٩ .

وقد لعبت الصحافة الوطنية في عصره دوراً رائداً ، وفي مقدمتها جريدة «اللواء» ، وكان موقف مصطفى كامل عظيماً في التشهير بمذبحة دنشواي ، وبتوجيه من مصطفى كامل أنشئ الحزب الوطني ١٩٠٧ ، كما نشط الشباب المحيط به لإنشاء « نادي المدارس العليا » ، الذى جمع بين طلبة هذه المدارس وخريجها ، وقد كان هذا النادى من أعظم مراكز الحركة الوطنية في ذلك العصر ، وصار بمثابة معهد وطني علمي أخلاقي تكون فيه جيل من خيرة الشباب الوطني[2] .

ولعل من أعظم كلمات مصطفى كامل ، كلمته الخالدة التى ألقاها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ ، في خطبة الوداع ، والتى أصبحت مقاطع منها نشيد مصر الوطني :

« لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحداً واحداً ، لكانت آخر كلماتنا لمن بعدها : كونوا أسعد حظًا منا ، وليبارك الله فيكم ويجعل الفوز على أياديكم ويخرج من الجماهير المئات والألوف ، بدل الآحاد ، للمطالبة بحقوق الوطن والحرية والاستقلال المقدس : **بلادى بلادى .. لك حبي وفؤادى .. لك حياتي ووجودى .. لك دمي ونفسي .. لك عقلي ولساني .. لك لبي وحناني .. فأنت أنت الحياة .. ولا حياة إلا بك يا مصر .**

لقد توفي مصطفى كامل زعيم الوطنية المصرية الرومانسية بحق ، في ريعان

---

(١) «أنه يطالب من فرنسا أن تنقذ وطنه» - تعليق لديبيش دي طولوز (٥ يونيو) على خطبة مصطفى كامل في كلية آداب طولوز (٤ يوليو سنة ١٨٩٥) .

(٢) عبد الرحمن الرافعي - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٨٤ ص١٩٦.

شبابه ، فى الرابعة والثلاثين من عمره ، عام ١٩٠٨ ، فبكته الأمة وخرج الشعب يودعه إلى مقره الأخير وداعًا مهيبًا ، ورثاه أحمد شوقى قائلاً :

فلعل مصراً من شبابكِ ترتدى ‏ ‏ ‏ ‏ مجداً تته به على البلــــدان

علمت شبّان المدائن والــــقرى ‏ ‏ ‏ ‏ كيف الحياة تكون فى الشبان

حركة الشباب الوطنية بعد مصطفى كامل :

آلت زعامة الحزب الوطنى ، بعد رحيل مصطفى كامل ، إلى محمد فريد ، الذى انتقل بالحركة الوطنية ، وبنشاط حزبه إلى مستوى أكثر تطوراً وأرقى تنظيمًا ، وقد أولى محمد فريد العمل وسط الطبقات الشعبية والعمالية اهتمامًا ملحوظًا ، فأنشأ « مدارس الشعب » لمحو أميتهم ، وسعى لتكوين نقابات عمالية تنظم صفوفهم ، كما انتبه إلى عظم الدور الذى يؤديه الشباب فى الحركة الوطنية ، فكان على صلة بتجمعاتهم فى الداخل والخارج ، وقد نشط الشباب فامتلك القدرة للتعبير عن مشاعره الوطنية ، وصَعَّدَ ثورته على الاحتلال بأعمال التظاهر والإضراب ، وبالكتابة والخطابة وغيرها من الأساليب ، ولم يتخلف عن الركب الطلاب المبعوثين لطلب العلم خارج مصر الذين تنادوا لعقد مؤتمر عام للشباب المصرى فى أوربا فعقد بجنيف يوم ١٢ يوليو ١٩١٤ ، واتخذ قراراً بإرسال تلغراف إلى وزارة الخارجية البريطانية، «نصه أن المؤتمر يحتج بشده على وجود الإحتلال ويطلب الجلاء»[(١)] ، وقرر المؤتمر مطالبة «الجمعية التشريعية» بوضع قانون يجعل التعليم الإبتدائى إجباريًا ومجانيًا للبنين (بعد إلغاء سلطة الاحتلال للمجانية التى كانت مقررة منذ عهد محمد علي)، والسعى لدى الحكومة من أجل تنفيذه ، كما قرر مطالبتها أيضًا،

---

(١) عبد الرحمن الرافعى – محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية – القاهرة ، ١٩٦٢ – ص ٤٠٢ .

بإلغاء القوانين الإستثنائية ، وقانون المطبوعات ، وخُتمت أعمال المؤتمر بالهتاف لمصر الحرة المستقلة[1] .

الطلاب وثورة ١٩١٩ :

اعتقلت سلطات الاحتلال سعد زغلول وزملاءه يوم ٨ مارس ١٩١٩ ، ولم تمض بضع ساعات حتى انطلق الطلاب بمظاهرتهم الأولى فى اليوم التالى ٩ مارس ١٩١٩، يهتفون لحياة مصر وسقوط الحماية، ويقتحمون المدارس لإخراج طلابها وتحريضهم على الاشتراك فى المظاهرات والإضراب احتجاجًا على نفى سعد ورفاقه[2]، كان طلاب الحقوق المضريين قد خرجوا فى مظاهرة حاشدة باتجاه مدرسة «المهندسخانة » ثم ساروا جميعًا يهتفون بحياة مصر وحياة سعد ، وتوجه الجميع لإخراج زملائهم طلاب مدرسة الطب بالقصر العينى ، وطلاب مدرسة التجارة العليا بالمبتديان ، وفى اليوم التالى ان «ضم لهم جميع طلاب المدارس والأزهر»[3] .

واستمرت مظاهرات الطلاب وسقط المئات من بين صفوفهم شهداء وجرحى برصاص جنود الاحتلال ، أولهم كان ستة شهداء وواحد وثلاثين مصابًا منهم ٢٢ بنيران البنادق ، وبعدها سقط الشهيد محمد عزت بيومى يوم ١١ مارس فى مصادمات الطلبة مع الجنود البريطانيين قرب كوبرى شبرا ، وانفجر طوفان الغضب الشعبي العنيف ، وبدأت الجماهير فى المواجهة الفعلية للوجود البريطانى على أرض الوطن ، فهاجموا قطارات التموين والجنود ، وحطموا السكك الحديدية ، ودمروا المحطات ، الأمر الذى أزعج قيادات الاحتلال البريطانى تمامًا ، وجعلهم يصدرون

---

(١) المرجع السابق – ص ٤٠٢ .

(٢) د. مصطفى الديوانى – قصة حياتى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٨ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى – ثورة ١٩١٩ : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٥٥ .

قراراً إرهابيًا بالغ الوحشية ينص على أن كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات وتجهيزات السكك العسكرية أو المهمات العسكرية يُعاقب عليه بإحراق القرية التي هي أقرب من غيرها إلى مكان التدمير ، وهو آخر إنذار[1] .

الحركة الطلابية فى الثلاثينات :

وفى مواجهة إرهاب الاحتلال المدجج بالسلاح ، صمد الشباب المصرى ، ونوّع أشكال المواجهة مع العدو الإنجليزى ، ولم تنقطع حركات المقاومة الثورية طوال أعوام ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ولا توقف سيل الشهداء من شباب مصر ، طلابًا وعمالاً ، فلاحين وموظفين .

وفى محاولة لامتصاص غضبة الشعب المصرى ، أعلن الاحتلال تصريح ٢٨ فبراير ، الذى سارعت الجماهير الثائرة برفضه لما تضمنه من التحفظات الأربع(*) الشهيرة ، كما صدر دستور ١٩٢٣ الذى لم يمس سلطات الملك ، فرد عليه الشعب بتصعيد جديد لمظاهراته واضراباته واعتصاماته ، ونشطت جمعيات وطنية سرية عديدة ، تكونت من الشباب المصرى الفائر الحماس لاغتيال قادة وجنود الاحتلال ، نجحت فى تنفيذ عمليات عديدة مؤثرة (مثل اغتيال السير لى ستاك - سردار الجيش المصرى ، وحاكم السودان) وعمت الفوضى البلاد فُحكمت بوزارات الأقليات القمعية (وزارة محمد محمود ١٩٢٨ ، وزارة إسماعيل صدقى ١٩٣٠) ، وعطل

---

(١) مستشار محمد عبد الرحمن حسين - كفاح شعب - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٩٤ .

(*) أ - تأمين المواصلات البريطانية فى مصر .
ب- الدفاع عن مصر ضد أى اعتداء أو تدخل أجنبى مباشر أو غير مباشر .
جـ- حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات .
د- السودان .

الدستور والحياة النيابية ، وعاشت البلاد فترة اتسمت بالقلق وانعدام التوازن ، حتى أعلن السير صمويل هور ، يوم ٩ نوفمبر ١٩٣٥ ، تصريحاته التى تشير بعدم عودة دستور ١٩٢٣ ، أو دستور ١٩٣٠ ، الأمر الذى اعتبرته الجماهير تدخلاً سافراً فى شئون البلاد ، وتسويفًا مخادعًا للوعود المتكررة بالاستقلال والسيادة .

ثورة شباب ١٩٣٥ :

وعلى أثر تصريحات صمويل هور انفجرت الثورة المرتقبة من الجامعة ، فى مناسبة الاحتفال بذكرى عيد الجهاد الوطنى (١٣ نوفمبر ١٩٣٥)، واضربت المدارس والكليات وألقيت الكلمات الحماسية التى تندد بالسياسة الاستعمارية ، وخرجت المظاهرات تهتف : نحن فداؤك يا مصر - فليسقط الاستعمار - فليسقط تصريح هور ، وعند ميدان الإسماعيلية (التحرير) أطلقت القوات البريطانية النار على المظاهرات الطلابية المتجهة إلى بيت الأمة ، وعند قصر عابدين حدث صدام عنيف بين المتظاهرين وقوات الأمن ، وفى العباسية تكرر الوضع واندلعت شرارة الثورة إلى الأقاليم ، حيث سقط عشرات الجرحى والشهداء .

وفى اليوم التالى (الخميس ١٤ نوفمبر ١٩٣٥) اتخذت قوات البوليس ، منذ الصباح الباكر ، استعدادتها حول الجامعة ترقبًا للأحداث ، ومن كلية الحقوق بدأت الدعوة للإضراب ، للمطالبة بالدستور واستقالة الوزارة ، وانضم إلى طلابها طلاب الهندسة والآداب والزراعة والسعيدية ثم طلاب التجارة المتوسطة بالجيزة ، واتجه الجمع الحاشد، الثائر ، إلى كوبرى عباس ، وعند اجتيازهم الكوبرى انطلقت رصاصات الغدر من القوة الانجليزية التى كانت تحاصره ، فأصيبت الطالب محمد عبد المجيد مرسى الطالب بكلية الزراعة إصابة قاتلة استشهد على أثرها ، وأصيب الطالب محمد عبد الحكم الجراحي، الطالب بكلية الآداب ، والذى كان يتقدم

المظاهرة حاملاً علم مصر بثلاث رصاصات فى بطنه ، كما جرح غيرهما منهم إبراهيم شكرى - طالب كلية الزراعة آنذاك وآخرون .

استشهاد البطل الجراحى :

وقد كتب محمد عبد الحكم الجراحي ، ابن العشرين البطل رسالة إلى مستر «بلدوين» رئيس الوزارة البريطانية ، قبل استشهاده ، يقول فيها :

إلى بريطانيا ، روح الشر أحد مواطنيك رماني بالرصاص ، وأنا الآن في طريقي للموت لكنى سعيد لأني أضحي بدمي .. وأن الموت أمر هين ، وآلامه عذبة ما دامت من أجل مصر .. لتحيى مصر .. ولتسقط انجلترا ، وسيتولى الله فى القريب عقابكم أنتم وانجلترا روح الشر ، فالتحيا التضحية[1] .

وقد ظل الجراحي يصارع الموت خمسة أيام متواصلة حتى لفظ أنفاسه ، وكان لاستشهاده وقعًا مؤثراً على الجماهير التى لم تنقطع ثورتها داخل القاهرة وفى الأقاليم ، وكانت جنازته (الثلاثاء ١٩ نوفمبر ١٩٣٥) من الأيام المعدودة فى تاريخ مصر التي خفق فيها قلب الوطن[2] ، فخرج الشعب لوداعه فى موكب مهيب ، وظل الطلبة لا يفارقون المكان (مستشفى القصر العينى)، خوفًا من أن تهرب الحكومة الجثة ، كما فعلت مع الشهيد **محمد عبد المجيد مرسى** الذى أرسلت جثته فى الخفاء إلى الاسكندرية[3] ، وفى أعقاب هذه الأحداث الدامية قررت فئات الشعب المختلفة الإضراب العام ، واستجاب لهذه الدعوة الصحفيين والمحامين ،

---

(١) عبد الحميد غرابه - شخصيات لها تاريخ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، بدون تاريخ ، ص١١٥.

(٢) د . ضياء الدين الريس - الدستور والإستقلال والثورة الوطنية ١٩٣٥- جـ ٢ - مؤسسة دار الشعب ١٩٧٦ ، ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٩٣ .

والتجار والطلاب وغيرهم ، كما برز دور الطالبات واضحًا فى أحداث هذه الثورة ، خطيبات ، وممرضات ومتظاهرات وداعمات ، كذلك دور أعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية ، وتداعت الأحزاب للائتلاف تحت ضغط الطرف العام ، لكن الحوار بينهم لم يؤد لنتيجة تذكر ، وفى ذلك الوقت الذى كان الوطن فيه بحاجة ماسة للاتحاد خلف رايته ، فإنه - كما عبرت بدقة مجلة روز اليوسف - « إنما نحن نعرف أن بيزنطة تحترق وأن أهلها يتجادلون ويتراشقون ، خير لبيزنطة وأهلها أن يفيقوا ويتعاونوا على إطفاء الحريق ، الذين سيكونون هم أول وقود له إذ تركوه يمتد ويأتى على الأخضر واليابس معًا[1] .

حركة الشباب الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية :

كانت خيبة أمل الشباب فى عجز قيادات الحياة الحزبية عن تجاوز المطامح والمطامع الخاصة ، للالتقاء حول الأهداف الوطنية السامية ، واتضاح نية انجلترا لاستمرار تطبيقها لمعاهدة ١٩٣٦ ، مبعثًا لتجدد أعمال الثورة فى البلاد ، فى مواجهة ديكتاتورية اسماعيل صدقى ، الذى واجه مظاهرات الشباب بالعنف ، فسقط مجدداً الشهيد تلو الشهيد ، وتصاعدت نقمة الشعب على الاستعمار وأذنابه.

وبانتهاء الحرب ، كان عود الحركة العمالية قد اشتد ، وبدأت الحركة الطلابية تتطلع حولها بحثًا عن حليف استراتيجى يمكن التعاون معه فى خوض معركة التحرير ، بدلاً من القيادات الحزبية التقليدية المتهافته ، ومن هنا كان الالتقاء الكبير، الذى تم فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، تتويجًا لكفاح أصلب الطبقات الوطنية عوداً فى لقائه بالعناصر المثقفة والواعية من الطلاب .

---

(١) المصدر نفسه .

كان تصاعد النضال الطلابى قد تبلور فى تكوين اللجنة الوطنية للطلاب التى أصدرت ميثاق ١٧ فبراير لكى يحدد أهم أهداف نضالها فى :

- الجلاء التام براً وبحراً وجواً ، عن كل شبر من أرض وادى النيل .

- دولية القضية المصرية .

- التحرر من العبودية الاقتصادية .

وبعد إعلان الطلبة لميثاقهم عقدت اجتماعات بين العمال والطلبة ، واتفق مندوبو العمال والطلبة على أن قوة الحركة الوطنية وصلابتها إنما تُستمد من الابتعاد عن الأحزاب الفاسدة ، وعن أنانيتها وتهاونها مع المستعمر والسراى ، وعن طريق تحقيق وحدة فئات الشعب تحت قيادة جديدة .. وفى ١٨و١٩ فبراير أعلن تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة إعلانًا بميلاد قيادة جديدة للحركة الوطنية[١] .

وقد قررت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة إعلان يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦، يوم الجلاء ، « يوم إضراب عام لجميع هيئات الشعب وطوائفه ، يوم استئناف للحركة الوطنية المقدسة التى تشترك فيها عناصر الشعب المصرى متكتله حول حقها فى الاستقلال التام والحرية الشاملة ، يوم إشعار المستعمر البريطانى والعالم الخارجى أجمع أن الشعب المصرى قد أعد عدته للكفاح الإيجابى ، حتى ينجلى كابوس الاستعمار الذى ظل جاثمًا على صدورنا منذ ٦٤ عامًا »[٢] .

وقد استجاب الشعب المصرى ، بمختلف طبقاته وفئاته فى العاصمة وشتى أنحاء البلاد ، استجابة رائعة لنداء اللجنة ، وفى يوم تاريخى مشهود انطلقت المظاهرات فى شوارع مصر تهاجم ثكنات الاحتلال ، وسقط ٢٣ شهيداً من العمال والطلاب

---

(١) عبد المنعم الغزالى - تاريخ الحركة النقابية المصرية (١٨٩٩ - ١٩٥٢) - دار الثقافة الجديدة ، القاهرة، ١٩٦٨ - ص ٢٦١ .

(٢) من نص قرار اللجنة الوطنية للعمال والطلبة - المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

المصريين برصاصات المحتل وأعوانه ، كما أصيب العشرات من المتظاهرين .

يوم الحداد - يوم الثأر للشهداء :

كان الرد على وحشية المحتل وتخاذل حكومة صدقى (التى وصفت المتظاهرين بالدهماء) (*) قرار اللجنة الوطنية بإعلان يوم ٤ مارس، يوما للحداد على شهداء الانتفاضة الشعبية ورغم الضغوط التى تعرضت لها اللجنة من السلطة وأعوانها ، نفذت إرادة الجماهير ، وأعلن الحداد العام الذى شمل المتاجر والمقاهى والمحال والمدارس والمصانع ، وبإجماع أذهل المراقبين والسلطات ، وقد انتهى هذا اليوم بسقوط ٢٨ شهيداً وجرح ٣٤٢ مواطناً ، وقد قام العمال والطلبة السودانيين فى الخرطوم وأم درمان ، بمظاهرات قوية فى ١٣ مارس ١٩٤٦ مشاركةً لشعب مصر فى كفاحه ضد الاستعمار ،« لقد تحرك الشعب المصرى ، وتحرك الشعب السودانى تحت قيادة من نوع جديد »[١] .

لقد مثلت هذه القيادة الشابة نقلة نوعية جديدة تجاوزت القيادات التقليدية المرتبطة بالاستعمار والقصر ، وكان يمكن أن تدفع البلاد كلها باتجاه متطور يُقرِّب من ساعة التحرير ، « لولا الضربات العنيفة التى وجُهت لها ولولا ما شاب حركتها من انقسام ، ولولا عجزها عن زرع جذورها القوية فى كل موقع من مواقع النضال ، فاستمرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة لجنة علوية ليس لها لجان فى كل مصنع وشارع وحى وفى كل كلية ومدرسة »[٢] .

(*) وشبيه بهذا الوصف ، وصف (الحرامية) الذى استخدم بواسطة السادات ونظامه لنعت جماهير الشعب الذين اشتركوا فى انتفاضة ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ (١) .

(١) شهدى عطية الشافعى - تطور الحركة الوطنية المصرية - دار شهدى للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٣ - ص١٠٨ .

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٠٨ .

٢١ فبراير عيد لطلاب العالم :

لقد اتخذ شباب وطلاب العالم، يوم ٢١ فبراير، من كل عام عيدا يحتفلون فيه - على امتداد العالم أجمع - بذكرى شهداء طلاب مصر، وتمجيدا لبطولات شبابها، في وقت كانت فيه مصر لازلت تبحث عن نفسها ، وشبابها الثائر يحفر درب الحرية بأظفاره ، ويُعبِّدْ طريق الثورة بدمه الطاهر ، وقد بدا للجميع أن أشكال النضال السلمية ، من إضرابات وتظاهرات واعتصامات ومسيرات وعرائض ومنشورات .. إلخ ، قد استنفذت دون طائل ، ولم يعد هناك من سبيل إلا بإحداث تطور كيفي في أساليب الصراع ، هذا التطور تجسد في بدء شن الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال ورموزه الجاثمة على صدور الوطن .

الشباب والكفاح المسلح :

كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت ، وهبت الشعوب على امتداد العالم أجمع، تسعى لخلاصها من قيود الاستعمار ، وظهرت إلى الوجود أول دولة اشتراكية في الاتحاد السوفيتي وانتصرت الثورة الاشتراكية في الصين ، وبدا واضحًا أن كفاح الشعوب الصلب وقتالها الضاري ضد محتليها يخلق ظروفًا أكثر ملائمة للتحرير ، وأن أسلوب المساومات والمفاوضات لا يؤدي إلاَّ إلى فقدان الطريق الصحيح ، وبدأت الأعمال الفدائية تقلق راحة المستعمر على ضفاف القناه ، والتهبت روح البذل والتضحية بكل غالٍ في سبيل الوطن ، وأعلن العمال المصريين عن الانسحاب من المعسكرات البريطانية ، مما أربك خدماتها ، وشل قدراتها .. كان الوضع ينذر بأن فجراً جديداً يوشك أن يطلع يشرق بالضياء يغمر أرض الوطن ، وصراع الإرادات بين الشعب وغاصبي حقوقه يصل إلى ذورة غير مسبوقة ، وأحاديث الخيانة والأسلحة الفاسدة تفوح في كل مكان مشيرة بأيدي الإتهام إلى الرؤوس الكبيرة ، إلى الملك

وأعوان .. ومحرضة الشعب على الثورة ، وتغيير الأوضاع .

وعلى الجبهة الأخرى ، كان المحتل وأعوانه ، والقصر الفاسد المفسد وأتباعه ، يحيكون خيوط مؤامرتهم الكبرى ، من أجل استباق الزمن وإجهاض جنين الثورة الشاملة قبل أن يأتي الطوفان .

وتحرك أعداء الشعب ··· واحترقت القاهرة

* * * * *

حول دور الفتاه المصرية فى النضال الوطنى والاجتماعى :

لا يمكن التطرق إلى نضال الشباب المصرى ، دون أن نلمس الدور النضالى الكبير الذى لعبته الفتاة المصرية جنبًا إلى جنب مع زملائها من الشباب الوطنى .

وغير خاف بالطبع مدى قسوة الظروف التى كانت تتحرك فيها الفتاه المصرية آنذاك ، الأمر الذى يضاعف من قيمة دورها ، ويرفع من شأن مساهمتها كفاح الوطن من أجل التحرير .

لقد كان صوت الشيخ **رفاعة رافع الطهطاوى** ، بعد عودته من بعثة باريس الشهيرة ، من الأصوات الرائدة التى دعت إلى « صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معًا لحسن معاشرة الزواج ، فتعليم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فإن هذا مما يزيدهن أدبًا وعقلاً ، ويجعلهن بالمعارف أهلاً ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والآراء ، فيعظمن فى قلوبهم ، ويعظم مقامهن لزوال ما بهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج لمعاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها ، ويُمَكِّنُ المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعطاه الرجل على قدر قوتها وطاقتها .. **فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجل فهى مذمة عظيمة فى حق النساء**»[1] .

وبعد هذا الصرت الرائد العظيم ، ومع نمو الشعور بالوطنية المصرية ارتفعت أصوات دعاة التقدم والتطوير من الرجال والنساء (**جمال الدين الأفغانى - منصور فهمى - عائشة التيمورية ...إلخ**) ، تدعو لدور أكبر للمرأة يرتقى بها من مرتبة التابع إلى مرتبة الشريك ، ويسمو بها عن طريق العلم إلى مصاف الآدمية .

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوى ، المرشد الأمين للبنات والبنين - مذكورة فى أحمد طه أحمد - : المرأة ، كفاحها وعملها - دار الجماهير - القاهرة ١٩٦٤ ص ٦٠ - ٦١ .

ولا شك أن دور قاسم أمين يعد من الأدوار التاريخية فى هذا الشأن ، حيث حفرت كتاباته التى تناولت قضايا المرأة ونظرة المجتمع لها ، وأسلوب تعامله معها ، طريقًا جديداً لم يسبق لغيره العبور فيه .

والحق أن المشاركة الشعبية الشاملة ، لشتي طبقات وفئات المجتمع فى ثورة ١٩١٩ ، هيأت الظروف الموضوعية لبدء خروج الفتاة المصرية إلى الحياة العامة ومشاركتها - جنبا إلى جنب - مع الشباب المصرى فى النضال المشترك من أجل تحرير الوطن المشترك ، **ويمكننا القول أن النضال من أجل تحرير مصر ، كان فى الوقت ذاته نضالا من أجل تحرير المواطن المصرى ، والفتاة المصرية بالذات ، من حياة الركود والجهل والتخلف .**

ومنذ اللحظات الأولى لاندلاع نيران الثورة ناضلت المرأة مع الرجل ضد المحتل وبطشه ، وسقطت شهيدات جليلات ، مضحيات بالنفس من أجل انتصار الوطن وعزته ، منهن :

شفيقة محمد (أول شهيدة مصرية فى ثورة ١٩١٩) ، وفهيمه رياض ، وعائشة عمر ، وحميدة خليل ، وأخريات ، كما أن نساء الريف اللاتى تأثرن أيضًا بإجراءات السلطة قد اشتركن مع الرجل فى نزع خطوط السكك الحديدية وتحطيم أعمدة التلغراف ، وكافة الحوادث التى حدثت فى داخل البلاد ، كما اشتركن فى المظاهرات الصاخبة ضد « لجنة ملنر » ، حيث كن يركبن الترام بلا أجر وهن يصحن « يسقط ملنر » ملوحات بأعلامهن فى وجوه الأجانب[1] ، وهو ما يؤكده دور المرأة المصرية فى معركة فلاحى قرية أبى شادى (١٩٣٦) ضد البوليس - حيث كانت النساء فى الصف الأول يثرن الرجال ، والصبية يجمعون الذخائر ، وكان ذلك فنًا عسكريًا حقيقيًا مرتجلاً .

---

(١) سير فالنتين كيرول ، مراسل التيمس الإنجليزية ، المرأة :كفاحها وعملها - مصدر سابق ذكره ، ص ٧٠ .

وأيضًا شاركت الفتاة العاملة فى الإضرابات والاعتصامات الثورية التى نظمت للمطالبة بحقوق العمال ، كما حدث عام ١٩٤٤ حينما قامت عاملات مصنع شركة الغزل الأهلية بالإسكندرية بمساندة الاعتصام الثورى للعمال ، وألفن مظاهرة حملت نعشًا كُتب عليه اسم مدير المصنع حينئذ أبو الخير نجيب ، وسرن مولولات خلف النعش (١).

كان جيلٌ جديد يقتحم ساحة العمل الوطنى ، على كل الجبهات ، بفتوة وإرادة ، ويسلم الراية - التى لم تسقط أبداً - لجيل جديد عزم على أن يستكمل المسيرة الخالدة .

---

١) المرأة، كفاحها وعملها - أحمد طه أحمد - مصدر سبق ذكره ص ٧٦ .

الحركة الطلابية المسيرة والمسار (*)

هوامش على حدث هام

(*) مجلة الطليعة - فبراير ١٩٧٧ .

فجرت المسيرة الطلابية السلمية فى الخامس والعشرين من نوفمبر الماضى الحوار مجدداً حول حركة الطلاب وحطمت بشكل ملحوظ حاجز السكون المطبق حول أسوار الجامعة .. وطرحت على قاعدة الحوار مرة أخرى مطالب الحركة الطلابية ومراميها .. بل وأكثر من ذلك : فلقد أثارت مسيرة الطلاب الكثير من علامات التعجب والدهشة وكأن ما حدث « شئ لا يصدقه عقل ! » ، مما حدا بجريدة من أكبر الجرائد اليومية فى مصر لأن تعمد إلى تحليل « دوافع » هذا السلوك الطلابى «العدوانى» - من وجهة نظرها - محاولة أن ترجع به إلى مبررات سيكولوچية ، باعتباره عرضا من أعراض الأمراض النفسية، يستوى فى ذلك مع حادث إطلاق الرصاص على عميد كلية التجارة - جامعة القاهرة - ومع تهديد عميد تجارة الأزهر بالقتل[1] .

هل كانت مسيرة الطلاب إذن محصلة طبيعية لتفجر عوامل الكبت النفسى والتأزمات الداخلية لجيل كامل من طلاب مصر ، يستدعى إثارة الحوار حولها مع الاطباء النفسانيين وخبراء العلوم السيكولوچية - كما فعلت «الأهرام» ؟! - أم أنها كانت موقفا سياسيا مدروسا ، يستوجب تحليل القوى والتيارات السياسية أصلاً ، والحوار حوله من فوق أرضية العمل الجماهيرى ، والفهم لقوى شابه وجسورة ومؤثرة - فى قطاع طلابى عريض على الأقل - تسعى جاهدة للتواصل مع الطبقات الشعبية التى تعبر عنها .. وتنتمى لها انتماء الفكر والفعل معًا ؟! .

بداية : أود أن أؤكد أننا نستبعد تمامًا أى افتراض مسبق بأن جريدة« الأهرام» قد وقعت فى تحليل خاطئ جانبه الصواب فى فهم حدث أو إدراك ظاهرة .. مما أدى بها لنسبة الأمر إلى دوافع غير حقيقية .. ذلك أن ما فعله «الأهرام» لا يمسى استثناءً أو تصرفًا شاذاً تجاه الحركة الطلابية .. فمنذ انتفاضة ١٩٧٢ - ومن قبل ، منذ انتفاضة ١٩٦٨ الديموقراطية - دأبت كافة أجهزة الإعلام والتوجيه الفكرى

---

(١) جريدة الأهرام - - صفحة الشباب - أعداد يوم الخميس طوال شهر ديسمبر ١٩٧٦ .

الرسمية، وكل مؤسسات الدولة وهيئاتها بلا استثناء - حتى المؤسسات الدينية التى كان يفترض فيها - لا حياديتها ولكن - تعففها عن أن تكون مطية لمناورات سياسية فجه - دأبت جميعها إلى العمل على الحط من شأن الحركة الطلابية ونعتها بأنكر الصفات والنعوت هبوطا ، والصاق كل التهم بها ، الأمر الذى وصل إلى حد اتهامها بالعمالة والخيانة الوطنية والتآمر لتفتيت الوحدة الوطنية ... إلخ !!! »[1] .

منهج النعامة فى المواجهة :

لقد تجاهلت كل أجهزة الدولة بلا استثناء تقريباً[2] وعلى قمتها الأجهزة المختصة بالشباب والطلبة - الحركة الطلابية الدائمة الحيوية والتجدد. وتصرفت كما لو كانت هذه الحركة غير موجودة لمجرد اشمئناط هذه الأجهزة من « لجاجة » الحركة الطلابية « وسلاطة لسانها » ، وخوضها فيما يجب ألا يخاض فيه من أمور السياسة «العليا» ، التى هي بالأساس حكر لا يجب المساس به ، وإنما برز موقف هذه الأجهزة الكامل العداء منذ اليوم الأول لطرح الطلاب لمطالبهم ورؤاهم ، وفى الوقت الذى كانت تحاك فيه فى مكاتب هيئة النظام بالاتحادالاشتراكى - الذى كان على قمتها حينئذ السيد « محمد عثمان إسماعيل » [3] - المؤمرات والخطط لتصفية قيادات

---

(١) أليس مما يثير السخرية : أن أجهزة الأن كانت تتهم الحركة الطلابية بالعمالة لكوريا الديموقراطية ! بينما تتهمها الأجهزة الرسمية للدولة بالعمالة للاتحاد السوفيتى ثم ليبيا - حتى من قبل تطور العلاقات بينهما - فى الوقت الذى تطوعت فيه واحدة من الصحف لكى تعلن أن الحركة الطلابية تعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية .

(٢) الاستثناء الوحيد عن القاعدة هى أجهزة المباحث والأمن وما شابه ، والتى يقتضى واجب الإنصاف والموضوعية الاعتراف بأنهم لم يقصروا فى أداء واجبهم (على أكمل وجه !) .

(٣) والمأثور عنه ترتيبه المشهوره لأولويات الصراع على النحو التالى :

أ) تصفية الشيوعيين فى مصر (والجامعة فى المقدمة)

ب) فالمسيحيون .

جـ) ثم التفرغ لليهود من بعد (وليس للصهاينه حتى !) .

الحركة الطلابية « العدوة ! بالعنف الفاشي وبالمطاوي المشهرة والسكاكين - كان المئات من الطلاب الوطنيين - الشديدو الحب للوطن والشعب - يصمدون صموداً بطولياً دفاعًا عن وجهات نظرهم وأحلامهم النبيلة في الخلاص للبلاد ، وبالديموقراطية للجماهير[1] ، ولم تفلح كل الوسائل التي مورست للضغط عليهم - بالسجن والفصل والتشريد - في ثنيهم عن عزيمتهم .. وسجل كافة المسئولون الذين امتلكوا من الشجاعة قدراً كافيًا في مواجهة هذا الجيل فشلاً ذريعًا في التحاور الخلاق معه ، ثم انتهى بهم الأمر إلى التهرب من المواجهة ، كما حدث «في أسبوع الجامعة والمجتمع» - جامعة القاهرة -[2] ، حيث لبى الدعوة للمشاركة في ندوة الديموقراطية الحاشدة ، وبحضور الآلاف من طلاب الجامعة - ممثل حزب اليسار «د.إبراهيم صقر » ، وزعيم حزب اليمين « السيد مصطفى كامل مراد » والعديد من المستقلين - داخل مجلس الشعب وخارجه « د. حلمي مراد ، والسادة أحمد طه - كمال أحمد - صلاح عيسى - أحمد الجمال .. وغيرهم ، بينما كان موقف حزب «الأغلبية الساحقة » الحاكم - حزب الوسط - حزب مصر - هو عدم اتخاذ أي موقف ، ولم يردوا حتى على الدعوة .. لا بالموافقة أو الاعتذار ! .. وهكذا .. ثم من بعدها لا تستحي الاقلام المفضوحة من أن تتهمنا بالتشنج ورفض الحوار .. وبالمرة تنسبنا - كالإبن اللقيط - إلى جبهة الرفض ! .

وبالطبع : نحن لسنا هنا في موضع العتاب ، ولا المقصود من هذا الحديث توجها معينا يستدر نظرات الحنو والعطف على الحركة الطلابية . فالذي خسر أولاً وأخيراً من منطق التشويه المقصود والتشويش المتعمد ليس حركة الطلاب .. وعلى من كان

---

(١) إدراك الحركة الطلابية المبكر لأهمية توفر مناخ الديموقراطية الحقة لأي كفاح شعبي ناجع ، جعلها ترفع ، ومنذ عام ١٩٧٢ ، شعار ، كل الديموقراطية للشعب - كل التفاني للوطن » : شعاراً رئيسيا لها .

(٢) من ٢٠ إلى ٢٧ نوفمبر ١٩٧٦ ، ، تنظيم اتحاد طلاب جامعة القاهرة بالاشتراك مع « نادي الفكر الاشتراكي التقدمي» و« نادي الفكر الناصري بها » .

فى حاجة لدليل أو بينة أن يلقى نظرة عابرة على أقرب كلية جامعية ليتأكد بنفسه من تفجر الحيوية السياسية لدى الجماهير الطلابية ، وما مئات الصحف الحائطية وعشرات المؤتمرات اليومية وحلقات الحوار ، والبيانات التى تغمر جامعات مصر ومعاهدها إلا شاهداً على عقم سياسة النعامة ودفن الرأس فى الرمال ، فى مواجهة المشكلات والقضايا المثارة والتى لا يمكن - إلا وهما - تصور الخلاص منها باسدال ستائر النسيان عليها .

لقد كانت هذه المقدمة - وإن طالت - ضرورية لكى يمكن تناول ما نشرته الطليعة فى معرض حديثها عن أبرز أحداث الشهر المنقضى على صعيد الحركة الطلابية[1] ، حيث حددتها فى حدثين أساسيين هما :

١- أسبوع الجامعة والمجتمع الذى انبثقت عنه «وثيقة نوفمبر الطلابية» ، «ولجان نوفمبر الديموقراطية» داخل الجامعة .

٢- المسيرة الطلابية السلمية فى الخامس والعشرين الماضى ، والتى قادها «نادى الفكر الاشتراكى التقدمى» إلى مجلس الشعب .

ولابد هنا من التنويه بموضوعية الزميل الذى صاغ هذا التقرير ومحاولته الصادقة لعرض صورة حقيقية ، وغير مبتذلة ، كما صنع غيره ، للأحداث .

غير أن قضيتين أساسيتين يهمنا أن نتناولهما بشئ من التفصيل وأن نعرضهما على كافة المهتمين بشئون الحركة السياسية فى وطننا وبالذات فى الجامعة ، حيث نعتقد أنه قد يصعب على من هو بعيد عن ميدان الصراع ذاته أن يلم بدقائقهما أو أن يدرك أبعادهما بشكل واضح وصحيح .

---

(١) الطليعة - عدد ديسمبر ١٩٧٦ - تقارير الشهر .

أولاً: القضية الأولى : حلف القوى التقدمية الطلابية - التركة والطموح:

أعتقد مخلصاً ، أن من أكبر انجازات الحركة الطلابية فى مراحلها الأخيرة ، هو ذلك الاقتراب الحثيث لجناحين أساسيين من أجنحتها « الاشتراكى التقدمى - والناصرى » ، كل في اتجاه الآخر - في محاولة لا ينقصها الوعى ولا يعوزها الإخلاص ، أو إدارك اللحظة التاريخية الراهنة ومسئولياتها ، ولا تفتقد الصبر والدأب الضروريين للنجاح فيها .

لقد بدأ حوار التياران منذ عام كامل - تقريباً - فى هدوء وإصرار ، فيما أطلق عليه : «**حوار الجيل**» ، وذلك بهدف :

أ - الفهم الصحيح والمتبادل لمنهج وبرنامج كل طرف واستيعاب رؤاه السياسية وتحليلاته للواقع وحلوله لقضاياه .

ب - تحديد نقاط الاتفاق والتأكيد عليها والعمل على توسيعها وتعميقها «أفقياً ورأسياً ».

جـ - تحديد نقاط الخلاف ، ومحاولة تقليصها إلى أدنى حد ممكن .

د- العمل على بلورة برنامج سياسى وطنى ديمقراطى مشترك ، يحدد المهام الراهنة للحركة الطلابية .

هـ - الانتقال من مجال الحوار النظرى - إلى مجال العمل فى الواقع الحى والممارسة الفعلية لتنفيذ هذا البرنامج .

و - تطوير العلاقة بين أعضاء النادين والتى بدأت بالحوار وتعمقت بالعمل المشترك ، وإيجاد أشكال دائمة لصياغة ودفع هذه العلاقة لمداها الأقصى ، أشكال تصمد أمام مقتضيات النضال وصعوبات الصراع القادمة .

لقد عبر - برغم كل النواقص - الاشتراكيون الديموقراطيون ، والناصريون في الجامعة - يدا بيد ، حاجز الثقة المفتقده والتركة المثقلة بالآلام والأحزان التى ما برحت تعتمل فى النفوس منذ دراما السنوات القاسية ٥٩ -٦٤ ، وبنى الطرفان بالفهم المشترك جسرا عبرا عليه إلى أرض اللقاء على ساحة الواقع ، ورسخ من متانة العلاقة بينهما اقتناعهما الكامل : أنهما رفاق خندق واحد الآن ضد قوى التخلف والهمجية التى تجتاح وطننا من كل جانب .

ثم لقد تدعم هذا الفهم المشترك بموقفين عمليين آخرين ، غاية فى الأهمية :

الموقف الأول : الاعتراف بحق كل فصيل وطنى ديموقراطى فى الجامعة فى التمايز تنظيمياً وأيديولوجيا داخل مؤسسته « الشرعية » .

الموقف الثانى : الاعتراف بقانون الوحدة والصراع ، حكما ينظم الحوار بين الفصيلين ويحكم العلاقة بينهما .

ها قد استفاد الشباب من تجربة الامس وأخطائها ، ووضع الجانبان أسساً تحمى الالتقاء بينهما وتنظمه ، فلا الرغبة فى التحالف تلغى التمايز الموضوعى لكل منهما ، ولا الموقف المشترك لهما ينفى إمكانية العمل الذاتى لأى منهما ، مما يعود بالتالى لتعميق لقاءهما ودفعه خطوات للأمام .. ومن هنا يمكننا أن نفهم القضية الهامة الثانية.

ثانياً : القضية الثانية : قضية المسيرة - الخروج الطلابى الأول إلى عرض الشارع:

لا جدال أن مسيرة الخامس والعشرين من نوفمبر حدث يستحق الاهتمام والتعمق، حيث أثارت - ولا زالت تثير داخل الجامعة وخارجها الحوار والتساؤلات -

وافتتحت عهداً جديداً من عهود الكفاح الطلابى وطرحت شكلاً راقيًا من أشكال كفاحها[1] .

ينبغى أولاً أن نوضح الدوافع السياسية « النفسانية ! » التى دعتنا - نحن أعضاء «نادى الفكر الاشتراكى التقدمى» - ودعت غيرنا من الزملاء إلى تنظيمها والخروج بها ، برغم ادراكنا للظروف الصعبة المحيطة بها وما يكتنفها من أخطار .

نحن نؤمن أن الديموقراطية ممارسة ، ولقد مللنا - وملت جماهيرنا - من الكلام المنمق عن الديموقراطية ، وبات واضحا أن السبيل الأوحد لتحقيق الديموقراطية حقا هو أن نكون ديموقراطيين بالفعل .. أن نمارس كل المظاهر الديموقراطية .. أن نثبت بالفعل ، لا بالقول ، امكانية الحركة المسئولة بالجسارة عليها .

لقد استهدفت المسيرة ، من وجهة نظرنا - أهدافا ثلاثة تحققت جميعها :

أولاً : مباشرة حق التظاهر السلمى - مباشرةً فعليةً - كأحد الحقوق الديموقراطية الأساسية التى تؤمن بها الحركة الطلابية .. (وقد كان) .

ثانيًا : كسر طوق الحصار المفروض لفصل حركة الطلاب عن جماهيرها فى الشارع المصرى (وقد تحقق هذا الهدف - وإن بشكل محدود ، لمحدودية الكتلة الجماهيرية المتواجدة فى مسار المسيرة بالنسبة للقاعدة الجماهيرية ككل.. ولكن بشكل مرض نظراً لسعة حجم الحوار الذى دار فى كل الأوساط حول المسيرة ومطالبها).

---

(١) فى حوالى شهر واحد ، انصرم على خروج «نادى الفكر الاشتراكى» بمسيرته ، خرجت من الجامعة والمعاهد العليا عدة مسيرات متتالية :

أ- مسيرة طلاب المدينة الجامعية .

ب- مسيرة طلاب معهد التعاون .

جـ- مسيرة طالبات التربية الرياضية بالجزيرة .

د- مسيرة طلاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

ثالثًا : إثبات زيف كل المبررات التى ترتكن لها القوى التى ترفض منح الجماهير الشعبية هذا الحق بدعوى استغلالها للتخريب أو اندساس العملاء فيها .. إلخ .. إلخ (حيث شهد الجميع تجربة حية ، أعقبها العديد من التجارب ، كانت مثالاً للانضباط والتنظيم) .

ومن هنا يبدو واضحًا أن المسيرة كانت عملاً سياسيًا مدروسًا - ناهيك عن اختيار التوقيت والإعداد لها الذى كان يتم علنا تحت سمع وبصر الجميع - الأمر الذى يدحض محاولات وصم الحركة الطلابية بصفه جديدة ومبتكرة .. المرض النفسى!.

وفى هذه القضية - قضية المسيرة - لم يكن ثمة خلاف بين نادى الفكر الاشتراكى التقدمى ونادى الفكر الناصرى عليها من حيث المبدأ .. كان «الاختلاف» حول التوقيت ، وتصرف كل من الناديين : كان صحيحا ومتسقا مع حساباته وقناعاته الخاصة ، وفى الحدود المسموح لها ، وقد تمت بعد المسيرة عدة لقاءات مشتركة بين الناديين للتقييم .. إنها جدلية الوحدة والصراع مرة أخرى تتحقق .

وهكذا .. ففى إطار رغبتنا الحقيقة أن يقوم الالتقاء ، التقدمى الاشتراكى - الناصرى ، على أسس وطيدة من الفهم المتبادل والتجربة المشتركة ، يمكن أن تحكم على تجربة الحركة الطلابية الرائدة .. وتصبح مسألة تأخير إعلان قيام الشكل التنظيمى الذى يجمع الناديين ، أو التباين الموضوعى لبعض مواقفهما ، أو غير ذلك من المسائل ، مفهومة ، وصحيحة .. والقضية بالأساس قضية الوقت الضرورى لكى يكتمل نمو الجنين بدلاً من أن يخرج إلى الحياة ميتا ، أو على أحسن الفروض كسيحا معتل التكوين .

تبقى ملاحظة أخري ، لا تقل فى أهميتها عما تقدم ، وإن كانت على مستوى

مختلف ، ولكن لن يتسع هنا المجال لمناقشتها باستفاضة ، وإن كان لا يجب إغفالها أو الانتقاص من قدرها لما لها من حساسية وخطورة .. وأقصد بها « الموقف العدائى للجماعات التى تعمل باسم الدين فى الجامعة تجاه كل عمل وطنى ديموقراطى ».

مثلما حدث دائمًا – وبالغ الأسف – تتحرك الجماعات « الدينية »[1] اليوم – كما تحركت فى الماضى ، وبعنف ، ضد كل شعار ديموقراطى أو موقف وطنى معيدة للأذهان ذكريات مواقف الأخوان غير المشرفة ضد اللجنة الوطنية للعمال والطلبة عام ١٩٤٦ . لقد كان آخر مواقف الجماعة الإسلامية بالجامعة تنصلها من الاشتراك فى أسبوع الجامعة والمجتمع بعد أن وافقت رسميا عليه ، وبرغم حرصنا الشديد – والمخلص – على مساهمتها فيه ، أصدرت بيانا ترفض فيه بعصبية غير مبرره التعامل مع الاشتراكيين والناصريين .. لماذا .. لأن « الجماعة الإسلامية ، تدرك تمامًا أن الإسلام الذى تتمسك به لا يمكن أن يلتقى مع الماركسية أو الناصرية لا فى الأصول ولا فى الغايات ولا فى المناهج ولا فى الأخلاق[2] ، ومن ثم فلا يمكن أن نتعاون معهم ، ولا أن نضع أيدينا فى أيديهم ، ولا فى أيدى غيرهم ممن لا يدينون بدين الحق مهما كانت الظروف »[3] .. ها قد وضعت الجماعات « الدينية » نفسها فى موضع الإله ، تكفر من تشاء وترضى عمن تشاء ، وترفض بعنجهية وغرور مناقشة كل قضايا الوطن الماسة والملحة ، وهى لا تنسى أن تضيف لأعباء التقدميين فى الجامعة « وزر ما فعله الماركسيون فى المسلمين يوم تمكنوا منهم فى روسيا وغيرها من بلاد الشرق وفى الصومال واليمن الجنوبى !!! »[4] ونحمد الله أن غاب عن بالها ما حدث للمسلمين فى الفلبين أيضًا !. وفى النهاية فهى تمد وصايتها لكى

(١) من المهم أن يكون واضحًا أننا نفرق هنا بين الدين والجماعات « السياسية » التى تتخذ من الدين ستاراً ومن شعاراته وسيلة ، ومنها الجماعة الإسلامية بالجامعة .

(٢-٣-٤) بيان رفض من الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة الصادر فى أسبوع الجامعة والمجتمع ٢٠ - ٢٧ نوفمبر ١٩٧٦ والمنشور بمجلة الاعتصام - العدد الرابع - ديسمبر ١٩٧٦ .

تشمل كافة علماء الإسلام فتحذرهم « بألا يستجيبوا لهذه الدعوة - أى دعوة المنادين لهم لكى يحدثوا الطلاب فى أمور دينهم ودنياهم - وألا يقعوا فى هذا المخطط !!! »[1] .

هذا عن مواقف الجماعات « الدينية » فى الجامعة - أو على وجه الدقة آخر مواقفها - وهناك بالإضافة لما ذكرناه ظواهر غاية فى الخطورة والجاهلية لحركتهم وسط الطلاب ، فهم لا يتورعون عن ممارسة شتى أنواع الإرهاب (الدينى) والتفريق الطائفى والتعدى على الزملاء والزميلات ، بل وعلى أعضاء هيئة التدريس أيضًا «كلية الطب » ، بل وصل بهم الأمر إلى حد فرض الفصل بين الطلبة والطالبات بالعنف الهمجى وتصفية كل أوجه النشاط الطلابى الفنى والثقافى الرياضى ببعض الكليات واحتكار ميزانية اتحاد الطلاب لصالح جماعاتهم وحدها تحت دعوي أن كل فكر لا ينبع من الإسلام أو نشاط لا يصب فيه مباشرة كفر وضلال ينبغى القضاء عليه وعلى من يؤمن به [2] .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) وقد بلغت بهم هيستريا تكفير كل من خالفهم فى الرأى أو المنطق حد اتهام الاستاذ الدكتور / حسن حنفى- المفكر الإسلامي الجاد ، ورميه بالباطل !! .

- والموقف الفكرى للجماعات « الدينية » ، وموقفهم من الأفكار المختلفة المطروحة موضوع يحتاج لدراسة مطولة ولكن على سبيل التدليل ، يمكنا بمجرد تصفح عشوائى لبعض انتاجاتهم ووثائقهم قراءة ما يلى:

- إن حتمية الحل الاشتراكى لن تكون أبداً هى السكين الذى يقطع رقاب مشاكلنا فلقد علمتنا التجربة أن المشاكل تزداد بتطبيق الاشتراكية «!!» بيان الجماعة الإسلامية بآداب القاهرة - أوائل يناير .

- إن كنتم شيوعيين ، فإن بلدنا بلد مسلم لا يرضى بغير الإسلام بديلاً .. فاذهبوا إلى حيث تشاؤون ، عيشوا هناك بكفركم وضلالكم !! .. «العدالة » - جريدة نصف شهرية تصدر عن الجماعة الإسلامية بكلية الحقوق .. العدد الأول ، ص ١ ، ١٩ ديسمبر ١٩٧٦ م .

- إنه الآن يصب لعنته صباح مساءً على الذين خدعوه وكذبوا عليه وعلى أبناء جيله من ذلك العهد حتى رآهم وقد خرجوا من الحيرة التى كانوا فيها إلى مصائد الشيوعية والإلحاد التي رسخت أقدامها فى ذلك العهد ، أما هو فقد خرج من حيرته إلى دينه العظيم وإسلامه الحنيف الذى كانت تحجبه عنه مراكب النفاق والخداع والأكاذيب من عملاء الإلحاد وأصحاب المبادئ الهدامة ..... كانت لعنة علي ذلك العهد وعلى الـذين =

لقد حق عليهم ما رصده أستاذنا الكبير د. محمد أحمد خلف الله « مستقبل الفكر الديني في الوطن العربي - قضايا عربية - العدد ٢ - آيار ١٩٧٤ » حين قال « ونحن حين ننظر في حاضرنا نرى شيئًا معاداً يختلف كثيرً عما نراه في ماضينا، شيئًا يؤذن بالقول بأن اتجاه الفكر الديني عندنا ليس إلي التقدم وإنما هو بالجمود أن لم يكن إلى التخلف .

أما ماضينا القريب .. فيظهر فيه الفكر الديني عاجزاً عن مسايرة الحياة ، لأنه فكر ضعيف .. غير قادر أبداً على تقديم الحلول لمشكلات الحياة ، وإيجاد القواعد والتنظيمات التي تمارس بها الحياة . ومن هنا انصرف الناس عنه ، والتمسوا الحلول لمشكلاتهم من القواعد التنظيمية التي وضعت في مجتمع غير مجتمعهم ولبيئة غير بيئتهم ».

مع بالغ الأسف ، لقد اختارت الجماعات « الدينية » في الجامعة موقفها ضد الديموقراطية ، ومع الاستغلال والتخلف والجاهلية ومع كل ما يثبط همم الإنسان وينتكس بمسيرة تحرره ، اختاروا أن يتلهوا ويلهوا الناس في قضايا شكلية وحوارات جوفاء لا طائل من خلفها ، واستبدلوا الجوهري في العقيدة بالقشور الظاهرة .

لقد كان حرصنا شديداً على أن ينضم لصفوف الطلاب الوطنيين كل الشرفاء من أبناء وطننا بشتى مواقفهم الفكرية ، فهذا أدعى للحوار وأثرى للحركة . ولا زلنا

= فرضوا هذا الجر على مصر » - خواطر شاب من جيل الثورة بعد أن وضحت أمامه الطريق - نفس المصدر ، ص ٥ . ولك مني السلام يا دولة الاتراك « يقصد الاحتلال العثماني » ، يا حامية الاسلام طيلة قرون أربع ! يا موحدة العلم الإسلامي بعد طول تفرق ! ، .... « العالم الإسلامي بعدك صريع .. غريق دمائه .. تلوك الذئاب دمه في الفلبين ، والصومال ، وأريتريا ، والاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية .. وتايلاند !!! ... أن مصر ستبني على الإسلام ، وستهتدي بهداه في السياسة والقانون ، والاجتماع والاقتصاد ، وستقوم للإسلام خلافه تعيد للتاريخ سيرته ، وعندئذ تدخل الجرذان جحورها وتلزم الخفافيش أوكارها !!! المصدر السابق ، ص ٧ .

نؤمن بأهمية أن يتحقق ذلك . وهى مسئولياتنا التي لا مناص من تحملها .

أن الحركة الطلابية ابن شرعى للحركة الوطنية الديموقراطية فى مصر منذ فجرها المشرق ، وهى لا تدعى لنفسها العصمة أو القداسة ، وتقبل بصدر رحب كل التقييمات الموضوعية والانتقادات البناءة لمواقفها وبرامجها وأفكارها ، وتمد أيديها بإخلاص لكل الذين يعملون بهمة وجسارة من أجل النهوض بهذا الوطن . وفى نفس الوقت فهى لا تتهاون ولا تفرط فيما تعتقد أنه الصحيح والمبدئى .

فى هذا الشهر تحل ذكرى اليوم العالمى للطلاب ، ٢١ فبراير ١٩٤٦ والذى يحتفل به طلاب العالم أجمع تضامنا وتمجيدا لكفاح طلاب مصر وشعبها الباسل ضد الاحتلال والخونة .

نحن نحنى هاماتنا إجلالاً وتعظيماً لذكرى شهداء الحركة الوطنية والطلابية ونعاهدهم على الاستمرار .. ومرحباً بالحوار الخلاق - بالفكر والعمل - على أرضية الولاء لمصر . ولإنسانها الكادح العظيم .

ربع قرن على
الانتفاضة الوطنية لطلاب مصر

كل الديموقراطية للشعب

كل التفانى للوطن

من رحم هزيمة ١٩٦٧ وُلِدت الحركة الطلابية الجديدة فى السبعينيات من انهيار المثل وخيبات الأمل واكتشاف حجم المأساه والإحساس العميق بوطأة الإحتلال ، ومن مهانة الوضع القائم فى مواجهة الرايات الصهيونية المختالة التى كانت ترفرف فوق التراب الوطنى المقدس، انفجرت صواعق الغضب الطلابى فى موجتين متتابعتين ، كانتا مقدمة للإنفجار الكبير .

أولاهما : فى فبراير ١٩٦٨[1] ، احتجاجاً على الأسباب التي قادت للهزيمة وتجسدت فى النتائج الهزيلة لمحاكمة قادة الطيران.

فقد كان الشعور العام أن النظام بدلاً من أن يقوم بمراجعة شاملة وعميقة ونقدية صارمة للأسباب الموضوعية للهزيمة ، اكتفى بتقديم كبش فداء صورى حُمِّل أوزار الوضع برمته وغطى بالتالى الحقائق الأساسية للموقف ، وأبقى على عناصر الخلل التى قادت الهزيمة .

وفى ذكرى اليوم العالمى للطلاب ، من جامعتى القاهرة وعين شمس ، ومن حلوان حيث القاعدة العمالية الكبيرة ، تم لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث منذ يوليو ١٩٥٢ الخروج عن سطوة أجهزة النظام ، ومحاولة التحرر من قبضتها .

كانت تفاعلات يونيو ١٩٦٧ تغلى تحت السطح الهادئ ، ففى أعقاب صدمة الهزيمة تماسكت جماهير الشعب لشعورها بالخطر الرابض على مرمى حجر من القاهرة، كان سلوكها المثالى وانتظامها الفورى فى الصفوف المقاومة للإحتلال ، مرجعه الأساسى إدراكها لمغزى العدوان وإرادة التحدى الكامنة فى أعماقها ، والتي دفعتها لعدم تمكينه من تحقيق أهدافه ، لكن فى المقابل ، كانت هناك نقمة عارمة على

(١) لمزيد من التفاصيل حول الانتفاضات الطلابية عام ١٩٦٨ ، راجع سلسلة مقالات د. هشام السلامونى بعنوان « الجيل الذى واجه عبد الناصر والسادات » ، مجلة روز اليوسف ، بدءاً من العدد (٣٥٨٤) ، ١٩٩٧/١٢/١٧ .

الأوضاع التى قادت إلى حرب ذبح فيها جيشنا دون أن يُعطى فرصة حقيقية للقتال، يثبت عبرها قدراته ، ويؤكد فيها إمكاناته الفعلية ، فالإهمال الجسيم والانهيار المخزى للقيادات عكسا بوضوح تفسخ الطبقة الحاكمة وعجزها من تجسيد الشعارات المطروحة التى تم تفريغها من مضمونها بواسطة جهاز غير ديمقراطى ، بيروقراطى، سرطانى التمدد، امتص عائد جهد المجتمع وبدد نائج تضحياته .

والثانية : فى نوفمبر من نفس العام ١٩٦٨ وهذه المرة جاءت من خارج القاهرة ، العاصمة / الدولة ، لتعلن أن شرارة الغضب الكامن بدأت فى الامتداد إلى أنحاء الوطن كله .

فمن المنصورة يبدأ الصدام احتجاجًا علي صدور القانون الجديد للتعليم العام ، ويفجر الموقف بإطلاق الرصاص على مظاهرات الطلاب السلمية ، ثم يمتد اللهيب إلى الإسكندرية العاصمة الثانية للبلاد ، التى يرتفع مستوى الصدام فيها بين الأجهزة الأمنية والطلاب إلى حد غير مسبوق ، يعلن بوضوح أن الفراق التام بين النظام وبين الجماهير الطلابية قد وقع ، ورغم كل محاولات تشويه التحركات الطلابية التى استغلت فيها أجهزة الإعلام كل قدراتها الديماجوجية ، فالواقع أن جزءًا كبيراً من هيبة النظام قد اهتزت ، لقد بدا واضحًا أن الجماهير المصرية - معبرٌ عنها بأبنائها من الطلاب - يقاضون السلطة ثمن الهزيمة ويبحثون عن مخرج يخلص الوطن من مأساته .

على مشارف السبعينيات إذن كانت الجامعة المصرية ، العريقة بتقاليدها النضالية ، تستعيد سيرتها الأولى ، وتنفتح على أصداء - لا زالت ترن فى الأسماع - للصفوف الطويلة المتتابعة التى رفعت الرايات وهتفت ملء الحناجر ، وتقبلت زخات الرصاص بالصدر الأعزل ، هاتفة : «**الاستقلال التام أو الموت الزؤام**»، «**نموت نموت ويحيا الوطن**»، «**نموت نموت وتحيا مصر**» .

والأهم من هذا كله أن وعيًا بالذات ، بالقدرة الخلاقة للجموع ، كان قد بدا يسرى بين الصفوف ، وبدأ كم هائل من التساؤلات يطرح نفسه : من نحن ؟ وعمن نعبر ؟ وما هى جذور انتماءاتنا الحقيقة ؟ وعن أي مصلحة ندافع ؟ ، وما هو دور الجماهير ودور الجامعة ودور الطلاب فى هذا كله ؟ .

ثلاثة مصادر للتأثير :

كانت محاولة الإجابة على كل هذه الأسئلة المطروحة هى المهمة الكبرى لطلائع الحركة الطلابية ، وبدأت رحلة تفتيش كبرى عن بدائل لثقافة وفكر الطبقة المهزومة ، وفى ظل مصادر ثلاثة للتأثير ،ألقت بظلالها على وقائع تلك الأيام ، بدأت رحلة هذه الطلائع خلال عقد كامل من السنين :

المصدر الأول : إنطلاقة الثورة الفلسطينية التى مثلت الرد الموضوعى على وضعية الهزيمة ، فالشعب المقاتل ، بالسلاح فى أيدى الجماهير ، بالصدام الفدائى – الحقيقى مع العدو – بالإمكانات المتاحة (دون اللجوء لشماعة تفاوت القدرات العسكرية بيننا وبينه) ، بالحسم فى مواجهة أسباب الهزيمة .. هو الطريق الذي لا طريق غيره للتحرير .

المصدر الثانى: الصمود الفيتنامى ضد الإمبريالية الأمريكية ، فها هو شعب فقير ، فلاحى ، مسالم ،يُفرض عليه أن يواجه أعتى إمبرياليات التاريخ ، فلا يتراجع ولا ينحنى ولا يهرب من أعباء المواجهة ، بل يتحملها بصبر أسطورى ، ويواجهها بعبقرية الشعوب حين تدافع عن أسباب الحياة ، وينتصر .. ونحن أيضًا يمكننا أن نفعل ! .

أما المصدر الثالث : فقد كان المثل « الجيفارى » النبيل ، للتضحية

بالذات ، ولهجر كافة ملذات الحياة ، وإغراءات المنصب استجابة لنداء الثورة ، وتلبية لواجبات الثورى الحقيقى فى مواجهة ثورى المكاتب ، المناضلين ، الرسميين والمتاجرين بالنظريات والمبادئ .

من هذه المصادر الثلاثة بدأت رحلة اكتشاف طلائع الحركة الطلابية فى السبعينيات للأفكار الثورية أفكار (جديدة / قديمة) فى آن واحد رحلة لا تعبأ كثيراً بالوقوف أمام قدسية النص ، أو الغرق فى محاورات بيزنطية عقيمة ، معزولة، بقدر ما تهتم بتجسيد روحه فى النضال اليومى للجماهير فى الشارع .

لا يمكن القول بأن الأمور بدأت واضحة جلية منذ الخطوة الأولى ، لكن مع تطور الأحداث ومقتضيات الكفاح اليومى ، وتبلور الوعى بين الطلائع الطلابية ، كانت انتماءاتهم الفكرية تتضح بصورة أكثر تحديداً ، وأشد سطوعًا ، وكانت مفاهيم جديدة كل الجدة تتسرب إلى مداركهم :

(قيادة الطبقة العاملة ، حرب التحرير الشعبية ، الكفاح المسلح ، الحزب الثورى، الديمقراطية الشعبية ، اقتصاد الحرب .. إلخ) ، كما كان الشق يزداد تعميقًا يومًا بعد يوم آخر ، بينها وبين مواقف النظام ، خاصة بعد مايو ١٩٧١ .

والحق أن الحركة الطلابية كانت من أوائل القوى - إن لم تكن أولاها على الإطلاق - التى أدركت بوعي نقى لا تشوبه شائبة ، وبحس غريزى صادق ، أن البلاد مقدمة على مرحلة خطيرة للغاية ، تقتضى انتباها فائقا ، وحركية عالية فى مواجهتها .

كانت الحركة الطلابية قد اكتسبت أرضًا جديدة فى الفترة التي تلت انفجارات ١٩٦٨ ، خاصة فى كليات الهندسة ، وهندسة القاهرة بالتحديد ، وكان أهم انجازاتها - فى الواقع - تبلور مجموعة إطارات تنظيمية مستقلة ، متناثرة هنا

وهناك : جمعيات وجماعات وتشكيلات متعددة ، ذات طبيعة (يسارية) متقاربة، نهضت بصوره شبه تلقائية على امتداد أغلب كليات جامعات ومعاهد مصر تحمل ذات الهموم ونفس التوجهات ، وتسعى خلف تحقيق أهداف واحدة ، ويزداد تمايزها يوم بعد يوم عن مؤسسات السلطة ، وترتفع قدراتها على استقطاب القاعدة الطلابية مع كل صدام لانتزاع استقلالية الكيان التنظيمي المستقل لها ، كما أنها استطاعت بالعبقرية العفوية للجموع ، ابتكار صيغ وأشكال جديدة للتعبير : (صحف الحائط - المعارض الفنية المفتوحة - الحفلات الغنائية الثورية .. إلخ) ، واكبت الطرق التقليدية المتوارثة عن الأجيال السابقة (المؤتمرات - المظاهرات - المنشورات .. إلخ)، الأمر الذى حول الجامعة - بالفعل - إلى رئة ديمقراطية ، يتنفس عبرها المجتمع كله نسيم الديمقراطية الشعبية الحقيقية ، وكعبة لدعاة التغيير ، ورافضى واقع الهزيمة .

ومن هنا كان انفجار الانتفاضة الطلابية الكبرى (١٩٧٢ - ١٩٧٣) قمة طبيعية أو ذروة موضوعية للتصعيد الدرامى للوضع فى مصر وجامعاتها .

عام الضباب وانفجار الطوفان :

فى يوم الخميس ١٣ يناير ١٩٧٢ وجه أنور السادات خطابًا للأمة ، برر فيه تقاعسه عن تنفيذ وعده - بأن يكون عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، ضد العدوان الإسرائيلى - بأن ضباب الحرب الباكستانية الهندية قد أعاق تنفيذ هذا الوعد[١]، وفى يوم السبت ١٥ يناير ، كان الرد الطلابى فورى وحاسم ، فغمرت جامعات مصر آلاف المنشورات وصحف الحائط التى تندد بهذا العذر الواهى ، وتهيب بالشعب التداعى لوضع حد للعبث بمصير الوطن .

---

(١) جريدة الأهرام ، ١٩٧٢/١/١٢ .

كانت البداية بمبادرة من جماعات أنصار الثورة الفلسطينية ، وغيرها من الجماعات (اليسارية) ، بكلية الهندسة جامعة القاهرة - التى دعت لمؤتمر حاشد عقد يوم الإثنين ١٩٧٢/١/١٧ ، حيث نادى الطلاب بتسليح الجماهير للقيام بدورها فى مواجهة العدوان الصهيونى ، ورفضوا تمييع القضية فى متاهات الحل الاستسلامى وأدانوا سياسات اللاسلم واللاحرب ودعاتها ، كما طالبوا بقطع العلاقات مع الأب الروحى لعدونا : الإمبريالية الأمريكية ، وبتدريب الطلاب على الأعمال العسكرية ، وأعلن الطلاب عن عقد مؤتمر موسع آخر يوم الأربعاء ١٩٧٢/١/١٩ ، حضره ممثلاً عن النظام د. أحمد كمال أبو المجد - وزير الشباب - يومئذ ، الذى اضطرته حدة التساؤلات المطروحة أمامه ، ووضوحها إلى الاعتراف بأنه لا يملك لها إجابة ولا يستطيع رداً ، ومن هنا كان تصاعد الانتفاضة بالدعوة للاعتصام العام الذى امتدت آثاره وسرت فى أنحاء جامعات مصر سريان النار فى الهشيم ، وانتخبت اللجان الوطنية بالكليات التى انتخبت بدورها اللجنة الوطنية العليا لطلاب مصر(*) ، كقائد شرعى ووريث حقيقى للتقاليد النضالية لطلاب مصر وشعبها ، واستمراراً لقيم الكفاح الوطنى لـ «اللجنة الوطنية للعمال والطلاب» ، التى تألفت فى الأربعينيات من هذا القرن.

وقد أشرفت «اللجنة الوطنية العليا» - التى حظت باحترام فورى واسع النطاق - على تنظيم الاعتصام الكبير فى الجامعة ، وعلى إدارة شئون الانتفاضة الطلابية بكفاءة واقتدار ملحوظين ، وفى مناخ تشويه ضغوط هائلة ومحاولات مستميتة من السلطة وأجهزتها ، تستهدف شل حركتها وعزلها عن جماهيرها .

وحيال موجات الاضرابات والاعتصامات الطلابية التى عمت البلاد ، واستقطبت

(*) ضمت : أحمد عبد الله (ممثلاً لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ، وزين العبدين فؤاد (ممثلاً لآداب القاهرة) ، وشوقى الكردى (طب بيطرى) ، وأحمد بهاء الدين (هندسة القاهرة) .

الاهتمام العام فى الداخل والخارج ، لم تجد السلطات ما تواجه به ثورة الشباب الجديدة ، إلا باقتحام الحرم الجامعى بالمصفحات والقنابل المسيلة للدموع للمرة الأولى فى تاريخ مصر ، وإلقاء القبض على الآلاف من الطلاب والطالبات المعتصمين ، فجر يوم ٢٤ يناير ، لكن ذلك لم يوقف استمرار الاضرابات وحركات الاحتجاج العنيف ، التى نزلت إلى الشارع المصرى بصورة لم يسبق لها مثيل ، تطالب بالإفراج عن الزملاء المعتقلين ، وتكون اللجان الوطنية ، فى كل مكان ، وخرجت الحركة الطلابية من خلف الأسوار لكى يتم التحامها التاريخى بالجماهير فى الشارع، مجسدة حالة نادرة من حالات الاكتمال والتحقق ، حاولت السلطة - بإدراك واع حظر استمرارها - ووضع حد لها بالإفراج عن المعتقلين ، ومحاولة امتصاص الغضبة الطلابية العارمة .

وعلى امتداد نحو ثلاثة سنوات كاملة (١٩٧٢ ، ١٩٧٥) أصبحت الجامعة أشبه ما تكون بـ «منطقة حرة» تحققت فيها ، عبر العشرات من المعارك اليومية ، والتضحيات الجسيمة ، مكاسب ديمقراطية ملموسة للقاعدة الطلابية ، كحق التنظيم والتعبير والتظاهر والإضراب والاعتصام ، وغيرها من الحقوق ، ولأول مرة فى تاريخ مصر السياسى ، منذ يوليو ١٩٥٢ .

تجربة التنظيم الطلابى الديمقراطى المستقل :

نادى الفكر الإشتراكى التقدمى :

كان تأسيس نادى الفكر الإشتراكى التقدمى ذروة الجهد التنظيمى للقوى اليسارية فى الجامعة ، فبعد حوار متعدد الجوانب واسع المدى شمل الخطوط العامة لبرنامج نضالى مشترك ، توحدت تحت رايته هذه الجماعات ، وقد تم انتخاب ممثلين لكليات الجامعة انتخاباً ديمقراطياً حراً ، أعقبه تشكيل هيئة تنفيذية انتخبت أمينا

عاما للنادى[*] ، واستطاع هذا الكيان فى الفترة القصيرة التى قاد العمل خلالها (مايو ١٩٧٦ - ١٩٧٧) أن يرتقى بأساليب النضال ، وأن يعيد تنظيم الصفوف التى كان قد اعتراها الوهن نتيجة لتخرج عدد كبير من الكوادر الأساسية من جهة ، ولملاحقات النظام لباقى الكوادر من جهة أخرى .

وقد كان من أبرز **نشاطات الفكر الاشتراكى التقدمى** الإنجازات الثلاثة التالية :

١- إنجاز **مشروع برنامج وطنى ديمقراطى للنضال** جسد خلاصة فكر الحركة الطلابية اليسارية فى السبعينيات وعكس رؤية اليسار المصرى لطريق الخروج بالمجتمع من أزماته .

٢- الحوار المتصل مع الإتجاه الناصرى فى الجامعة (**حوار الجيل** - كما أطلق عليه) ، والذى توصل إلى صيغ للنضال المشترك ، وبرنامج للنشاط الجماعى فى الجامعة .

٣ - **أسبوع الجامعة والمجتمع** (٢٠ - ٢٧ نوفمبر ١٩٧٦) : وقد كان هذا الأسبوع من أهم الأحداث السياسية فى الجامعة والتى تلت وقائع انتفاضة ١٩٧٢، واعتبره السادات (بروفة) الانتفاضة الشعبية فى (١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٧) ، وقد تكلل هذا الأسبوع السياسى بمظاهرة حاشدة توجهت إلى مجلس الشعب ، حيث سلمت المسئولين فيه بياناً احتوى مطالب الحركة الطلابية مجسدة فى البنود التالية[**] :

- رفض صيغة الأحزاب الحكومية .
- إلغاء التشريعات المقيدة لحريات الجماهير .

(*) هو كاتب هذه السطور ، طالب كلية الهندسة - جامعة القاهرة - آنذاك .

(**) تسلم البيان عبد المنعم الصاوى ، وكيل مجلس الشعب آنذاك ، ووزير الثقافة فيما بعد .

- تحسين وسائل معيشة الشعب ورفع الحد الأدنى للأجور .

- حق الجماهير فى التعبير بالرأى والتظاهر والإضراب .

- إلغاء جميع البدلات لكبار موظفى الدولة .

- رفض سياسة رفع الدعم .

- رفض سياسة الانفتاح الإقتصادى .

- رفض اتفاقية الفصل بين القوات .

- رفض تواجد أجهزة الإنذار والتجسس الأمريكى بسيناء .

- حق إقامة فصائل المقاومة الفلسطينية والعمل بمصر ، وحق الشباب المصرى فى التطوع للنضال فى صفوفها .

والجدير بالذكر أن عدداً من قيادات نادى الفكر الإشتراكى كانوا من الذين وُجهت إليهم تهمة تزعم الإنتفاضة الشعبية فى يناير ١٩٧٧ .

نحو تقييم موضوعى للحركة الطلابية المصرية السبعينيات:

يمكن - اختصاراً - تقييم الحركة الطلابية من أوائل السبعينيات وحتى عام ١٩٧٧، باعتبارها انتفاضة طلابية وطنية ديمقراطية واسعة النطاق ، قادتها طلائع يسارية صلبة ، سببها فقدان الثقة فى المؤسسة الحاكمة وسياساتها الداخلية والخارجية ، ودفعها للتفجر رفض الأمر الواقع (مواضعات الهزيمة وانعكاساتها)، والعجز عن قبوله أو التكيف معه ، وفى مناخ افتقدت فيه كل الحريات الديمقراطية الحقيقية وغابت فيه الأطر السياسية الديمقراطية الفاعلة التى تستوعب الطاقات الكامنة فى النفوس .

ولقد تميزت حركة السبعينيات الطلابية بمجموعة هامة من المميزات ، كما شابت خطواتها مجموعة من السلبيات والنقائص لابد من دراستها ، ووضع تقييم حقيقى لها.

أولاً : الإيجابيات :

يمكن رصد مجموعة من العناصر الإيجابية فى هذه الحركة أهمها :

١- مثلت هذه الحركة أكبر تحرك جماهيرى واسع النطاق ، خارج الأطر المؤسسة للنظام ، منذ سنة ١٩٥٢ ، سواء كان ذلك علي مستوى الحجم ، أو الاستمرارية ، أو نوعية القضايا المطروحة ، أو حدة الصدام مع مؤسسات القمع الرسمية .

٢- طرحت الانتفاضة الطلابية مجموعة من القضايا العامة ، التى تهم كافة أبناء الوطن ، فاستعادت بذلك تقاليد النضال الطلابى القديمة ، بعد سنوات من محاولات الاستيعاب والإلهاء ، وتحويل جهد الطلاب للحفلات والنشاطات الترفيهية الشكلية .

٣- حركت حالة الركود السياسى التى سيطرت علي البلاد خاصة بعد استيلاء السادات فى ١٥ مايو على مقاليد السلطة فى مصر .

٤- طرحت الموقف الاستقلالى عن النظام ومؤسساته لأول مرة فى مصر منذ عام ١٩٥٢ بقوة ووضوح ، عبرت عن طموحات الاستقلالية التنظيمية بوعى ، وسعت لخلق « أجنة » لم يكتمل نموها ، لكنها جسدت الإمكانيات الموضوعية لهذا الأمر ، وألقت الضوء على الضعف التنظيمى لحركة اليسار المصرى ، وضرورات تجاوز هذا الواقع .

٥ - طرحت مبادئ برنامجية ، احتوت أغلب الشعارات الأساسية للنضال الوطنى والثورى ، والتى لا تزال - حتى الآن - وبرغم مرور ما يقرب من الخمسة والعشرين عامًا ، صحيحة فى مجملها كقضايا الديمقراطية والعلاقات بأمريكا ، والموقف من العدو الصهيونى والثورة الفلسطينية ، وكذلك أكدت تبنيها للمطالب الاجتماعية للطبقات الشعبية .

٦- أعلنت راية التضامن النضالى مع الشعوب المناضلة فى العالم أجمع ، وبالذات الثورة الفلسطينية ، التى احتلت نشاطات مناصرتها موقع القلب من نضالات الحركة الطلابية المصرية .

٧- اكتسبت قاعدة جماهيرية عريضة لصف الفكر اليسارى ، لأول مرة فى تاريخ الجامعة المصرية ، والمجتمع المصرى بأكمله ، وعودت المواطن المصرى على التعامل معه بشكل طبيعى ، بعد سنوات من العزلة بتأثير الحملات المغرضة ، واكتسبت تعاطف الهيئات المعنية والنقابات المهنية والتجمعات خارج الجامعة .

٨- وضعت أساسًا عملية للحوار بين الفصائل الوطنية المصرية (الماركسية / الناصرية) بصورة أساسية ، وأوجدت هامشًا واسعًا للتعاون على أرضية برنامجية تؤكد نقاط التلاقى ، ولا تغفل تباين المنطلقات أو مواقع الاختلاف ، وتتجاوز حساسيات المرحلة السابق فى مواجهة مقتضيات الوضع الراهن ومسئولياته .

٩- نقلت العمل السياسى المباشر ، إلى الشارع المصرى بعد أن تم احتواؤه لفترة طويلة من الزمن داخل الأروقة والمؤسسات ، وأوصلت القضايا السياسية إلى كل بيت مصرى عن طريق تطورات الواقع فى الجامعة ، وعن طريق الطلاب المنتشرين فى أنحاء البلاد .

١٠- ساعدت على كسر احتكار العمل السياسى بتشجيع كافة النقابات والتجمعات المهنية على المبادرة باتخاذ موقف من الأحداث مما ساعد على إلغاء احتكار العمل السياسى عن طريق الحزب الواحد ، الأمر الذى كان له فيما بعد أثر كبير فى إنشاء المنابر ، ثم الأحزاب السياسية القائمة الآن .

١١- كسرت حاجز الرهبة من نتائج التعبير عن الرأى ، والخوف من السلطة ومن مغبة اتخاذ موقف سياسى ، بعد أن أصبحت عملية الدخول إلي المعتقل والخروج منه عملاً يومياً شبه روتينى للآلاف من الطلاب .

١٢- كونت بؤرة إشعاع نضالى - فى بدايات حكم السادات - عبرت بصدق وقوة عن روح المقاومة فى الشعب المصرى ، وعن الضمير الوطنى ، فى وقت عز فيه الرأى المخالف ، وندرت فى الأصوات المعارضة .

١٣- صححت الرؤية للموقف (اليسارى) ، (الماركسى) ، من الشوائب التى علقت به فى مواجهة إنشاء دولة العدو الصهيونى ، ونالت شرف أن الحركة الطلابية (اليسارية) المصرية - كتعبير عن الضمير الوطنى المصرى - والتى قادتها العناصر الماركسية واليسارية فى مصر ، كانت أول وأصلب القوى الدافعة باتجاه عدم التنازل فى مواجهة العدو الصهيونى ، والمطالبة بإعداد العدة للقتال تطهيراً للتراب الوطنى، الأمر الذى شكل أحد أهم الدوافع وراء خوض غمار حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

١٤- اكتسبت مجموعة من خبرات تنظيمه / حركية قيمة ، عبر التجربة والخطأ، مثلت زاداً كبيراً لإغناء الواقع السياسى المصرى .

١٥- طرحت الضرورات الموضوعية لإنشاء حزب نضالى مصرى يمثل الكادحين المصريين ، وبقيادة الطبقة العاملة المصرية ، وفتحت الحوار حول دور وحدود الحركة الطلابية المصرية فى هذا السياق .

وفى مقابل هذه العناصر الإيجابية وغيرها ، التى لا يتسع المجال لذكرها ، فلقد برز فى مسار الحركة الطلابية العديد من السلبيات ، لعل أبرزها :

- الضعف الفكرى العام ، الذى أدى إلى ارتفاع النبرة الخطابية فى أطروحات الحركة ، وتدنى مستوى التحليل السياسى الاقتصادى ، وغلبة روح العمل التحريض علي مجمل النشاطات داخل الجامعة وخارجها .

- العجز عن تجسيد فكرة الالتحام بالطبقة العاملة (لظرف موضوعى هو غياب الشكل التنظيمى الذى يجسدها بالأساس) .

- عجز البنى التنظيمية عن استيعاب الزخم الطلابى ، أو الطاقات الضخمة التى كانت متوافرة ، وبقاء صورة العمل السياسى فى الجامعة على النحو التالى : نخبة طلابية شديدة الاهتمام بالعمل السياسى الدائم ، يقابلها قاعدة واسعة يبرز اهتمامها فى أوقات الذروة ، ثم تعود لحالة الركود فى أغلب الأوقات .

- عجز الحركة الطلابية عن بناء مؤسسات تنظيمة ذات صيغة استمرارية دائمة ، تصمد لعناصر الضغط ، ومحاولات التصفية المستمرة ، وهو ما ترتب عليه .

(أ) ضعف الخبرات المنقولة ، والعجز عن تسليم حاصل التجربة المتراكمة للأجيال الجديدة .

(ب) تغليب الجانب السياسى فى النشاط ، على حساب الجانب الاجتماعى / الخدماتى بشكل مطلق ، مما أبعد قطاعات هامة من الطلاب عن استمرار المشاركة فى العمل الطلابى ، خاصة فى فترات الجذر وانحسار الظروف الصدامية التى كانت تشد انتباه الجميع ، (وهو ما أفادت منه الحركات اليمينية و « الإسلامية » إفادة جيدة فيما بعد) .

(جـ) محدودية الحركة فى أوساط طلاب الجامعة ، فى المقام الأول ، وعجزها عن تطوير علاقاتها فى المعاهد أولاً ، والمدارس الثانوية ، ثانيًا ، وبين أوساط خارج الجامعة ، على المستوى الآخر .

(د) العجز عن إيجاد بدائل للاستمرار فى حالات الجذر أو الانقطاع ، مما أفسح المجال بعد رحيل جيل قيادات الانتفاضة بخبراته وعلاقاته ، لسحب القاعدة الطلابية من الاتجاه اليسارى ، واستغلال هذا الظرف لتصفية الحالة الثورية فى الجامعة ، والانقلاب بها للاتجاه المضاد .

غير أن هذه الملاحظات ، وغيرها مما لم يتسع المجال لذكرها ، لا تقلل من «القيمة التاريخية » للانتفاضة الطلابية فى السبعينيات ، تلك الانتفاضة التى دخلت تاريخ الوطن باعتبارها علامة على رفض الهزيمة، والطموح لتجاوز الوضع القائم ، والسعى من أجل تحقيق الديمقراطية للشعب ، والتفانى فى سبيل مصالح الوطن .

فجر اليوم الرابع والعشرين

شهادة من جيل الغضب(*)

(*) نشرت مختصرة فى جريدة الأهالى ، ٢٩ /١/ ١٩٩٧

إن التاريخ لا يعرف مجتمعًا لعب فيه الطلبة ، والمثقفون بصفة عامة ، دوراً طليعيًا في الحركة الوطنية ، كما حدث في مصر ».

(والتر لاكير)

في مثل هذه الأيام ، منذ ربع قرن ، كانت جامعات مصر ، ومعاهدها وساحاتها العلمية ، مسرحًا لانتفاضة طلابية عارمة ، شملتها من أقصاها إلى أقصاها ، زلزلت أركانها ، وأركان الوطن ، بما طرحته من شعارات ، وما مثلته وعكسته وأثارته من دلالات وتفاعلات ، وبما جسدته من وقائع وملابسات .

ومن منظور تاريخي ، فإن مرور خمسة وعشرين عامًا على حدث من الأحداث يمنحنا - إلى حد كاف - مدىً زمنيًا مقبولاً ، يتيح للمعنيين القدرة على تناول وقائعه، بموضوعية ، ويسمح لهم بالنظر إليه بروية وتدقيق ، وبحيدة وتعمق ، مما يساعد على استخلاص دروسه الحية ، والتوصل إلى نتائج صحيحة من تحليل دوافعه.

وتثير انتفاضات الطلاب - في مصر وعمومًا - العديد والعديد من الأسئلة والقضايا التي تحتاج إلى الدرس ، مثل موقع الفئات الطلابية من التكوين الطبقي للمجتمع ، وموقفهم من حركة النضال الوطني والطبقي ، ومن العمل السياسي والنقابي ، وقضايا العلاقة بين التنظيم والعفوية في النضال الطلابي ، ودور الأيديولوچية والوعي الوطني في اجتذاب القواعد الطلابية لساحات الممارسة السياسية .. إلخ ، وهي قضايا تحتاج إلى تناول علمي موضوعي واسع الأفق لدراستها ، وهو ما لم يحدث حتى الآن ، بل أن واقع الحال ، أن حركات الطلاب الوطنية الديموقراطية في مصر ، قد تم تجاهلها بشكل مريب ، فهي لم تحظ - حتى

الآن - بما يليق بها من تناول بحثى ، ولم تهتم جهة أكاديمية ما بتسجيل وقائعها وتطوراتها وتقصى آثارها ونتائجها .

وإذا صح دائمًا أن الطلاب في مصر قد لعبوا دوراً طليعيًا في النضال الوطني ، بصورة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً ، مثلما يؤكد « والتر لاكور» ، فالأصح والمؤكد أن انتفاضتهم الأخيرة الكبرى ، والتى بلغت ذروتها فى أواخر شهر يناير عام ١٩٧٢ قد تركت بصمة لا تمحى على التاريخ المعاصر لبلادنا ، وشكلت مع الانتفاضة الشعبية في ١٨ ، ١٩ يناير عام ١٩٧٧ حدثين فاعلين ومؤثرين فى مسار الوطن خلال العقود الأخيرة ، ولا يستطيع أى مراقب أن يتجاهل ما كان لهذين الحدثين الكبيرين من أثر مباشر على قضايا الصراع الرئيسية فى مصر : الديموقراطية ومسألة الحرب والسلام فى مواجهة العدو الصهيونى ، والتوجهات الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الحاكمة ، وطبيعة التحالفات الداخلية والخارجية لها .

من الشرارة يندلع اللهيب :

من رحم هزيمة ١٩٦٧ ، ، وتمرداً على كل الظروف والأوضاع التى قادت إليها ، ولدت حركة الطلاب الوطنية الديمقراطية الحديثة فى مصر .

فى فبراير ١٩٦٨ انفجرت الجامعات المصرية - ظاهريًا - احتجاجًا على النتائج الهزيلة والهزلية لمحاكمة القادة المسئولين عن الكارثة التى حاقت بالوطن ، لكن فى الواقع كان الشعور العام لدى الشباب أن النظام - بدلاً من أن يقوم بمراجعة شاملة وعميقة ونقدية صارمة للأسباب الموضوعية الهزيمة ، اكتفى بتقديم كبش فداءٍ حمّله أوزار الوضع برمته دون أن يعالج جذور الخلل الضاربة فى الأعماق ، وتكررت الوقائع .. وإن اختلفت الدوافع - فى شهر نوفمبر من نفس العام.

ومع مطلع عام ١٩٧٢ كانت التداعيات جميعها تشير إلى أن الوضع قد آذن

بانفجار جديد ، أشد وأعم ، فالجامعات المصرية أصبحت أقرب للمناطق المحررة ، تموج أركانها بحركة توعية هائلة، وتزدان جدرانها بصحف الحائط التى تتناول فى جرأة وتحدٍ كل القضايا التى تهم الوطن والشعب ، فيما تعج أروقتها وقاعات المحاضرات فيها بحوار سياسى مفتوح يتناول كا ما يهم البلاد من موضوعات : المظاهرات الحاشدة والمسيرات الهادرة والمؤتمرات والندوات والحفلات السياسية والفنية التي يدعى لها كبار المثقفين الوطنيين والديموقراطيين لا تنقطع عن الحرم الجامعى ، وأهم من ذلك كله انتشار روح جديدة سرت فى جامعات مصر ، من أدناها إلى أقصاها ، انتشار النار فى الهشيم، روح تؤمن بأن هذا الوطن وطننا ، وأننا شركاء رئيسيين فى صنع مستقبله ، وأن لنا الحق فى صياغة توجهات وطننا الاستراتيجية ، وأننا قادرون على التغيير ، كان قلب مصر ينبض بشدة ، واللهيب ينتظر الشرارة لكى يندلع فى أرجاء مصر .

ضباب كثيف يغطى وجه الوطن :

وجاءت الشرارة على صورة خطاب ألقاه السادات مساء يوم ١٢ يناير ١٩٧٢ ، أرجع فيه أسباب تأجيل خوض الحرب ضد إسرائيل إلى ما أسماه بالضباب الذى ساد الساحة العالمية من جراء وقائع الحرب بين الهند وباكستان .. هنا شعر الطلاب بأن النظام هازل حقًا فى تناوله لمسألة مواجهة هزيمة ١٩٦٧ الفادحة التى تثقل بوطأتها على نفوس الشعب ، وتراكمت مجموعة هائلة من التحركات أشبه ما يكون بالتفاعل المتسلسل الذى يولد الانفجار النووى ، فعبر عشرات من التجمعات واللقاءات والندوات وآلاف من المقالات الحائطية التى غمرت جدران الجامعة ، اتخذنا قراراً – فى كلية الهندسة / جامعة القاهرة – بعقد مؤتمر طلابى حاشد لمناقشة « خطاب الضباب » الشهير ، فى ذات الوقت الذى كانت شتى الكليات فى الجامعة والجامعات الأخرى ، داخل القاهرة ، وفى الأقاليم ، تعيش أحداثًا مشابهة .. ودعى

لهذا المؤتمر الدكتور / أحمد كمال أبو المجد ، وزير الشباب آنذاك ، وكلفت من قبل زملائى أن أدير وقائع هذه الجلسة التاريخية .

بوسطجى بدرجة وزير :

والذين يعرفون د. أبو المجد يدركون دماثة الرجل ورقة خلقه ، ويعرفون حجم المأزق الذى وُضع فيه كممثل للحكم كان عليه أن يواجه آلاف الأسئلة التى تحمل الاتهام بتهاون النظام وتفريطه فى شئون الوطن .. وقد أخطأ د. أبو المجد حينما لم يجد إجابة تشفى غليل الجمع الهادر ، والمعبأ بالغضب : المشحون بالشك تجاه السلطة وتوجهاتها .. وحين أعيته الإجابه رد على علامات الاستفهام المعلقة بقوله كان لها دوى الانفجار .. «**ما أنا إلا بوسطجى أنقل وجهات نظركم إلى الرئيس وأعود برأيه إليكم !!**» هنا كادت جموع الشباب الغاضب أن تفتك به .. وطالبته إحدى الزميلات أن يخرج من القاعة «**لأننا لا نريد بوسطجيا بدرجة وزير**» ، وقرر الطلاب تصعيد الموقف بالاعتصام فى كلية الهندسة ونقل المعركة إلى حرم الجامعة والاتصال بباقى الجامعات لمواجهة الموقف الجديد ، والإصرار على دعوة الرئيس بنفسه للحوار مع الطلاب ، مادام الوزراء لا يملكون حلاً ولا عقداً ، ولا يستطيعون تقدم إجابة شافية للأسئلة المصيرية المطروحة .

الشعب وعبقوية التنظيم :

كان الطلاب فى سنى السبعينيات الأولى قد ابتكروا عشرات الجماعات الثقافية والسياسية والاجتماعية التى لعبت دور الحاضنة لفكر ونشاطات الانتفاضات الطلابية ، ومثلت الشرايين التى حملت الدماء إلى أوصال الجسد الطلابى المترامى الأطراف ، مثل جماعات «**أنصار الثورة الفلسطينية**» وأسر «**عبد الحكم الجراحى**» و«**عبد الله النديم**» و «**جواد حسنى**» و «**مصر**» وغيرها وغيرها .. إلى أن التمت هذه الجماعات وممثليها فى التنظيم الأكبر «**اللجنة الوطنية العليا للطلاب**».

كانت «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» ذروة الإبداع الجماهيرى للتنظيم المستقل المرتبط مباشرة بالقواعد الشعبية ، حقًا لا قولاً .. فعبر انتخابات مباشرة ، بالاقتراع العلنى المكشوف ، انتخبت جماهير كل كلية ممثليها فى اللجنة الوطنية الطلابية المحلية ، وممثلها فى اللجنة الوطنية العليا لطلاب الجامعة ، التي قادت الاعتصام الكبير لطلاب الجامعة وجامعات مصر ، فى القاعة الكبرى للاجتماعات ، بالحرم الجامعى ، وعبر علاقة حوار مستمر وتفاعل دائم بين القاعدة والقيادة جُسدت أروع أشكال التعبير الحر عن الرأى ، الأمر الذى أشعر القاعدة بأن القيادة المنتخبة مباشرة بواسطتهم ، تعبر حقًا وصدقًا عن مواقفهم ، ولذلك لم يكن مفاجئًا التفاف القواعد الطلابية حول أعضاء «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» ، وحتى أجبرت السلطة على الإفراج عنهم .. وكان أمراً ذا دلالة إصرار الانتفاضة الجديدة على أن تحمل إسمًا له إيحاءاته التاريخية ومؤشراته النضالية ، فهى اعتبرت نفسها امتداداً عضويًا لتقاليد الكفاح الوطنى وتراث النضال الديموقراطى فى مصر ، ممثلاً فى اللجنة الوطنية العليا للطلاب والعمال (١٩٤٦) ؛ وكذلك مبادرة الجماهير الشعبية والطلابية ، التى اعتصمت فى ميدان التحرير عقب إلقاء القبض على الطلاب المعتصمين ، بتأسيس لجنة قيادية جديدة تحمل ذات الاسم وتنوب عنها فى أداء مهامها .

كل الديمقراطية للشعب . كل التفانى للوطن :

لكن على الضفة الأخرى للنهر ، لم يكن النظام بقادر على ممارسة « ضبط النفس » بأكثر مما فعل ، فكل يوم يمضى يخسر أرضًا جديدة ، وتتفتح زهور جديدة، وتنشأ منافذ جديدة للنور ، وتتهدد أركانه بانتشار حمى الوعى التى تمور بها الجامعات خارج الأسوار . وبالذات إلى المناطق العُمالية الساخنة التى بدأت طلائعها تشعر بما يحدث فى الحرم الجامعى وتتحرك للاتصال به .. و كان الشعار العبقرى

الذى صكه الطلاب المتغضون : « كل الديمقراطية للشعب .. كل التفانى للوطن » يفعل فعل السحر فى النفوس ، وتحولت الجامعة إلى كعبة لعشاق الحرية فى مصر الذين رأوا فيما يحدث ميلاداً جديداً للبلاد التى أرهقها حمل الهزيمة ، وأملاً جديداً للخلاص من عار الإحتلال .. أما فى أروقة الاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السياسى للحكم ، وفى دهاليز أجهزة الأمن ، وفى مكاتب أركان النظام وقصوره ، فلم تنقطع للحظة المؤامرات المحاكة لتدمير الانتفاضة ، وإجهاض الثورة الطلابية واحتواء تدايعاتها وتوابعها .

فالسادات - شخصيًا - يشن حملة شعواء ، متكررة ، على الانتفاضة ، ويتهم قيادتها بأنهم « شرذمة » فاسدة ، أما القاعدة الطلابية « فهى بخير » ، وتزعم أجهزة الإعلام الرسمية أن قادة الحركة الطلابية عملاء مأجورين (!!) ، فيما يتحرك الاتحاد الاشتراكى ، بقيادة أمينه العام الإقطاعى سيد مرعى ، ورئيس لجنة النظام ؛ محمد عثمان إسماعيل ، لتنظيم كتائب تخريب الانتفاضة الطلابيـــة وتقـديم الـدعم بالسلطة والمال لهذه الكتائب ، وشهدت بأم عينى استاذاً فى كلية الهندسة «د. إبراهيم فوزى» محمولاً على أعناق عدد من الطلاب المرتبطين بأجهزة الأمن وهو يحاول اقتحام قاعة الاعتصام هاتفًا مع أنصاره : « الشيوعيين .. الشيوعيين !! » مشيراً إلى القــاعة التى غصـت بآلاف الطـلاب الـوطنيين ، وقد طُرد الدكتـور «د. إبراهيم فوزى» شر طردة من القاعة ، لكنه نال مكافأته من النظام بتوليه وزاة لها علاقة بتخصصه ،قبل أن يغادرها فى التعديل الوزارى الأخير!! .

عفريت الإرهاب الدينى :

- أما أخطر وأهم الأساليب التى لجأ إليها النظام فى محاولاته المحمومة لإجهاض انتفاضة الطلاب ، فهو لجوئه إلى استخدام سلاح الدين فى الصراع السياسى ، واستخراجه « عفريت » الإرهاب المتستر زيفًا بالدين ، من القمقم ؛ ولدى فى هذا

السياق شهادات دامغة لا مجال لإنكارها أو المزايدة عليها :

- شهادة المهندس ، وائل عثمان ، (خريج هندسة القاهرة) ، فى كتابه المعنون ،أسرار الحركة الطلابية - هندسة القاهرة : ٦٨ : ١٩٧٥ ، (مطابع مدكور-١٩٦٧) والتى يحكى عبر صفحاته وقائع الاتصالات والاجتماعات التى جرت بين شباب ما كان يسمى آنذاك التيار الإسلامى وأركان النظام وأجهزة الأمن ، للتخطيط لتدمير انتفاضة الطلاب ، ويكفى للدلالة على هذا التوجه الخطر ما ذكره وائل عثمان على لسان «سيد مرعى » ، الأمين الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى آنذاك ، : «إن ميزانية منظمة الشباب تبلغ مائة مليون ونصف من الجنيهات ، وأعتقد أنكم أولى بها ، ويسعدنى أن أضع كافة إمكانيات الاتحاد الاشتراكى رهن إشارتكم !! » ، (الكتاب المذكور ، ص : ١٠٢) ، وبالطبع فى فهذا العرض السخى يُقدم مقابل الدور المطلوب لضرب الانتفاضة الطلابية الوطنية .

- شهادة ، محمد عثمان إسماعيل ، نفسه (روز اليوسف العدد ٣٥٠٢ / ٢٤ - ٧ - ١٩٩٥) والتى ذكر فيها بالحرف : « بادئ ذى بدء ، أقر أننى شكلت الجماعات الإسلامية فى الجامعات بالاتفاق مع المرحوم السادات » .

- شهادة اللواء ، فؤاد علام ، المدير السابق لمكتب النشاط الدينى بمباحث أمن الدولة ، (روز اليوسف / العدد ٣٥٠٠ / ١٠-٧-١٩٩٥) ، التى يروى فيها جانبًا من دور محمد عثمان اسماعيل ، والدكتور / محمود جامع ، اللذان « كلفهما السادات بتشكيل تنظيمات دينية فى الجامعة لمواجهة وقمع الحركة الطلابية .. وحدث اجتماع مهم فى مقر الاتحاد الاشتراكى حضره المستشار « محمد إبراهيم دكرورى » ، و « محمد عثمان اسماعيل » ، واتُخذ القرار السياسى بدعم نشاط الجماعات الدينية ماديًا ومعنويًا ، واستُخدمت أموال الاتحاد الاشتراكي فى طبع المنشورات وتأجير السيارات وعقد المؤتمرات ، وأيضًا فى شراء المطاوى والجنازير!! » .

والمطاوي والجنازير التى وضعها أركان التنظيم السياسى للدولة فى أيدى الجماعات الدينية فى الجامعات ، بعد أن مزقت أجسادنا داخل الحرم الجامعى ، عادت لتصبح مدافع رشاشة ومتفجرات تمزق شمل الوطن وتضرب النظام فى الصميم، وسبحان مغير الأحوال !! .

الانتفاضة الوطنية الديمقراطية لطلاب مصر .. مجد اليسار :

كانت الانتفاضة الطلابية فى السبعينيات ذات قيادة يسارية الطابع ، منطلقاتها وطنية ديموقراطية ، يوجهها وعى عام وطنى ذو أفق اجتماعى ، يتبنى وأطروحات شعبية تنحاز للطبقات الفقيرة وتتبنى العديد من مطالبها.

وهذا أمر مفهوم ومقبول ، فيسارية حركة الطلاب جاءت تطوراً موضوعياً لتكوين الجامعة الطبقى آنذاك ، وكذلك لبحث جيل عاش الهزيمة عن خلاصه وخلاص الوطن ، فالشباب بطبيعته منحاز لليسار باعتبار اليسار هو فكر التغيير والتطور والمستقبل ، ثم أن قيادات الحركة الطلابية كانت قد تأثرت بالثورة الفلسطينية وأطروحات حرب الشعب ، وبالصمود الفيتنامى العظيم فى مواجهة الثور الأمريكى الهائج ، كما كان استشهاد « أرنستوشى چيفارا » البطولى مكون هام من مكونات وعى جيلنا ، وعبر هذه التركيبة الخاصة التى تمزج الوطنى بالأممى ، والمحلى بالعربى، تشكلت ملامح برنامج نضالى لا زال إطاره العام صالحًا حتى اليوم ، وهو برنامج اليسار الديموقراطى الذى يبحث عن حل لإشكالات الوطن فى المجال السياسي (أزمة الديموقراطية) والوطنى (قضية مواجهة الغزوة الصهيونية - الأمريكية) والاجتماعى (بناء اقتصاد متقدم منحاز للطبقات الكادحة فى الوطن).

لكن هذا الأمر لا يجب تحميله أكثر مما يحتمل ، وقد كانت هناك قيادات طلابية وطنية ديموقراطية وفى مواقع مؤثرة ليست يسارية ، لكنها لم تكن معادية لليسار ،

وبعضها تطور - في خضم عملية النضال اليومي - وتحول ، إلى مواقع يسارية .. لكن - بشكل عام - كانت حركة الطلاب في السبعينيات يسارية المنطلقات والتوجهات ، يسارية القيادة والبرنامج ، وشكلت واحدة من العلامات المضيئة في تاريخ اليسار المصري ، وواحدة من اللحظات النادرة في مساره ، التي كان له نفوذ فعلي فيها ، على أرض الواقع .

جنود مجهولون :

ويتوجب علينا ، وقد حلت الذكرى الخامسة والعشرين لانتفاضة طلاب مصر ، أن نلقي بعض الضوء على المئات من جنود الانتفاضة المجهولين ، الذين لولاهم لخبت أضواءها سريعًا ، ولما كان لها أن تعيش وأن تؤثر وأن تظل في وجدان جيل كامل حتى بعد انقضاء ربع قرن عليها ، لقد سلطت الأضواء على القيادات العليا للانتفاضة ، وغنى الشيخ إمام عيسى من كلمات شاعرنا الكبير أحمد فؤاد نجم لـ «أحمد وبهاء والكردي وزين» ؛ لكن واقع الأمر أن عشرات آخرين من خيرة أبناء الوطن ، بعضهم واراه تراب مصر الخالدة في السنوات الأخيرة ، قد لعبوا دوراً لا يقل بحال عما أداه أعضاء « اللجنة الوطنية العليا للطلاب » ، بل ربما كان يفوق أحيانا دورها ، ويتجاوزه في الفعل والتأثير .

ويحضرني في هذه المناسبة أسماء لا تنسى ولا تسقط من الذاكرة : علاء بكيش أحد المؤسسين الكبار لحركة الوعي في الجامعة وأحمد هشام أحد مؤسسي جماعة أنصار الثورة الفلسطينية ، بكلية الهندسة / جامعة القاهرة ، منير مجاهد : مؤسس آخر من مؤسسي الجماعة ، حلمي المصري ، عماد عطية ، كمال خليل صاحب الشعارات الهادرة في انتفاضات الطلاب وانتفاضة ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ ، رياض رفعت ، آل شكر الله ، سمير غطاس ، محمد بغدادي ، عادل المشد ، سمير حسني ،

محمد أسامة ، آل الجميعي ، محمود مرتضى ، محمد سيد سعيد ، طه عبد العليم (رغم تبدل المواقع والأفكار) ، رضوان الكاشف ، حسن فهمي ، طلعت فهمي ، المرحوم عبد العزيز شفيق ، المرحوم شفيع عبد الغفار ، المرحوم علاء حمروش ، مديحة الملواني ، جمال عبد الفتاح ، نادية مرسي ، ماجد الصاوي ، أميره بهي الدين ، رماح أسعد ، محمد نعمان ، نبيل عتريس ، محمد حمزه ، عبد الله مزارع ، أحمد عبد الرحمن ، عفاف مرعي ، عبد الباسط عبد الصمد ، ابتهال رشاد ، أحمد كامل، أحمد شرف الدين ، سيد أبو زيد، آل يوسف (صلاح وجمال) ، مجدي عبد الحميد، صلاح موسى ، هاني عنان، المرحوم / ماجد إدريس ، خالد منذور ، رضوان الكاشف، محمود مرتضى ، هشام السلاموني ، هدى زكريا ، سهام صبري ، نادر عنان ، إكرام يوسف ، المرحوم أنس مصطفى ، عبد الرحيم الكريمي ، المرحوم تيمور الملواني ، مدحت الزاهد ، أحمد سيد حسن ، مجدي تاج الدين ، أبو المعاطي السندوبي ، آل الشهاوي ، محمد فراج أبو النور ، عصام البرعي ، ماجده عدلي ، نادية عبد الوهاب ، آل المرغني ، عزه الخميس، حلمي سالم، حسام سعد الدين ، سناء المصري ، أروى صالح ، سميحة الكفراوي ، آل صقر ، يحي شرباص، شاكر عرفه ، محمد حمزة ، المرحوم شهاب سعد ، محمد أبو الوفا ، والفنانين العظام نجم وإمام وعدلي فخري وسيف وسيد حجاب والأبنودي ، ونجيب شهاب الدين ، خالد جويلي ، طلعت رميح ، مجدي حسين . (مع حفظ الألقاب) ، وآخرون وآخرون .. عشرات .. مئات بل وآلاف ، لا تعيهم الذاكرة ولا يتسع المجال لذكر أسمائهم ، جنود مجهولين ، أبطال حقيقيين لجيل حاول ألا يستسلم للهزيمة ، وقاوم قدر الطاقة عناصر التدمير والإحباط والتيئيس ، وانفجر معبراً عن أحلام وطن وآمال أمة .. ولا زال قادراً على العطاء رغم سنوات الحرب وعمليات التخريب المنظم للوطن وثرواته ، ولوعي الشعب وإدراكه .

فجر اليوم الرابع والعشرين :

فجر يوم الرابع والعشرين من يناير عام ١٩٧٢ ، كانت المفاوضات بين «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» ومجلس الشعب آنذاك ، والتنظيم السياسى ، ثم وزارة الداخلية برئاسة « ممدوح سالم » ، قد وصلت إلى طريق مسدود .

ولم تفلح الوعود ومحاولات الإغراء بالمال والسلطة والنفوذ ، ولا فلحت محاولات كسر الانتفاضة من الداخل ، أو الجهود الهائلة لإرهاب الأهل ، والضغط عليهم لاستخدامهم فى سحب أبنائهم من داخل الجامعة ، فى التأثير على مسار العمل العظيم الذى كان يتحرك كدولاب جبار فى الحرم الجامعى ، وفى الجامعات المصرية كافة .

وكان الاقتحام الأهوج المحرم الجامعى ، ولأول مرة فى تاريخ الجامعة المصرية ، هو قرار جهاز الدولة المرتعب من استمرار الانتفاضة ، والمتحسب لتطورات الوضع من جرائها .

كان الجو ملبداً بالضباب ، فجر شتائى قارس ، وجماعات الطلاب متناثرة فى الحرم الجامعى ، وفى القاعة الكبرى البعض يغنى فى شجن للوطن ، والبعض يتناقش حول الوضع وملابساته ، وآخرون يعدون العدة للغد المحمل بكافة التوقعات، وأعضاء اللجنة الوطنية العليا للطلاب مشغولون فى تحليل الموقف ودراسة احتمالاته.

فجأة دوى فى المكان صوت ارتطام هائل ، وغمر الظلام والسكون أضواء كشافات قوية وأصوات المدرعات وهى تحطم الأبواب وتقتحم الحرم الجامعى ، وجحافل الأمن المركزى المدججة بالسلاح ، وهى تحتل المبانى والأورقة ، والقنابل

المسيلة للدموع تنهال من كل جانب .

كانت المذبحة على وشك أن تبدأ ، واحتاج الأمر جهداً خارقًا للسيطرة على الوضع ، وحتى لا ترد جموع الطلاب الغاضبة على الاقتحام ، وهى عزلاء إلا من حبها لوطنها ولشعبها ، وحتى لا تسيل أنهار الدماء بلا نهاية .

وبعد حوار جياش مع الزملاء ، اتخذنا قراراً بأن نفض اعتصامنا دون إراقة الدماء ، وأن ننهى أنشودتنا الخالصة لوجه الوطن .. وقفنا على البوابة الضخمة للقاعة الكبرى نحتضن الزملاء المغادرين ، بين صفوف قوات الأمن المدججة بأحدث الأسلحة، نهتف بهم ونشد من عزيمتهم ، ونحن أحوج ما نكون لمن يشدد عزيمتنا .. ومن شتى مواقع الكليات الجامعية ، كانت طوابير المعتقلين .. مئات من الطلاب والطالبات تعبر الحرم المكلوم إلى سيارات الأمن المركزى .. وفجأة ، من بين الصفوف الدامعة الجائشة المشاعر ، انطلق صوت واهن لكنه أقوى من كل قوات الظلام ، سرعان ما سرت همهماته بين الجميع ، كان هناك من يغنى :، **بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى**، ، نكس رجال الأمن أنظارهم .. وفى السجون المتحركة .. السيارات الحديدية الكئيبة ، حشر المئات من خيرة أبناء الوطن ، فى طريقهم إلى المعتقل .

يا مصر قومى وشدى الحيل :

كانت مصر لما تستيقظ بعد ، فجر يوم الرابع والعشرين من يناير ١٩٧٢ .. وفى الشوارع المهجورة ، تردد صدى صوت فلذات الأكباد يرن فى صمت الصباح الباكر : **،إحنا أخواتكم ، إحنا ولادكم .. واللى بنعمله ده علشانكم، .. وفى خلفية المشهد كان الشيخ ،إمام عيسى، يدندن : ،يا مصر عودى زى زمـــان .. ندهه من الجامعة وأدان .. يا مصر قومى وشد يالحيل، .**

١٠ محددات حاكمة للحركة الوطنية الديموقراطية للشباب والطلاب فى مصر (*)

(محـــاولــة للتحليــل)

(*) تخطيط لمحاضرة طلابية - مارس ١٩٧٤ .

(١) حركة الطلاب والشباب فى مصر ، هى جزء من حركة المجتمع ككل ؛ الجزء الأكثر حيوية فيه ، ونضال الشباب والطلاب الوطنى ؛ هو جزء من نضال المجتمع ، وتجسيد لكفاحه على مدى الأجيال .

مطالب نقابية طلابية بحته

١- عدم وجود أماكن كافية فى المدرجات .

٢- سوء الأجهزة والمعدات وتخلف أساليب التعليم .

٣- قلة عدد المدرسين بالنسبة للطلبة (١-٢٧) ! .

٤- سوء المناهج الجامعية .

٦ - سوء أحوال السكن والمعيشة .

مطالب طلاب جامعتى « نانتير » و« السوربون » ، فى انتفاضة ١٩٦٨م

(مجلة الطليعة أغسطس ١٩٦٨)

٣ محاور للنضال : الديمقراطية - القضية الوطنية - الإصلاح الاقتصادى

- إعداد مصر اقتصاديًا للحرب.

١- رفض صيغة الأحزاب الحكومية؛ الناتجة عن قرارات من أعلى.

٢- إلغاء التشريعات المقيدة لحريات الجماهير .

٣- إلغاء كافة الأجهزة الاستثنائية .

٤- تحسين وسائل معيشة الشعب ورفع الحد الأدنى للأجور .

٥- حق الجماهير فى التعبير بالرأى وبالتظاهر والإضراب .

٦- إلغاء بدلات كبار موظفى الدولة ورفض سياسة إلغاء الدعم .

٧- رفض سياسة الانفتاح الاقتصادى (الفوضوى) .

٨- رفض تواجد أجهزة الإنذار والتجسس الأمريكى على أرض سيناء .

٩- حق تواجد فصائل المقاومة الفلسطينية بمصر والتطوع بها .

(من مطالب الحركة الوطنية الديموقراطية لطلاب مصر - ١٩٧٢ ، برنامج نادى الفكر الاشتراكى - جامعة القاهرة - ١٩٧٦).

(٢) لا يمثل الطلاب أو الشباب - عمومًا - طبقة قائمة بذاتها ؛ لأنهم لا يلعبون دوراً محدداً فى عملية الإنتاج ، ولا يمثلون موقعًا معينًا فى علاقات العمل بالمجتمع .

إنهم يأتون من شتى الطبقات ؛ ويذهبون إلى شتى الطبقات ، ومن هنا يصعب توصيفهم طبقيًا ، إلاّ أنهم يقتربون من موقع شرائح الطبقة البرجوازية الصغيرة المتوسطة ؛ (فى معرض مناقشة بعض الأطروحات المغلوطة عما أسُمى بـ « حزب الطلبة » ، أوائل السبعينيات) .

---

(٣) لا يمكن أن يشكل الطلاب أو أى فئة من فئات الشباب - على هذا - حزبًا سياسيًا قائمًا بذاته - لأنهم لا يعبرون عن مصالح طبقية محددة لطبقة محددة المعالم، ولا يمكن لهم أن يقودوا منفردين الصراع من أجل التغيير ، أو بتحالفهم مع العاطلين والهامشيين (كما يزعم هربرت ماركيوز مثلاً) ؛ لأنهم لا يدافعون عن نمط علاقات اجتماعية معينة ، أو يقفون ضد نمط علاقات اجتماعية محددة ؛ بالنظر لاختلاف منابعهم الطبقية ، وانتماءاتهم الأيديولوچية .

---

(٤) واستناداً إلى هذه الحقيقة ؛ فإن الدور الرئيسى للطلاب والشباب هو دورهم كنعنصر تنبيه للوعى الوطنى دائمًا والطبقى أحيانًا فى المجتمع .

إنهم الضمير الحى للأمة ، وناقوس الإنذار الذى يدق وقت الخطر لكى ينبه الشعب . إنهم بحكم وعيهم وحركيتهم واطلاعهم وتنقلهم ، على احتكاك مستمر بالأفكار الجديدة ، وبالمتغيرات التى تتطور ، وبروح العصر ، الأمر الذى قد لا يتوفر لأى فئة أو طبقة اجتماعية أخرى ؛ وهنا مكمن الخطورة ونقطة الارتكاز فى دراسة حالتهم .

---

(٥) ولاختلاف المنابع الطبقية والفكرية للشباب والطلاب ، فإن الإطروحات الوطنية توحد صفوف الحركة الطلابية والشبابية ، وتنظم إجماعهم حولها ، بينما

تتفرق جموعهم عند تبنى أطروحات اجتماعية ، ذات بُعد طبقى ، وهذا مفهوم وصحيح ، وطبيعى .

---

(٦) يرتفع صوت الحركات الشبابية والطلابية مدويًا ، ويصبح لنشاطاتهم وقعًا شديداً فى المجتمع ، كلما كانت :

أ - حركة القوى والتنظيمات السياسية المعبرة عن مصالح الفئات والطبقات، أقل تنظيمًا أو فاعليته ، .

ب- وقت الأزمات التاريخية الحادة ، وفى فترات الانعطاف فى مسار الشعوب؛ حيث تتبدى حيوية الحركة الشبابية والطلابية وقدرتها على الفعل ؛ والعكس صحيح.

---

(٧) تتميز حركات الشباب والطلاب بأنها تعتمد على تجمع منظم ، لفئة سنّيه محددة ، تتصف بسمات سيكلوجية متقاربة ، وبأفكار رومانسية وقدرة على العطاء، وبتخلصهم من القيود التى تكبل حركتهم ، واستهانتهم بالمخاطر المحيقة ، وبالاندفاع للتضحية فى سبيل المثل العليا التى يؤمنون بها ؛ وهذه عناصر قوة لا تنكر لحركتهم .

لكنهّم تجمع غير مستقر ، ولا مستمر ، وهذا عنصر ضعف ملحوظ ، يجعل لحركتهم شكل موجى ، موسمى، تفور أحيانًا ثم تنطفئ بعد ذلك .

---

(٨) تشير تجربة الحركة الشبابية والطلابية بأنه لا تناقض بين العلم والعمل الوطنى أو السياسى الصحيح ، ولا بين تلقى العلم وتلقى أسس ومفاهيم الوطنية والكفاح السياسى ، فالطالب الواعى سياسيًا المتفتح ذهنيًا ، طالب - على الأرجح - ناجح، ومواطن صالح ، ومتميز فى حياته العملية فيما بعد ، إن حركات الشباب والطلاب هى « مصانع المستقبل » ، و « مدارس الغد » ، فيها يتعلم الشباب

أصول العمل السياسي والوطني ، وعبرها تتدرب الكوادر على قيم وأساليب العطاء والكفاح وتتمرس بالتضحية والبذل ؛ وتتعود على تقاليد وخبرات الممارسة الديمقراطية اللازمة .

إن شباب وطلاب اليوم هم قادة وحكّام الغد ، وأسلوب التعامل معهم يصبغ المستقبل الكلي للوطن ، ويحدد اتجاهاته .

---

(٩) الموقف الإيجابي من حركات الطلاب والشباب ، أيًا كانت طبيعة برامجها وانتماءاتها السياسية أو مطالبها النضالية ، موقف لصالح المجتمع والشعب كله .

والدعوة لأن «الطالب طالب علم وبس»[١] ، دعوة مرفوضة ، وتؤدي لسيادة روح اللامبالاة ومشاعر عدم الانتماء ، وإلى الانهيار النفسي للشباب ، والضياع ؛ والتسطيح ؛ والفوضى العدمية .

---

(١٠) الإرهاب الفكري ، وقمع الحريات الديمقراطية داخل أسوار الجامعه ، وبين أوساط الحركة الشبابية ، ومطاردة عناصر الوعي الحقيقي بينهم ، وتهميش دورهم ، وقمع مبادراتهم الحرة ، يضعف روح الانتماء للوطن في أجيال الغد ، ويشجع كل منهم على السعي للحل المنفرد للمعضلات التي تواجهه ، على حساب المجموع ، كما أنه - تلقائيًا - يؤدي إلي إفراز أفكار وتجمعات فاشية[٢] ، غير ديمقراطية ، والعبث - غير المسئول - في أوساط الحركة الشبابية والطلابية ، يفجر ولا يُهدِئ ، أو يحمي الاستقرار .

فلندع مائة زهرة تتفتح وسط الشباب والطلاب ، ولنمنحهم الأمل ، لكي يمنحوا الوطن سر الاستمرار والحياة .

---

(١) مقولة شهيرة لأنور السادات .

(٢) وقد حدث .

قـراءة فـى أدبيـات

الحركة الطلابية فى السبعينيات (*)

أ - القضية الوطنية وموقع الثورة الفلسطينية .

ب - نادى الفكر الاشتراكى التقدمى :

انتصار جديد للحركة الوطنية الديمقراطية لطلاب مصر

(*) كتبت هذه الدراسة فى أواخر عام ١٩٧٦ ، ونشرت بمجلة « الثقافة » ، بغداد ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٩٧.

(أ)

القضية الوطنية وموقع الثورة الفلسطينية

شَكَّلَ التضامن مع الثورة الفلسطينية واحداً من أهم محاور النضال للطلائع الوطنية الديموقراطية التقدمية فى مصر منذ أن برز الثوار الفلسطينيون كطليعة لفصائل النضال الثورى العربى فى مواجهة الامبريالية والصهيونية المتحالفين مع قوى الرجعية والعمالة فى الوطن العربى.

وإذا كان لنا - مع بعض التجاوزات - أن نعتبر عام ١٩٧٢- عام الانتفاضة الطلابية الوطنية الديموقراطية المجيدة فى مصر - هو عام البداية الحقيقية والفعالة لانطلاقة الحلقة الجديدة من حلقات المد الديموقراطى الثورى فى مصر بعد الهزيمة، إذا جاز لنا أن نعتبر ذلك، فمن المهم أن نعيد للأذهان ذكرى هذه الأيام الهامة بحقيقة تحوى من الدلالات الشئ الذى يُمَكِّننا استنتاجه فهم العلاقة الجدلية بين الثورة الفلسطينية وانطلاقاتها، بل والمحن التى تعرضت وتتعرض لها، وبين نمو الحركة الجماهيرية الثورية فى مصر .. هذه الحقيقة يمكن صياغتها ببساطة فى أن مفجر الشرارة الأولى لانتفاضة الطلاب فى أوائل ذلك العام، وأحد دعائم الحركة الطلابية فيما تلاه، كانت «جماعة أنصار الثورة الفلسطينية» (بكلية الهندسة - جامعة القاهرة) تلك الجماعة التى شكلها الطلاب التقدميون فى أعقاب مذبحة السفاح حسين بالأردن (سبتمبر - أيلول ١٩٧٠)، حيث تبنت الجماعة الدعوة لخط حرب التحرير الشعبية ، والدعاية لمنهاج الثورة الفلسطينية ، والعمل على مدها بالدعم المادى والأدبى، والمساهمة فى محاولة كسر طوق الحصار المضروب حولها من قبل النظم العربية، ولم تلبث أن انتشرت أفكار جماعة أنصار الثورة فى مختلف

أرجاء الجامعة - ثم تخطتها لكى تعم معظم جامعات ومعاهد مصر، مُشَكِّلةً فى النهاية زخما قويا، وموجة دافقة لم تكد تتهيأ لها الظروف الموضوعية الملائمة حتى هبت عواصفها لتكتسح تيار اللامبالاه والخوف والعدمية، وليحل محله تيار جديد - يرفع شعارات الثورة والنضال، ويؤمن بمسيرة الجماهير وحتمية انتصارها، ويتلقى الضربة تلو الضربة وينتصر عليها، ويهز الحياة السياسية فى مصر هزة شديدة، ثم ليستمر من بعد ذلك مكونا مع غيره من الفصائل الوطنية الديموقراطية فى الوطن، معالم الحركة الجماهيرية الثورية الجديدة فى مصر .

لقد أدركت الطلائع التقدمية فى مصر أن معركة الحرية والتقدم والخلاص من الإمبريالية العالمية وركائزها فى المنطقة لا تتجزأ وأن تصفية الثورة الفلسطينية، كان ولا زال وسيظل - هدفا أساسيا من أهداف حركة الثورة المضادة فى وطننا .

كما فهمت بعمق أن مخطط تصفية الثورة الفلسطينية، إذ جعلته قوى العمالة والاستغلال هدفها، تعبر عليه إلى ضفة الاستسلام والخيانة، هو المقدمة - (البروفة) - التى سيتبعها، إذا ما نجح هذا المخطط، مخططات أخرى تجهض كل أحلام الانتصار وارهاصات التطور على أرضنا العربية، لقد كانت الثورة الفلسطينية وهى تدافع عن وجودها الفعال المستقل فصيل الصدام الطليعى فى معسكر الثورة العربية، ومن هنا كان على حركة التضامن مع الثورة الفلسطينية أن تستمر وأن تتأكد هويتها يوما بعد آخر ، وأن تتبلور فى أشكال دائمة ومستمرة ومؤثرة، ديمومة الصراع مع الامبريالية واعوانها، واستمرار مسيرة كفاح الشعوب ضد جلاديها، وحتى النصر الكامل الذى لا تشوبه شوائب التسليم أو المهادنة .

تنامت نشاطات الطلاب التقدميون فى الجامعة طوال عام ١٩٧١ بشكل ملحوظ وتدريجى وانتشرت فى أغلب الكليات الجامعية تجمعات للطلاب تتبنى منهاج الفكر الثورى وترفع راياته، واتخذ التضامن مع الحركة الثورية العالمية والعربية وعلى

رأسها الثورة الفلسطينية أشكالاً متعددة، فالعديد من الجماعات التى تتحرك لدعمها قد أنشئت تحت اسماء مختلفة (جماعة مناهضة الاستعمار ، جماعة التضامن مع كفاح الشعوب ... الخ) والعشرات من الجماعات الأخرى التى تكونت وقد جعلت من أهم أهدافها دعم الثورة الفلسطينية والدعوة لحمايتها، وفى كل مناسبة وطنية (مصرية أو فلسطينية) تمر، كانت هذه الجماعات ، مجتمعة أو كل على انفراد ، تقيم المعارض الفنية والسياسية وتعقد الندوات والمؤتمرات ولقاءات التدارس وتقوم بالمسيرات تأييداً للثورة وتضامنا معها، وغطت ملصقات الثورة الفلسطينية وشعاراتها حوائط الجامعة وأصبح من المعتاد أن تسمع فى أركانها أناشيد الثورة وهتافاتها عبر أجهزة التسجيل حيث يتجمع حولها الطلاب يتبادلون الاخبار ويعدون لعمل جديد من أعمال المناصرة.

فى يناير ١٩٧١ وفى ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية، شهدت الجامعة معرضا ضخما يحكى مولد الثورة وانجازتها، ويشيد بخطها المطروح - خط حرب الشعب طويلة المدى، ومن نفس الوقت ، أقيم بكلية الهندسة مؤتمر حاشد دعى له - بالاضافة إلى ممثلى الثورة الفلسطينية - أغلب ممثلى حركات التحرر العربى والعالمى الموجودين بالقاهرة (ظفار - أنجولا - موزمبيق - فيتنام) واكتظ المدرج الضخم بآلاف الطلاب جاءوا يرفعون شعارات التضامن مع الثورة فى كل مكان، وحينما كانت تتردد الهتافات الهادرة ... كانت بوادر الانتفاضة الطلابية تتجمع وتستعد، وفى ١٢ يناير ألقى السادات خطابه (الشهير بخطاب الضباب)، حيث ادعى أن سبب تأجيل القتال - بعد أن مر ما أسماه عام الحسم دون أن يحسم شيئًا - هو الضباب السياسى الذى تجمع نتيجة للحرب الهندية الباكستانية وانشغال الاتحاد السوفيتى فى دعم الهند مما منعه (أى السادات) من خوض معمعة القتال ... على أثر هذا الخطاب (الكوميدى) عم الغضب العارم أركان الجامعة بل وكل جامعات

مصر .. وبحكم ظروف كلية الهندسة الخاصة (حيث الوعى الديموقراطى منذ انتفاضة ١٩٦٨ متوفر ، وحيث مستوى الفهم السياسى والممارسة مرتفعان ، وحيث توجد جماعة أنصار الثورة الفلسطينية - من أقوى الجماعات السياسية بالجامعة وأقدرها على الحركة)، بحكم هذه الظروف وغيرها، كان لابد للحركة من أن تنطلق من داخل هذه الكلية، وبالفعل، فقد غطيت حوائطها بالملصقات وصحف الحائط[1] والشعارات التى تسخر من محاولات السلطة تمييع الموقف واستغفال الجماهير وتندد بتقاعس الحاكمين عن القتال وترفض تهاون النظام وتفريطه فى حق الوطن والشعب، كما تستهزئ بالمبررات الساذجة التى قدمتها الحكومة لتبرير تراجعها .

تجمعت حلقات الطلاب تهدر وتتناقش وتبدى الرأى بشأن الأزمة التى تحتدم وتهدد سلامة الوطن واستقلاله وحريته، واتفق الطلاب على عقد مؤتمر حاشد صباح السبت ١٥ يناير ١٩٧٢، وفى نفس الوقت، كانت أحداثا مشابهة تتكرر فى كل الكليات ، الأمر الذى ساعد على اعلان طلاب الهندسة الاعتصام لحين حضور أحد كبار المسئولين للتفاهم معه حول الوضع المتردى للوطن ، ومغزى الخطاب الضبابى

---

(١) لعبت صحف الحائط دوراً خطيراً للغاية فى تطور ونمو الوعى الطلابى داخل الجامعة ، قبل أن تنتقل فكرتها إلى خارج الأسوار، ففى غياب كل المنافذ الديمقراطية للتعبير وسيطرة الأذناب والعملاء على وسائل الأعلام بأكملها وتحت سطوة الرقابة المدمرة ، فقدت الجماهير كل إمكانية للتعبير، وافتقدت كافة أشكال التواصل الجماعي والحوار الحي فيما بينها.. ومن هنا (ابتدع) الطلاب - بالنسبة للواقع المصرى أساساً - فكرة صحف الحائط التى يمكن تلخيصها فى معادلة بسيطة : صفحة بيضاء كبيرة + فرشاة للكتابة + فكر حر جسور .. والنتيجة:فوران الجامعات بصراع فكرى خلاق ساعد بشكل حقيقى فى تنمية وعيها وتطويره . لقد عوضت الصحف الحائطية الطلاب عن غياب الصحف المطبوعة بعد أن فقدوا بشكل نهائى ثقتهم فى (أوراق) النظام وأصبحت صحف الحائط مصدر توعيتهم وتوجيه حركتهم وأداتهم فى التدارس والتعليم والتعلم ، وسلاحهم فى التشهير السياسى والتعبير الخلاق عن أفكارهم .. إن صحف الحائط ودورها بحاجة وحدها لدراسة مستفيضة لما يمكن أن تضيفه للتراث الكفاحىْ وخبرات المناضلين فى مثل الظروف القاهرة التى عاشها طلاب مصر ودفعتهم لابتكار أسلحتهم وأدواتهم .

للسادات، كما ساعد على نقل الحركة من الكليات المتفرقة ومركزتها بقاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة، حيث تدفقت الجموع الطلابية، عشرون ألفًا أو يزيد، لكى يعلنوا اعتصامهم التاريخى الذى استمر حتى فجر الأثنين (٢٤) يناير ١٩٧٢، حيث قامت قوات الأمن المركزى، المسلحة بالرشاشات والهروات والدروع والقنابل المسيلة للدموع، باقتحام الجامعة بعد أن حاصرتها بالآف الجنود وعشرات العربات المصفحة (لم يحدث مثل هذا الحدث الخطير حتى خلال فترة الاحتلال البريطانى لمصر).

إبّان الاعتصام امتلأت جدران الجامعة باللافتات والشعارات: «**نموت وتحيا مصر**» - «**اقطعوا العلاقات مع جزار عمان**» - «**لا للحل السياسى**» - «**كل الديموقراطية للشعب .. كل التفانى للوطن**»، وغطت مئات الصحف الحائطية كل ركن من أركان الجامعة تحلل وتناقش وتكشف بجرأة نادرة وغير مسبوقة خفايا المأساة التى جرت البوجرازية البيروقراطية الوطن لها، وخلال تلك الأيام الحافلة، كانت القضية الوطنية - الاحتلال المهين وكابوس العدو الجاثم على الصدور، المحور المركزى للصراع، كانت القضية الوطنية، وفلسطين فى القلب منها حاضرة يشده فى كل لحظة من لحظات الاعتصام، حاضرة كما لم تكن من قبل فى أى فترة من الفترات السابقة، وكان حلم الكفاح الشعبى والسلاح فى أيدى الجماهير، القادرة وحدها على التحدى والانتصار، يؤرق ليل أولئك الشباب والشابات الذين صمدوا فى وجه الدولة بكل ما تملك من قوة وقدرة على البطش، ومنذ البيان الأول للاعتصام اتضح موقع الثورة الفلسطينية ومنهج حرب التحرير الشعبية الذى تمثله، من فكر الطلاب المعتصمين، وفى بيانات الاعتصامات التى تمت فى كل كلية على حدة، قبل أن تلتقى جميعها فى الأعتصام الرئيسى بقاعة الاحتفالات الكبرى، ما يمكننا من

تتبع ذلك، كما أن بيانات «اللجنة الوطنية العليا»[1] تطرح رؤية الطلاب وفهم جموعهم لطبيعة علاقة حركتهم المصرية - بالثورة الفلسطينية ... العلاقة العضوية - الاستراتيجية التى يجب أن يزيد النضال المشترك - ضد العدو الواحد - من تمتينها وتصليب عراها .

فى منظور الطلاب المعتصمين ولجنتهم الوطنية العليا أن تحرير الأرض المحتلة والتصدى لمخطط الامبريالية على أرضنا لا يمكن أن يتما إلا بإطلاق مبادرات الجماهير - بتعبئتها وتنظيمها وتسليحها وتوعيتها بأبعاد معركتها وبعدوها الحقيقى وبمعسكر أصدقائها ومسانديها، فقد أوضحوا فى بيانهم الأول الذى أصدروه ممهورا بتوقيع اللجنة الوطنية العليا للطلاب « أن جماهير طلاب جامعة القاهرة المجتمعون فى داخل الحرم الجامعى إذ يدينون مبدأ إخفاء الحقائق عن الجماهير والاستهانة بعقولهم تحت شعارات مختلفة من (استمرار وصمود وردع واستنزاف ومواجهة وحسم ونصر وغيرها)، وإذ أثارتهم الكثير من العبارات الغامضة فى البيان الأخير (الذى ألقاه السادات فى يوم الخميس ١٣ يناير ١٩٧٢) يتوجهون للسيد رئيس الجمهورية ويدعونه للحضور إلى مؤتمرهم للاجابة على استفساراتهم (كانت لهجة البيان أشد عنفا، وجرت محاولات مستميتة لتخفيف حدتها فى مقابل

(١) أزاء بروز مهمات عاجلة أمام المد الطلابى المتعاظم ، كان لابد من خلق شكل جديد، يتخطى كافة الأشكال البيروقراطية المرفوضة والتى على نمط الأجهزة الرسمية، ويتمتع بثقة القاعدة الطلابية المطلقة وتأييدها القاطع .. استوحى الطلاب - من تراث النضال الشعبى الوطنى فى مصر إبان انتفاضة ١٩٤٦ - فكرة «اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة» ، والتى تكونت لقيادة الحركة الوطنية ساعتئذ .

- فى اجتماع مفتوح لطلاب كل كلية تم انتخاب خمسة ممثلين بالتصويت المباشر برفع الأيدى ومن الخمسة انتخب ممثلاً لهم - وهم يمثلون «اللجنة الوطنية بالكلية » - لينوب عنهم وعن طلاب كليتهم فى «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» ، التى قادت الاعتصام وتولت إصدار بياناته والتفاوض باسمه .. لقد كانت أول نموذج قيادى مقبول من الجماهير وحظى بتقديرها الكامل، كما كان أول محاولة لانتزاع حق تشكيل التنظيمات المستقلة للجماهير خارج إطار السلطة وبعيدا عن مؤسساتها المشلولة والمعادية ..

الوعد - الذى لم ينفذ بالطبع - بنشرها، وفى خطاب السادات الذى ألقاه فى قصر عابدين حول الانتفاضة الطلابية، والذى (حشاه) بالأكاذيب المختلفة التى عجز عن إثباتها أو تقديم ما يؤكدها، قال: «*أن ما حدث فى مصر فى الأيام الأخيرة من أصرار الطلاب على أن يقدم كشف حساب لم يحدث له مثيل من قبل فى تاريخ الأمم ؟!*»، ولقد أكد «بيان اللجنة الوطنية العليا للطلاب» أن لا سبيل لتحرير كافة الأراضى المحتلة وتطهير التراب الوطنى المحتل إلا بـ :

١- إيقاف كل المحاولات لعقد حلول (سلمية) مع العدو الامريكى والصهيونى وسحب كافة المحاولات السابقة وانتهاج منهج حربى متنامى ضد العدو .

٢- البدء فوراً فى تعبئة الجماهير فى شكل جيش شعبى قوامه فرق الطلاب والعمال والفلاحين لمواجهة احتمالات الحرب الطويلة المدى ضد العدو .

٣- تعديل هيكل اقتصادنا كى يصبح اقتصاد للحرب بأن يركز على الانتاج الحربى وإيقاف الترف الاستهلاكى ، وتحميل الدخول الكبيرة العبء الأكبر من المعركة.

٤- إعلام غير هزيل وديموقراطية غير مزيفة [١].

أن الطلاب المعتصمين يتساءلون : « إذا ما كانت الولايات المتحدة هى عدونا الأول فى المنطقة كما هو واضح من سنوات بعيدة، فلماذا لم يتخذ إزاءها موقفا عمليا حتى الآن لضرب مصالحها فى مصر أولا والمنطقة العربية ثانيا »[٢].

كما يعيدون تأكيد مطالبهم « برفض الحل السلمى بأشكاله المختلفة وإعلان سحب الموافقة على ما يلى :

---

(١) بيان «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» - الخميس ٢٠ يناير ١٩٧٢ .

(٢) الوثيقة الرئيسية للجنة الوطنية العليا للطلاب (الجنين الأول للبرنامج السياسى «الوطنى الديموقراطى» لحركة الطلاب).

أ - قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

ب - مشروع روجز .

جـ - المبادرة المصرية[١] .

ثم يعمدون إلى تفصيل رؤاهم لاقتصاد الحرب الضرورى لخوض معركة التحرير على النحو التالى :

أ - إلغاء الامتيازات وبدلات التمثيل .

ب - تحديد حد أعلى للأجور بعشرة أمثال الحد الأدنى .

جـ - توجيه كافة الطاقات بالمصانع الحربية لانتاج الأسلحة الصغيرة والذخائر .

د - إيقاف استيراد الكماليات .

هـ - الكف عن التوسع فى المجالات التى لا تخدم المعركة »[٢].

أما فيما يخص العلاقة مع فصائل الثورة العربية والثورة الفلسطينية على وجه الخصوص فإن الطلاب يطالبون بـ :

- اتخاذ موقف حاسم تجاه إيران لاحتلالها الجزر العربية، وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين فى الخليج العربى.

- دعم المقاومة الفلسطينية ماديا وأدبيا، والإفراج عن الأبطال الفلسطينيين الأربعة الذين نفذوا حكم الشعب فى العميل الخائن « وصفى التل »[٣].

(١-٢) الوثيقة الرئيسية للجنة الوطنية العليا للطلاب - المعلنة فى اعتصام الطلاب يناير ١٩٧٢ .

(٣) « بيان سياسى إلى جماهير الطلاب » الصادر عن المؤتمر الطلابى بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٢/١/١٨ . - لعله موقف ذو دلالة أيضا أن معتقل القلعة فى هذه الآونة (يناير ١٩٧٢) كان مغلقا على أبطال الثورة الفلسطينية الذين اقتصوا من وصفى التل بالإضافة إلى أعضاء « اللجنة الوطنية العليا للطلاب ») .

بالاضافة إلى ذلك، وبحثا عن الدور الحقيقى الجدير بجماهير الطلاب والشباب خاصة أن يقوموا به، فهم يطالبون « بتحديد دور واضح للشباب فى المعركة والإسراع ببناء الجيش الشعبى وأن يكون تدريب الطلاب العسكرى على مستوى الجدية الذى يتناسب مع المواجهة المنتظرة (للعدو) مع الاستفادة بنوعية الدراسة فى الكليات المختلفة فيما يتيح لطلابها فرصة أكبر فى المعركة القادمة وذلك فى النواحى التالية:

أ - التدريب العسكرى وعلى أعلى مستوى مع تجنب الأخطاء التى حدثت من قبل[1] .

ب- التطوع فى الكتائب الفدائية [2].

جـ - التطوع للدفاع المدنى والإسعاف والتمريض .

د - معايشة يومية والتحام حقيقى بالجماهير من أجل مصلحتها[3] .

ثم يؤكدون مرة ثانية الرفض التام والشامل لأى حديث عن الحل السلمى يفرض على شعبنا كما أننا نرفض إجراء أى حوار مع الإمبريالية الأمريكية صانعة اسرائيل فى المنطقة[4] .

---

(١) ظل التدريب العسكرى لطلاب الجامعات فى الماضى - ولا زال حتى هذه اللحظات - مجرد إجراء روتينى يضيع فيه وقت وجهد الطلاب فى التدريب على بعض الحركات العسكرية البدائية دون أى محاولة جدية أو أدنى اهتمام بتدريب الطلاب المتحمسين فعلاً.. غالبًا ما يكون وقت التدريب العسكرى بالنسبة للطلاب فرصة للراحة عن عناء الدراسة وساعات (للتهريج) والهذر ، ولقد قاطع أغلب الطلاب الجادون هذا الشكل الكاريكاتورى المشوه وطالبوا - دون استجابة حتى الآن - بتعميق هذا التدريب كما وكيفا مساهمة من الطلاب فى الذود عن وطنهم .

(٢) تمنع السلطات المصرية انضمام الشباب المصرى لصفوف الثورة الفلسطينية وتطارد الراغبين منهم فى ذلك .

(٣-٤) بيان عن المؤتمر الطلابى المنعقد بكلية الهندسة - جامعة القاهرة - ١٩٧٢/١/١٩ .

وفى جامعة عين شمس أيضا نصت الوثائق الطلابية على المطالبة « بالتدريب العسكرى المنظم الجاد بالأسلحة الحديثة لجميع قطاعات الشباب، ورفض أسلوب التدريب الحالى لعدم جديته مع ضرورة ربط كل من يتم تدريبه بدور محدد لخدمة الجبهة الداخلية »[1].

كما يعلن الطلاب «تأييد الثورة الفلسطينية ممثلة فى طلائعها المسلحة ويطالبون بالافراج عن الفدائيين الأربعة المتهمين باغتيال وصفى التل»[2] .

وأيضا يطالبون « بتأميم المصالح الأمريكية فى مصر ودول اتحاد الجمهوريات»[3] .

ها قد تأكد بشكل قاطع الربط الوثيق بين قضية الشعبين المصرى والفلسطينى، أو على وجه الدقة قضية الشعب الواحد فى فلسطين ومصر، وحتى بعد أن زجت السلطة بالآلاف من الطلاب الوطنيين فى سجونها المنتشرة فى أرجاء الوطن، وبعد أن اضطر النظام للإفراج عن الطلاب المعتقلين تحت ضغط الشارع المصرى الذى كان يغلى ويمور نتيجة اندلاع المظاهرات الجماهيرية العارمة التى احتلت الميادين العامة والشوارع الرئيسية احتجاجا من الشعب على اختطاف خيرة أبنائه، حتى بعد هذا كله، عاود الطلاب - يحدوهم الحرص على أداء واجبهم وإكمال رسالتهم - « يعلنون الإصرار على الاستمرار فى حركتنا المجيدة، ونعلن تمسكنا المطلق بمطالبنا ومطالب الشعب المصرى المتمثلة فى « الوثيقة الطلابية » ، وندين بشدة انتهاك قوات الأمن المركزى للحرم الجامعى والتعدى الصارخ على حرية جماهير الطلاب الشخصية وحريتهم فى التعبير عن الرأى باعتقالهم ، ونعلن ثقتنا فى قيادة حركة الطلاب

(١ - ٢ - ٣) قرارات وتوصيات المؤتمر الطلابى العام المنعقد بكلية الهندسة - جامعة عين شمس - فى ١٩٧٢/١/١٩ .

(يناير ١٩٧٢) ، لأن القاعدة هي التي دفعت بها إلى موقع القيادة »[1] ثم يكررون فى حسم مطالبهم السابقة ، مطالب الشعب، ويعيدون التأكيد على ماجاء فى «الوثيقة الطلابية » ، من ضرورة رفض كل المحاولات الاستسلامية ، كما نؤكد على سحب الموافقة على :-

أ - قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

ب- مبادرة روجرز .

جـ - المبادرة المصرية .

د - مساعى يارنج (السلمية)[2] .

ويصر المؤتمر على ضرورة اتخاذ خطوات فعالة للسير فى اقتصاد ملائم للحرب ولذلك فيجب تسخير كل الإمكانيات الاقتصادية من أجل المعركة ، وذلك عن طريق:

أ- إلغاء بدلات التمثيل وإلغاء الامتيازات .

ب- تحديد حد أعلى للأجور بعشرة أمثال الحد الأدنى .

جـ - توجيه كل الطاقات فى المصانع الحربية لإنتاج الأسلحة والذخائر .

د - إيقاف استيراد السلع الكمالية والكف عن التوسع فى المجالات التى لا تخدم الحرب.

---

(١) المؤتمر الطلابي الحاشد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى « ذكرى يوم الطالب العالمى ،٢١ فبراير ١٩٧٢ » ، (يحتفل العالم كله ، تمجيدا لذكرى كفاح الطلاب المصريين ضد الاحتلال الانجليزى والعملاء وسقوط عشرات الشهداء منهم ، بهذا اليوم عيداً لطلاب العالم كله ، عدا النظام المصرى !).

(٢) المؤتمر الأسبوعى الثالث لكلية الآداب جامعة القاهرة - بيان « حول استمرار المسيرة الطلابية » ، ١٩٧٢/٣/٦ .

هـ - رفض ربط الاقتصاد المصرى بالمصالح الإمبريالية[1] كما يطلب المؤتمر «باتخاذ موقف حاسم إزاء الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على سوريا ولبنان بدلاً من إصدار البينات الحماسية والتى تزيد دائمًا من صلف وغرور العدو الإسرائيلى»[2].

ويؤكد الطلاب كذلك على « أهمية إعطاء الجماهير الطلابية حقها فى إبداء رأيها فى قضاياها المصيرية ، كما يرفضون محاولة تأديب قيادات الطلاب ويعتبرونها محاولة لتأديب الحركة الوطنية الشريفة » [3] .

* * *

لم تستطع السلطة بكل ما تمتلكه من أجهزة للقمع وأدوات القهر والإرهاب أن تثنى الحركة الطلابية عن مطالبها فى الحرية والديموقراطية والتقدم الاجتماعى لصالح الجماهير الكادحة الشعبية، ولم تستطع أن تفرض على الطلاب الْعُزّلُ إلا من إرادتهم الثورية وإيمانهم الواثق بالشعب والوطن، لم تستطع أن تفرض عليهم أدنى تنازل عن وثائقهم التى صنعوها بإصرارهم وأحالوها بدأبهم إلى وثائق للوطن كله، وإزاء صلابة الطلاب وتحديهم العظيم ، تحركت قطاعات كبيرة من الجماهير لكى تساندهم ، مدافعة عن وطنيتهم ، فى مواجهة حملة من التشويش الإعلامى الرخيص والتشويه البشع الذى فاق كل تصور، والتى قادها رئيس الجمهورية نفسه مع كل الوزراء والاتحاد الاشتراكى وكافة أجهزة السلطة ومؤسساتها (حتى المؤسسات

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) نفس المصدر السابق (بعد اضطرار النظام للافراج عن قيادات الحركة الطلابية المعتقلة تحت ضغط حركة الجماهير فى الشارع ، (أحال) أمرهم إلى إدارة الجامعة كى تتصرف بالفصل والتنكيل فيما أسموه مجالس التأديب غير أن إصرار الطلاب على رفض مبدأ تأديب الوطنيين عقابًا على وطنيتهم حال دون ذلك) .

الدينية !!) والمباحث والمخابرات، وبرغم ذلك فلقد أدرك الحس الوطنى السليم لدى الجماهير صدق أبنائها الطلاب وإخلاصهم المطلق لقضايا الوطن ، مما دفع النقابات العمالية والمهنية للاجتماع تأييدا لمطالب الطلاب ورفضا لمحاولات تشويه نضالهم، وهذا الأمر فى الحقيقة كان حدثا جديدا لم تشهده مصر من قبل ، إذ تتحدى النقابات التى تسيطر عليها العناصر الصفراء والمرتبطة بالنظام - تحت ضغط القواعد الغلاب ، إرادة الحاكم والحاشية، وتعلن فى جرأة نادرة موقفها ، تماما كما أعلن الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين: « نحن الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين نؤيد الكفاح الوطنى الديموقراطى للطلبة ، رافضين كافة الحلول الاستسلامية للقضية الوطنية ابتداء من قرار مجلس الأمن (نوفمبر ١٩٦٧) ، إلى أية مبادرة تقايض توقيع اتفاقية صلح مع إسرائيل بمساومات الانسحاب الجزئى .

* * *

ونؤيد كل المطالب التى تضمنها بيان « اللجنة الوطنية العليا للطلاب » باعتبارها القائدة الحقيقة للحركة الطلابية .. عاشت مصر عاش كفاح الشعب المصرى[1].

لقد أيقظت الحركة الطلابية فئات عديدة من أبناء الوطن ، وأعادت إلى ذاكراتهم التى كاد يعلوها الصدأ هدير مظاهرات الأمس القريب ، حيث اندفعت حشود الجماهير تنادى «الاستقلال التام أو الموت الزؤام » ، « نموت وتحيا مصر » .. أعادت لهم ذكرى مصر الحقيقية - مصر النديم وفريد والجراحى وأم صابر، والتى

---

(١) « بيان الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين »، بتوقيع ٨٩ من الكتاب والفنانين والأدباء على رأسهم : نعمان عاشور - أحمد عباس صالح - أديب ديمترى - عبد الله الطوخى - عبد الفتاح الجمل - صلاح عيسى - فتحى عبد الفتاح - عز الدين نجيب ، وعشرات الصحفيين والشعراء والتشكيليين والممثلين وغيرهم .

حاول الإرهاب والقمع أن يطمسا ملامحها الراقدة فى أعماقهم، وحين تحدى أبناؤهم سطوة السجن والسجان غنوا لهم فى الشوارارع أغانى الوطن والفداء.. ومع الشيخ الضرير صاحب الموقف البطولى ، فنان الشعب ، أمام عيسى ومع أحمد فؤاد نجم ترددت أصداء صوت الأمة التى قامت تنفض آثار نومتها ، وتتحدى الموت بعنفوان الحياة ، حقا «رجعوا التلامذه للجد تانى »[1] عاد صوتهم الأصيل ، صوت الشعب كله، يتحدى ويقول ما لا يستطيع فى هذه اللحظة غيرهم أن يقوله ، عادوا يُعَبرون عن الآم الوطن وجراحه، ويطرحون أحلامه وأمانيه التى التف حولها الجميع .. *إن مأساة الوطن لا سبيل لحلها إلاّ بالاستناد إلى الشعب الواعى المنظم والمسلح ، وإلا بالتصدى لكافة خطط الإمبريالية والعملاء التى ترمى للصلح مع اسرائيل وتصفية الموقف الوطنى الرافض لها .. وإلا بدعم كل قوى الثورة فى العالم والعالم العربى والالتحام بها التحاما عضويا تبرره وحدة المسيرة والمصير .. والا بالالتفاف حول الثورة الفلسطينية التى تخوض بجلال وبطولة نادرة معركة الوطن العربى كله ، بل والانسانية بأجمعها، ضد النازيين الجدد ، فى إسرائيل ، ولكن هذا كله ، ولكى يتحقق بشكله الصحيح ، لكى يتحقق بشكل حقيقى وخلاق، لابد من أن يستند إلى قاعدة متينة من الديموقراطية التى تُلغى فيها كل أجهزة القمع والقهر التى تستخدم لإذلال أبناء الشعب، وتستبدل بمؤسسات ديموقراطية فعلاً، تستطيع فيها الجماهير أن تجد صدى لوجدانها اليقظ ، كما لابد من أن تطلق حريات الجماهير فى إبداء الرأى والتعبير عن وجهات نظرها والمشاركة فى صنع القرار دون كبت أو قهر ، ثم فى النهاية ليس هناك أدنى أمل فى الانتصار إذا ما ظلت الأمور على ما هى*

---

(١) من أغنيات الشاعر أحمد فؤاد نجم التى غنتها الجماهير مع الشيخ أمام ترحيبا وتمجيدا بالانتفاضة الطلابية.

عليه من أغلبية ساحقة تكد وتضنى وتضحى بالنفس والمال فى سبيل الوطن، وأقلية ضئيلة تمتص دماء الملايين لتصنع منها الملايين ، ولذا لابد من أعادة توزيع أعباء المعركة بحيث تتحمل الطبقات العليا عبئا يناسب مقدرتها ، على أن يعاد تشكيل الهيكل الاقتصادى للبلد بشكل تام بحيث يخدم فى النهاية شعار «كل شئ للجبهة - كل شئ من أجل النصر » .

لقد كانت بذور البرنامج السياسى - الوطنى الديمقراطى تتجمع فى رحم الحركة الطلابية، وكانت هذه المطالب المعبرة بصدق عن نبض الطلاب وأمانيهم تعكس بدقة أيضا نبض الشعب وأمانيه ، كانت هذه المطالب تضع علامات الطريق الصحيحة لحركة الطلاب، كى تستكمل نضالها من أجل تحديد أكثر ووضوح أكبر وبلورة أشد لأطروحاتها .

فمن بين آلاف الصحف الحائطية وعبر مئات المؤتمرات والتجمعات وحلقات النقاش وخلال عشرات المعارك الكبيرة والصغيرة وآلاف الأحداث التى لا تُرى - داخل الأسوار الجامعية وخارجها - استمد الطلاب، يوما بعد يوم ، وضوحا أكثر لبرنامجهم ، واختبروا فى الممارسة على أرض الواقع أفكارهم ، وأعادوا مرة بعد أخرى صياغة تحليلاتهم السياسية على هدى النمو التدريجى فى وعيهم وقدرتهم على امتلاك أداة الفهم المنهجى العلمى للواقع وتحولاته .. ومع يناير من كل عام، كانت الحركة الطلابية تستجمع طاقاتها وإرداتها الخلاقة فى انتفاضة جديدة، تحبط بها محاولات الاحتواء والتصفية التى ما توانت السلطة لحظة واحدة فى العمل على تنفيذها بكل الوسائل والسبل ... واستطاع الطلاب المرة بعد الأخرى أن يعيدوا السهام لصدر راميها، وأن يظلوا صامدين، لقد امتلكتَ السلطة كل الأسلحة ولم يكن لدى الطلاب وقيادتهم غير السلاح الأعظم - الجماهير - لكى يلتمسوا حمايتها ... وفى الحقيقة لقد منحت الجماهير أبناءها سندها ودعمها اللذان بلا

حدود.. واستطاعت الحركة الطلابية الوليدة أن تشب عن الطوق مبكرا لكى تصل إلى مرحلة الرجولة برغم كل الصعوبات .. وإزاء كل الضغوط التى مورست على السلطة، ومع تدهور أحوالها وتدنى الوضع العام لها - وإزاء الضرورة القصوى التى استشعرتها لكى تحرك (الأزمة)، وتحسن شروط التساوم، خاضت معركة أكتوبر ١٩٧٣ .. لقد اندفع الشعب كله، وشبابه على وجه الخصوص بمقاتليه الأماجد - ومعظمهم كانوا من خريجى الجامعة - لكى يعبروا كل أسوار الغرور الإسرائيلى والإمبريالى .. واستطاعوا أن يثبتوا قدرتهم على المواجهة وقبول التحدى .. بينما كانت (قيادتهم) مشغولة لبحث سبل اللقاء مع العدو الرئيسى - أمريكا - وتعد وثائق الاستسلام واحدة بعد الأخرى، وصكوك العفو عن العدو الصهيونى والاعتراف به صكا فصكا ، وتفتح الباب على مصراعيه أمام الإمبريالية العالمية لكى تشارك فى نهب الشعب وامتصاص البقية الباقية من قطرات دمه.

مرت فترة طويلة - قاسية وأليمه - قبل أن تستطيع الحركة الطلابية طرح تحليلاتها عن حرب أكتوبر على الساحة - وبرغم أنها توصلت فى أسرع وقت (وحتى قبل أن تخوض السلطة المعركة المحدودة كانت تتوقع ذلك) إلى الفهم الصحيح لطبيعة الحرب التى خاضها النظام - مداها وأبعادها والهدف منها - برغم ذلك كله ، كان من الصعب أن يتلقى الإنسان المصرى أى صوت يحاول أن يهز الصورة المعطاة التى ضخموها له وزينوها عبر وسائل الإعلام المصرى العريقة فى التزييف وقلب الحقائق، لقد أفهموه أنه سحق أعداءه سحقا ، وأن الثغرة التى فُتحت فى حصونه لا أهميه لها ، وأن الحرب الاكتوبرية غيرت - بقدرة قادر- موازين القوى العالمية ، وحولت بشكل سحرى غامض العدو إلى صديق والصديق إلى الد الاعداء ... وإذ بأمريكا التى خلقت عدونا وأمدته بكل أنواع الدعم والمساندة وخاضت ضد أبناء شعبنا المعركة وجها لوجه .. إذ بها الصديق صاحب المواقف

البناء التى يعتمد عليها .. ولقد استغلوا فاقة الشعب .. جوعه وحاجته.. ومنوه باسم «الانفتاح الاقتصادى» بأنهار اللبن والعسل والزبد الأمريكى الفاخر .. وبعض الطحين والدولارات التى يحملها فى جيوبه راعى البقر ، وأفهموه أن هى إلا لحظات، وتنفتح أبواب الجنة أمامه وما عليه ألا الصبر .. فبعد قليل تنفرج الأزمة وتزول الغمه !.

ليس سوى القوى الوطنية الديموقراطية (فى مصر) - وفى قلبها حركة الطلاب - من استطاع أن يدرك الأبعاد الخطيرة لمخطط السلطة الجديدة حيث تنفتح كل أبواب الوطن لنهب الامبريالية العالمية تحت شتى الدعاوى، وتشب إلى مواقع التأثير المباشر وصنع القرار القطاعات الأكثر تخلفا واستغلالا ومعاداة للجماهير وتفريطا فى قداسة الوطن وحقوقه .

ومع مرور الوقت ، وبرغم صعوبة التصدى لموجات الهجوم التى شنتها السلطة بحقد وضراوة لتصفية الحركة الديموقراطية ، فى المجتمع وداخل الجامعة ، نوبة تتلو نوبه ، استطاعت الحركة الطلابية أن تعاود الزحف بعد كل كبوة ، لكى تستعيد مواقعها موقعا بعد آخر وتسترد قدرتها على المبادرة والهجوم والقيادة - مسيرة طويلة مليئة بالتضحيات .. وبالانتصارات والهزائم ، يزيد من تعقيدها وصعوبتها وعظم الثمن المدفوع فيها، سطوة جهاز القمع فى هيكل البورجوازية البيروقراطية الحاكمة ، جهاز القمع صاحب التراث التاريخى (التليد)، كما يضاعف من مشقتها ضعف الحركة الثورية خارج الجامعة وتشتتها نتيجة للضربات القاسمة (الخارجية والداخلية) التى وجهت لها فى السنين السابقة ، وعلى أية حال ، فلقد شهد عام ١٩٧٥ (١ يناير منه)مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الطلابى ، وصورة أخرى من صور التحام الحركة الطلابية بحركة الطبقة العاملة المصرية ، إذ صاحب النزول الجماهيرى الضخم للعمال إلى الشارع، ومظاهراتهم فى ميدان التحرير وما

يحيطه ، تحرك الطلاب فى الجامعة من أجل الالتقاء بهم، وإذ أدركت الأجهزة القمعية للسلطة خطورة ذلك - وهى مستعدة دائما وجاهزة للتحرك الفورى - اندفعت للقبض على كل الكوادر القيادية للحركة الطلابية الذين كانوا يتحركون وسط الطلاب للرد على نزول قوات الأمن المركزى إلى الشارع وقمعه الضارى لجماهير الطبقة العاملة .

لم تستطع السلطة - برغم ذلك - أن تنفذ خطتها - واستطاع أغلب الكوادر الطلابية الإفلات من بطشها ، وشهدت ساحة الجامعة معركة ضارية لمدة ثلاثة أشهر أو يزيد ، بين مجموعة من قيادات الطلاب وجماهيرها ، (والذين أصروا برغم أوامر القبض عليهم ، على النزول يوميا إلى الجامعة لأداء مهمتهم) . وبين أبشع أجهزة الإرهاب والتجسس التى حاصرت الجامعة ومداخلها ، واندست داخلها ، وسدت عليها المنافذ ..

وبرغم كل شئ انتصر الطلاب وأثبتوا عقم كل المخططات التى تحاك لإبادة حركتهم ، بل خرجوا من هذه المعارك أكثر صلابة ، وأشد عودا .

لم يكن هناك من بد أمام الجامعة وإدارتها ، واتحاد الطلاب الرسمى بها ، إزاء هذا الصمود البطولى لحركة الطلاب والحضور الكامل لها فى كل أركان الجامعة وخارجها إلا أن تتراجع أمام إرادة الجماهير الطلابية، وإلاّ أن تعترف لطلائعهم الوطنية الديمقراطية التقدمية بحق الوجود المستقل - بعد أن منحتهم جماهيريتهم الصادقة والتحامهم الحقيقى بشعبهم - الشرعية التى لا تنكر، *ولتبدأ مرحلة جديدة من ملحمة الكفاح الطلابى بإنشاء «نادى الفكر الاشتراكى التقدمى».. المنظمة الطلابية - الجماهيرية الأولى للطلاب الوطنيين - خارج كل الإطارات الرسمية الملفوظة للنظام .. المنظمة (الشرعية) الوحيدة التى تقف بمهابة ،*

لتلْحقُ - مع غيرها من فصائل الكفاح الوطنى الثورى - الهزيمة بعشرات المنظمات الرسمية التى اسقطتها الجماهير من حساباتها وانفصلت عنها وصارت تطمح لاستبدالها بتنظيماتها المستقلة الواعية .

(ب)

نادى الفكر الاشتراكى التقدمى بجامعة القاهرة
انتصار جديد للحركة الطلابية الوطنية الديمقراطية المصرية(*)

إذا كان كفاح الطلاب العنيد منذ عام ١٩٧٢، وحتى الآن، قد تدعم بانتصار جديد على صورة شكل قيادى يضم تحت جناحيه أفضل وأصلب العناصر القيادية بجامعة القاهرة - نادى الفكر الاشتراكى التقدمى - فلقد أثبت الطلاب الوطنيون الديمقراطيون المنضمون تحت لواءه قدرات ايجابية حقيقة، بوأتهم، برغم حداثة شكلهم التنظيمى، لأن يتقدموا صفوف الحركة الجماهيرية ، وأن يكون لهم شرف الدعوة .

أولاً : فى الذكرى الثلاثين لانتفاضة الشعب المصرى عام ١٩٤٦، لمهرجان وطنى حاشد امتد من ٢١ فبراير سنة ١٩٧٦ وحتى الرابع من مارس، وشاركت فيه كل قيادات الحركة الوطنية فى مصر منذ ثلاثينات هذا القرن وحتى الآن، بما فيهم أعضاء اللجنة الوطنية العليا للعمال سنة ١٩٤٦، واللجنة الوطنية العليا للطلاب سنة ١٩٧٢ .

ثانياً : للقاء القوى التقدمية المصرية تضامنا مع الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية ، والذى انعقد بكلية الاقتصاد - جامعة القاهرة ، فى الفترة من الاثنين ٧٦/٧/١٢ وحتى الخميس ١٩٧٦/٧/١٥، وشاركت فيه وفود ممثلة لشتى التجمعات والقوى التقدمية فى شتى أنحاء الوطن ، بالاضافة لممثلى الحركات

(*) دراسة نشرت فى مجلة « الثقافة » ، بغداد ، العدد (٩) ، سبتمبر .

التحررية والثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية، والعشرات من المنظمات الطلابية العربية والافريقية والمنظمات المهنية والتجمعات الثقافية والشخصيات ، في ما شكل حدثا وطنيا وثوريا هاما، وانتقالا كيفيا حقيقيا للقوى الديموقراطية المصرية النامية، مؤكدا وجودها القوى على ساحة الوطن وبالشكل الذى لا يمكن تجاهله أو أنكاره .

مرة ثانية، يصبح التضامن مع الثورة الفلسطينية دافعا جديداً لنمو الحركة التقدمية المصرية، ويصبح لأولئك الابطال الذين يحملون صلبانهم، حتى فى لحظات الشهادة - فضل المساهمة التى لا تنكر فى ميلاد فتيان الغضبة الضارية التى تتجمع وتنمو فى احشاء وطننا .

لقد تبلورت أخيرا ملامح البرنامج السياسى لحركة الطلاب الوطنية الديمقراطية فى مصر حيث طرح رؤاه للواقع المصرى وكيفية الخروج به من أزمته الخطيرة، بالاعتماد على ركائز أساسية ثلاث لا يمكن الفصل بينها، ويؤكد الانتماء الثورى للشعب المصرى، وحركته الطلابية، وارتباطها بمعسكر التحرر والتقدم.

إذ ينص البرنامج الوطنى الديموقراطى لنادى الفكر الاشتراكى التقدمى - أحد أهم الإنجازات الثورية لحركة الطلاب الديموقراطية الوطنية المصرية - فيما يخص القضية الوطنية على :

١- إن الامبريالية الامريكية وإسرائيل هما العدو المباشر لشعبنا، وأن سياسة التفاهم مع العدو والارتباط والاعتراف به خيانة لحقوق الوطن والشعب واهدار لدماء شهدائنا .. لذا نؤكد على رفضنا التام لكافة السياسات الاستسلامية مثل قرار ٢٤٢، واتفاقيتى الفصل الأولى والثانية، مؤتمر جنيف .

٢- أن الإطاحة النهائية بالسيطرة الاستعمارية فى بلادنا لن تأتى إلا عن طريق

خوض حرب تحرير شعبية طويلة الأمد، تشارك فيها الجماهير الشعبية إلى جانب القوات النظامية، وذلك بإطلاق مبادرات الجماهير فى تنظيم صفوفها وتسليح نفسها لمواجهة كافة احتمالات المواجهة الشاملة مع العدو .. وهذا يعنى ما يأتى :

أولاً : بالنسبة للجيش النظامى :

فإن الحرب الشعبية تسعى إلى ترقيه الجيش النظامى من حيث التدريب والتسليح والتنظيم فى اتجاه الوحدة بين الضباط والجنود وبين الجيش والشعب عن طريق :

أ- إلغاء الامتيازات الممنوحة لكبار الضباط ورفع مرتب الجندى إلى مستوى أجر العامل الصناعى .

ب- إنزال مدة التجنيد الإجبارى لغير المؤهلين إلى ما يساوى الخدمة للمؤهلين.

جـ- منع اضطهاد وسب وضرب الجنود ، والقضاء على روح الاستعلاء لدى الضباط.

د- عدم اعتداء الجيش على مبادرات الجماهير .. وهذا يفترض عدم وجود قوات أمن مركزى .

هـ- إشاعة روح الديمقراطية داخل الجيش وتسييسه وتعزيز ارتباطه بالجماهير .

ثانياً : بالنسبة لقوات الشعب :

أ- تكوين فرق مسلحة من العمال والفلاحين والمثقفين والطلاب تقوم بشن حرب عصابات ضد جيش العدو النظامى .

ب- تكوين لجان محلية شعبية فى المحافظات والمدن لمواجهة التسلل والإنزال .

جـ- إقامة لجان العمل الإنتاجى فى المصانع والمزارع لزيادة وتطوير الإنتاج .

ثالثًا : بناء أقتصاد حرب حقيقى :

يقوم على مواجهة كافية احتمالات الحرب الشاملة، مع توسيع قاعدة الصناعة الثقيلة الكفيلة بدعم الصناعات التى تخدم الحرب وتوفر متطلبات الاستهلاك الضرورى للشعب، إلى جانب استخدام أسلوب التخطيط العلمى لموارد وامكانيات المجتمع .

رابعًا : تأييد الثورة الفلسطينية :

فى اتجاه تحرير كل التراب الفلسطينى واقامة الدولة الديمقراطية العلمانية فى فلسطين .. وإدانة كافة المخططات التى تهدف إلى تصفية الثورة مثل : مشروع الملك حسين - آلون، ومهزلة إقامة الدولة الفلسطينية فى إطار الحلول الاستسلامية، وإدانة كافة حملات التشويه والحصار الإعلامى حول منظمات الثورة الفلسطينية .

خامسًا : تصفية مصالح الاحتكارات الإمبريالية :

عن طريق التأميم خاصة فى مجال البترول والتعدين والتصنيع، وضرورة تصفية كافة النشاطات الثقافية التى تخدم مصالح الإمبريالية وتروج لثقافة رجعية معادية للشعب .

سادسًا: التحالف المبدئى والتاريخى:

مع كل الدول المتناقضة مع الإمبريالية، خاصة دول المعسكر الاشتراكى والأنظمة الوطنية التقدمية فى العالم والعالم العربى .

سابعًا : رفض سياسة الانفتاح :

على الرجعية العربية ، خاصة السعودية والأردنية، والتصدى للرجعية الحاكمة فى إيران التى احتلت الجزر العربية .

ثامنًا : التأييد الكامل لحركات التحرر الوطني:

وعلى رأسها ثورة ظفار وثورة ارتيريا والقوى التقدمية والوطنية فى لبنان وإدانة حزب الكتائب والأحرار عملاء الإمبريالية فى المنطقة العربية .

لقاء التضامن مع الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية:

لقد عكس البرنامج الوطنى الديموقراطى للنادى، فهمنا لجدلية العلاقة مع القوى الثورية العربية والعالمية ، ومع الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية فى لبنان، إننا جميعا رفاق معركة واحدة نخوضها على جبهات متعددة ، والعدو واحد، وهدفه محدد: اجتثاث جذور الثورة والتحرر من أعماق وطننا العربى .. ومن هنا ، وإزاء انكشاف مخطط التصفية وأبعاد المؤامرة التى أقدمت على تنفيذها قوى العمالة فى لبنان متضامنة مع أنظمة الاستسلام وفى مقدمتها النظام السورى ، وبمباركة الإمبريالية العالمية وإسرائيل ودعمهما، إزاء انكشاف أبعاد هذا المخطط ، وتطبيقا لبرنامج « نادى الفكر الاشتراكى التقدمى » ، توجه بالدعوة إلى كافة العناصر والقوى التقدمية فى مصر للمشاركة فى « أسبوع مناصرة الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية » فى ظروف « تتعرض فيها الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية فى لبنان لمؤامرة واسعة النطاق تلتقى فيها الإمبريالية الأمريكية والصهيونية والقوى المساومة والمستسلمة فى اتجاه ضرب وتصفية حركة التحرير العربى وتطويق ومحاصرة الثورة الفلسطينية .. أن هذه المؤامرة تستهدف فى الأساس تمرير التسوية الإمبريالية التى تدعم ركائزها فى المنطقة، وتفتح الطريق للاعتراف بالكيان الصهيونى والتعايش وانهاء حالة الحرب معه، وما يحث الآن فى لبنان ليس سوى مقدمه كبرى للمؤامرة التى تستهدف الوطن العربى كله، وانطلاقا من المخاطر التى تمثلها هذه المؤامرة الإمبريالية الرجعية، وضرورة التفاف كل القوى الوطنية الديموقراطية حول دعم ومناصرة الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية فى

لبنان دعى « نادى الفكر الاشتراكى التقدمى » بجامعة القاهرة كل القوى والعناصر الوطنية فى مصر إلى الاشتراك فى « أسبوع مناصرة الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية » وذلك لتحديد موقفها من تلك المؤامرة، وبحث أساليب دعم المقاومة ماديا ومعنويا (تبرع بالمال - تبرع بالدم- تشكيل لجان لمناصرة الثورة الفلسطينية - بحث إمكانية التطوع فى صفوف المقاومة مشاركة لها نضالها المشروع ضد مؤامرات الرجعية ، وقد تحددت الموضوعات الأساسية للقاء على النحو التالى:

الثورة الفلسطينية : التاريخ والمستقبل :

الإمبريالية ومنهج المواجهه فى المنطقة العربية: وذلك فى الثلاثة أيام الأولى من المؤتمر على أن يختتم بحفل فنى ثورى، بعد أن يتم تشكيل لجان المناصره وإقرار أشكال الدعم المختلفة : كما تحدد مشاركة العديد من المثقفين والمناضلين المصريين والعرب فيه (الاساتذة : عبد القار ياسين - عبد العال الباقورى - أبو نضال - مريد البرغوثى - حسين عبد الرزاق .. وغيرهم ، وفنان الشعب الشيخ إمام والشاعر أحمد فؤاد نجم ، الفنان عدلى فخرى، والشاعر سمير عبد الباقى، والشاعر زين العابدين فؤاد ، والعديد من الشعراء والفنانين فى مصر) .

كما شارك فى اللقاء السيد « عبد الجواد صالح » عضو الهيئة التنفيذية العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا الثورة الفلسطينية ، وبعض ممثلى الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية .

* * * * *

لقد أثبتت الحركة الوطنية الديموقراطية الجديدة فى مصر حيوية مدهشة وقوة على التحدى لا تنكر، إذ تتالت كلمات العشرات من الممثلين لمختلف مراكز وتجمعات القوى التقدمية المصرية ، لكى تفضح أبعاد المؤامرة وتدين أنظمة

الاستسلام والمهادنة (بما فيها النظام المصرى) ، وتعلن رفضها للوجود الإمبريالى على أرضنا، وتعلن اعتزامها النضال من أجل انتزاع كافة الأسلحة الديموقراطية الضرورية لخوض كفاح طويل المدى ضد أعدائنا، وتؤكد استعدادها الكامل لكى تضع كل إمكاناتها تحت أمرة قوى الثورة العربية وخاصة فى لبنان .

ولقد أصدر المؤتمر بالإجماع المطلق بيانا - وثيقة تاريخية - تُحدد فهم القوى التقدمية المصرية للقضية الوطنية وخلفيات الصراع فى لبنان وموقف هذه القوى إزاء ما يجرى على الساحة الوطنية وما يستهدف قضايانا من مؤمرات وكيفية التصدى لها (النص الكامل للبيان الختامى للقاء ملحق بآخر هذا العرض)، كما اختتم لقاءه بحدث هامّ وبالغ القيمة ، ألا وهو تشكيل «لجان مناصرة الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية» بحيث تكون أشكالا جماهيرية بحته تنتشر على امتداد الساحة المصرية، وتحوى ممثلين لكل المواقع العمالية والفلاحية والمهنية والطلابية وبحيث تكون واجباتها :

١- التصدى لكل الدعايات المضادة حول القضية الوطنية وفضح أبعادها .

٢- طرح وجهات نظر الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية وكسر طوق الحصار الإعلامى المضروب حولهما وتوصيل وجهات نظرهما للجماهير المصرية .

٣- بحث كافة أشكال الدعم المادى والأدبى للثورة بما فيها تكوين كتائب مقاتلة فى صفوف الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية .

ولقد تشكلت سكرتارية مؤقتة لإدارة عمل اللجان التى انتشرت فى أنحاء مصر (المصانع والقرى والجامعات والتجمعات الثقافية)، كما انتخبت أمانة مؤقتة لها، على أن يكون هدف أساسى لنشاطهما فى هذه الآونة الإعداد لـ «مؤتمر كل الشعب المصرى لمناصرة الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية » فى الفترة القادمة.

والعمل على تحقيق شعار التضامن الفعلى مع الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية بتكوين كتائب المتطوعين المصريين .

لقد حقق لقاء القوى التقدمية المصرية انجازات هامة على طريق النضال الجماهيرى، حيث أكد وجود القوى التقدمية المصرية وكسر حاجز التردد والرهبة الذى كانت محاطة به ، كما أبرز بشكل قوى تضامن الشعب المصرى مع قوى الثورة العربية والعالمية فى شكل دائم ومستمر ومتطور (اللجان) ، كما أكسب منظمى اللقاء من أعضاء « نادى الفكر الاشتراكى التقدمى » خبرات ثمينة فى التنظيم والقيادة وربطهم بالعديد من القوى الوطنية والتقدمية المصرية والعربية، كما أتاح الفرصة لاكتشاف عناصر جديدة وكفاءات ممتازة، ونقل العمل فى الجامعة نقلة كيفية هامة على صعيد الارتباط بين حركة الطلاب والحركة خارج الجامعة وبقضايا الوطن كله.

لقد رفع « النادى » شعار « سواعد الجماهير تحمى بنادق الثوار » وعلى كافة المناضلين أن يحولوا هذا الشعار إلى حقيقة ، ذلك أننا نؤمن بثقة أكيدة أن الشعب هو حمايتنا الوحيدة ودعمنا الدائم ، بعد أن (خذلت) الأنظمة المستسلمة أولئك الذين صورت لهم أوهامهم يوما إمكانية الاعتماد عليها وكسب ودها ومساندتها .

من بين الجماهير خرجت الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية ، وإلى الجماهير تعود هذه هى رؤانا ، ونحن نسعى لتحقيقها، وواثقون - مهما كانت العقبات - من حتمية الانتصار .

ملاحق من وثائق « نادى الفكر الاشتراكى »

(١) حول ... أبعاد الصراع في لبنان

منذ أكثر من عام ونصف ... والسؤال الذى يتردد : ماذا يحدث فى لبنان ؟ هل هو مجرد صراع طائفى بين مسلمين ومسيحيين ؟ أم صراع طبقى تحدده طبيعة المجتمع ذاته ؟ .. أم هى مؤامرة إمبريالية رجعية تطلب رأس الثورة الفلسطينية من أجل تقرير التسوية الاستسلامية « الأمريكية المضمون » ؟.

أولا : البُعد الطبقى للصراع :-

المجتمع اللبنانى مجتمع رأسمالى تابع تهيمن عليه فئات طفيلية عميلة للإمبريالية ، مرتبطة بمصالحها ارتباطا عضويا ، ومعادية بحكم طبيعتها ومصالحها - لحركة التحرر الوطنى العربية ، وفى مقدمتها الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، ومما يؤكد ذلك تلك القسمات التى يتسم بها المجتمع اللبنانى .

١- الاقتصاد اللبنانى اقتصاد طفيلى بالأساس يرتكز على قطاع الخدمات (سياحة ، فنادق، ترانزيت...) ويمثل هذا القطاع وحده حوالى ٦٨٪ من الدخل القومى، أما النشاط الإنتاجى المتمثل فى الزراعة والصناعة فإنه يمثل النسبة الباقية من الدخل .

٢- تهيمن على المجتمع فئة طفيلية من البرجوازية الكبيرة ذات الطابع الاحتكارى، محدودة العدد لا تتجاوز ٤٪ من السكان، تستحوذ على معظم الدخل القومى، فى حين تعيش أوسع الطبقات الشعبية من فلاحين وعمال وبرجوازية صغير فى ظروف غاية فى التردى فتتدهور أحوالها المعيشية بصورة مضطردة بفعل تناقص دخولها الحقيقية واتساع ظاهرة البطالة بينها، وذلك لأسباب عديدة منها:-

أ- استيراد ظاهرة التضخم وارتفاع الأسعار من العالم الرأسمالى ، بسبب ارتباط الاقتصاد اللبنانى بالسوق الرأسمالية العالمية ارتباطا عضويا .

ب- إفقار الفلاحين المتزايد بسبب اعتمادهم على الأساليب البدائية فى الزراعة ووقوعهم تحت وطأة استغلال بشع يُمارس عليهم من فئة محدودة من الرأسمالية الزراعية المسيطرة فى الريف.

جـ- هجرة أعداد متزايدة من الفلاحين من جنوب لبنان إلى بيروت بفعل القصف الإسرائيلى المستمر لمنطقة الجنوب ، ولعدم تسليح الجماهير هناك لحماية نفسها ضد العدوان .

ولقد أدى هذا الوضع الاجتماعى إلى تفجير الحركة الجماهيرية فى المجتمع اللبنانى والتى كان من أبرز شواهدها فى الأونة الآخيرة :-

مظاهرات عمال غندور فى نوفمبر ٧٢ مطالبين بزيادة الأجور، ومظاهرات فلاحى مزارع التبغ فى يناير ٧٣ مطالبين بزيادة أسعار الدخان الخام والحد من استيراد الدخان الأجنبى والتأمين الصحى للمزارعين ، واضراب المعلمين فى مارس وإبريل ٧٣ مطالبين بزيادة الأجور ، وإضراب عمال النقل العام والبنوك ، وإضراب عمال شركة صفا بصيدا .. ومظاهرات فبراير ٧٤ التى شارك فيها العمال والفلاحين والهيئات الشعبية والأحزاب السياسية مطالبين بـ : رفع الحد الأدنى من الأجور إلى ٣٠٠ ليرة لبنانية - خفض الإيجارات بنسبة ٢٥٪ ، فتح أسواق شعبية وتعاونيات استهلاكية للمواطنين.

ولقد كان من أبرز الشعارات التى عبرت عن سخط الجماهير اللبنانية على الأوضاع الاجتماعية السائدة : - ها الدولة اللبنانية .. كلها سرقة وحرامية، وغلوا الأسعار التجار الاحتكارية .. نهبوا الجماهير وقالوا هيدى الحرية، وزيدوا بها الغلا

زيدو .. وها النظام ما بنريدوا .. وفى هذا السياق كانت حوادث صيدا (مظاهرات الصيادين) بداية تفجير الحرب الأهلية فى مرحلتها الأولى .. حيث توجهت أجهزة القمع إلى ضرب هذه الانتفاضة وغيرها من الانتفاضات الجماهيرية للحيولة دون تحول الحركة السياسية إلى قوة يمكن أن تحدث تغيرات جزئية أو كلية إصلاحية أو جذرية فى الواقع اللبنانى، ومما كان يزيد خشية الطبقة الحاكمة فى لبنان من هذه التحركات الجماهيرية هو نمو وتعاظم قوى اليسار واتساع وزنها وتأثيرها داخل هذه التحركات .

ثانيًا : البُعد الوطنى للصراع :

إنطلاقا من ارتباط مصالح الرأسمالية اللبنانية والإمبريالية العالمية، توحدت المواقف بينهما إزاء حركة التحرر الوطنى العربى، وخاصة طليعتها المسلحة : المقاومة الفلسطينية .. فموقف القوى اليمينية اللبنانية من الأحلاف الاستعمارية فى منتصف الخمسينات ليس فى حاجة إلى ايضاح حيث وصل بها الأمر إلى حد استدعاء الإمبريالية الامريكية لضرب الحركة الوطنية اللبنانية التى كانت تتصدى لمؤامرة ربط لبنان بحلف بغداد ، ومن ثم فلا غرابة فى أن تنسجم هذه القوى مع مصالحها الاقتصادية والسياسية وترفض الرضوخ لمطالب الجماهير اللبنانية بالتسلح وإعداد جيش وطنى قادر على الدفاع عن الوطن اللبنانى، وتستخدم الجيش بدلا من ذلك كأداة قمع وتأديب للحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية رافعة شعار « إن قوة لبنان فى ضعفه » .

ولقد ترتب على تواجد المقاومة الفلسطينية بصورة مؤثرة وقوية وتنامى الحركة الشعبية اللبنانية فى الوقت ذاته، أن كلا منهما أصبح دعامة للآخر ، وازداد تلاحمهما العضوى فى خضم المعارك ، فوجود المقاومة وتصديها لمؤامرة التصفية

عام ٦٩ كان نقطة البدء فى انهيار سلطة « المكتب الثانى » الذى هيمن على الحياة السياسية اللبنانية، خانقا إياها، وهو الأمر الذى هيأ ظروف أكثر مواتاه أمام نمو الحركة الشعبية وأمام ارتباطها وتحالفها مع الثورة الفلسطينية، مما ساعد على حماية ظهر الثورة من ضربات الغدر والخيانة ، ولقد وعت القوى الرأسمالية اللبنانية أن استمرار استغلالها للجماهير الشعبية يستلزم القضاء على الحركة الشعبية ، وهو الأمر الذى يستلزم القضاء على المقاومة ، التى تدرك أنها ليست طرفا محايدا فى الصراع الدائر بين القوى الاجتماعية فوق الأرض اللبنانية، ومن هنا ارتبط الصراع الطبقى بالبعد الوطنى للصراع ارتباطا قويا وحاسما .

ثالثًا : التسوية والتصفية :

يؤكد استقراء الحوادث أن ما يحدث فى لبنان هو خطوة فى مخطط امبريالى متكامل يجرى تنفيذه على مراحل، ففى ظل « مشروع روجرز » وما تلاه من اتفاقيات القاهرة وعمان تمكن النظام الأردنى من تجريد الميليشيا الفلسطينية من السلاح ، وهى التى كانت تحمى ظهر المقاومة ، ومحاصرة الفصائل المسلحة للثورة الفلسطينية فى منطقة الأحراش ، بحيث تيسر بعد ذلك للنظام أن يوجه الضربات القاصمة للثورة وينهى وجودها العلنى تمامًا فى الأردن ، وفى مصر ليس مسموحا للثورة الفلسطينية أن تستخدم الأرض المصرية فى تدريب قواتها أو إقامة قواعد ثورية لها وليس لها فضلا عن ذلك أى وجود تنظيمى أو إعلامى مؤثر، بل درج النظام على إغلاق إذاعة فلسطين كلما عارضت المقاومة مخططات التسوية، مثلما حدث عقب « مشروع روجرز » وكذا اتفاقية سيناء .. أما بالنسبة لسوريا فإن المقاومة لا تستطيع أن تقوم بعملياتها من الأراضى السورية إلا بعد موافقة قيادة الجيش هناك، إلى جانب أن المناضلين الفلسطينيين يتعرضون دائما لاضطهاد النظام السورى ابتداء من الملاحقة حتى الاعتقال، ويسعى هذا النظام منذ وقت مبكر إلى

فرض وصايته على المقاومة عن طريق امتداداته داخلها المتمثلة فى « منظمة الصاعقة » التى تتلقى منه التوجيهات والأوامر، وعن طريق محاولة فرض قيادة مشتركة على المقاومة لتكييفها مع مجمل سياساته ودعم حركته فى المساومة مع الامبريالية ، ومن هنا لم يعد للمقاومة ، أن تتواجد في جنوب لبنان .. وبذلك نجحت الخطوة الأولى للإمبريالية وهى محاصرة الثورة فى نطاق جغرافى محدود يسهل إمكانية تصفيتها بعد ذلك .. *وهذا هو أحد أبعاد ما يحدث الآن فى لبنان : محاصرة الثورة الفلسطينية وإضعافها بحيث تتخلى عن أسلوب كفاحها الثورى، وتقنع بالمشاركة فى التسوية السلمية التى تستهدف أولا التصفية السياسية للقضية الفلسطينية والإقرار بشرعية الكيان الصهيونى .*

لماذا التدخل الاجنبى فى لبنان ؟ :

لقد أصبح واضحا بعد فترة من الصراع أن موازين القوة تميل تدريجيا لمصلحة جبهة القوى الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية ، وأن الأمور أصبحت تسير فى اتجاه الحسم لصالح هذه الجبهة .. ومن مؤشرات ذلك -

١- فشل القوى الانعزالية فى مواصلة هجومها وتحقيق أهدافها، وانتقال الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية من مرحلة الدفاع والردع إلى مرحلة الهجوم الشامل على معاقل تلك القوى .

٢- انهيار جهاز الدولة وتفسخ أدواته القمعية - خاصة الجيش - الذى تحلل إلى مكوناته الأولية ، وانحازت أغلبيته إلى القوى الوطنية فى إطار جيش لبنان العربى بقيادة الملازم الوطنى أحمد الخطيب .

٣- تفسخ الجبهة الطائفية التى حاولت الكتائب تشكيلها ، ورفض بعض القوى المسيحية أن تشارك فى مخطط الكتائب (موقف الكتلة الوطنية بقيادة أده) .

٤- إغلاق الطريق أمام تقسيم لبنان بعد سيطرة القوى الوطنية على ٨٧٪ من الأراضى اللبنانية ، بحيث لم يعد فى يد القوى اليمينية سوى قطعة أرض لا تتجاوز مساحة مدينة المنصورة، لا تتوفر فيها مقومات الدولة .

ومن هنا أصبح الوضع فى لبنان ثوريا .. وانفتح الطريق أمام إقامة نظام ديمقراطى شعبى غير طائفى ، ولم يعد الأمر يقف عن حد المطالبة ببرنامج إصلاحى داخل إطار النظام (مجرد تغيير الدستور وانتخاب رئيس للجمهورية وإعادة النظر فى قوانين الانتخاب) وإنما أصبح المطروح اسقاط النظام وتشكيل سلطة الديمقراطية الشعبية داخل لبنان، بكل ما يعنيه هذا من تغيير كيفى فى بنية المجتمع اللبنانى وفى موقفه إزاء الوجود المسلح للثورة الفلسطينية ، وإزاء هذا الوضع الجديد كان لابد وأن يأتى التدخل هذه المرة من خارج لبنان وذلك لحرمان القوى اللبنانية والثورة الفلسطينية من جنى ثمار نضالها ، ولإنقاذ القوى اليمينية ودعمها لمواصلة تآمرها الرجعى الإمبريالى ، حيث أصبح الوضع الكيفى الجديد يهدد الامبريالية والأنظمة العربية الرجعية بخطر مزدوج .

أ- أن تصبح لبنان أحد دول المواجهة مع إسرائيل ، خاصة فى ظل وجود سلطة وطنية ديمقراطية ووجود شعب مسلح متمرس على حرب لعصابات وتشكل جيش لبنانى وطنى يمكن أن يستدير فى حال نجاح أقامة السلطة الوطنية ليؤدى دوره الوطنى فى مواجهه الصهيونية ، يضاف إلى ذلك أن قيام هذه الدولة الجديدة سوف يهيئ الظروف أمام المقاومة الفلسطينية، دونما وصاية أو قمع، لكى تمارس كفاحها الثورى ضد إسرائيل ، وهذا ما يهدد بوجود قاعدة قوية لشن حرب التحرير الشعبية يمكن أن تساعد على فضح وإفشال مخططات الحلول الاستسلامية .

ب- أن وجود دولة ديمقراطية شعبية فى لبنان تسمح للطبقات الوطنية بتشكيل أحزابها ومؤسساتها الثورية وتطلق أوسع الحريات الديمقراطية للجماهير خاصة

حريات التعبير والتنظيم ، وسوف تستقطب أنظار الجماهير نحو الديمقراطية وتهيئ لفضح الاتجاهات والسياسات اللاديمقراطية التى تنتهجها الأنظمة العربية الحاكمة ، من هنا كان لابد من إجهاض هذه الإمكانية الثورية التى أصبحت مطروحة للتحقيق، وكان لابد من إعادة موازين القوة مرة أخرى لمصلحة اليمين اللبنانى ، أى كان لابد من التدخل من الخارج، ولكن من الذى يتدخل .. ؟.

موقف الإمبريالية الامريكية :

من المفارقات المثيرة أنه فى الوقت الذى تشتد فيه أزمة الامبريالية الأمريكية وتتلاحق هزائمها فى أغلب أنحاء العالم ، نجد أنها على مستوى المنطقة العربية تحقق وتجسد بعض النجاحات فى صور عديدة أهمها :-

١- تسخير دول الرجعية العربية واستخدامها فى تنفيذ المخططات الإمبريالية فى المنطقة إلى الحد الذى قامت فيه هذه الرجعية باستدعاء شقيقتها الرجعية الإيرانية (عميلة أمريكا) لتحتل جزر عربية ولتعمل على تصفية الثورة فى ظفار.

٢- محاصرة القوى الثورية فى اليمن الشعبية، واحتواء اليمن الشمالى، عن طريق الرجعية السعودية، ودعم نظام النميرى الرجعى فى السودان فى مواجهة الحركة الشعبية .

٣- نجاح « كيسنجر » فى توقيع اتفاقيتى الفصل الأولى والثانية بين القوات التى تحقق مصالح اسرائيل فى الإنهاء العملى لحالة الحرب، وتحقق تواجد عسكرى أمريكى فوق أرض سيناء، يمثل حاجزا بين مصر وقوات الاحتلال الإسرائيلى، ولا يحق للطرف المصرى إنهائه بإرادته المنفردة رغم أنه يقوم فوق أرض مصرية وبموافقة النظام المصرى، وتحقق لإسرائيل حق المرور فى قناة السويس وتخضع الجيش المصرى غرب وشرق القناة للمراقبة والإشراف العسكرى .

٤- فتح أبواب مصر على مصراعيها ، وبلا أى شروط أمام رأس المال الأجنبى ليعيد سيطرته على اقتصادنا ضمن ما يعرف بالانفتاح الاقتصادى ، ويتولى النظام المصرى - لاسترضاء - أمريكا ومغازلتها - مهمة التخريب المتعمد لعلاقتنا بالمعسكر الاشتراكى، الذى يمثل الحليف الرئيسى لحركات التحرر الوطنى فى نضالها ضد الإمبريالية العالمية .

٥- موافقة سوريا على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ والذهاب إلى مؤتمر جنيف بعد أن كانت رافضه لهما من قبل، وتطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادى على الغرب بصورة واسعة النطاق وتحت شروط غاية فى القسوة والإذلال من جانب الاحتكارات الرأسمالية ، ولقد كانت العقبة أمام استكمال حلقات المخطط الامريكى هذا هو وجود المقاومة الفلسطينية وكان من الطبيعى أن تلتقى الإمبريالية الأمريكية مع القوى اليمينية فى لبنان من أجل ذبح المقاومة وتصفيتها نهائيا ، وفى هذا الاتجاه ساندت الامبريالية الامريكية القوى الانعزالية اللبنانية عسكريا وسياسيا وماديا وعندما اختلت موازين القوى لصالح القوى الوطنية والمقاومة مما أصبح يهدد بتحول لبنان إلى بؤرة ثورية لخوض حرب التحرير الشعبية، الأمر الذى يعكس تأثيراته على المنطقة ويهيئ لإفشال مخططات الحل السلمى ويحبط المخطط الأمريكى فى المنطقة، كان لابد على أمريكا أن تفعل شيئا، ولكن كان من المتعذر على الإمبريالية الامريكية أن تتدخل بصورة مباشرة لعدة أسباب:

١- المواطن الامريكى غير مستعد لأن تتورط بلاده فى « فيتنام أخرى ».

٢- التخوف من ردود أفعال المعسكر الاشتراكى .

٣-التدخل المباشر يمكن أن يثير موجة عارمة من العداء ضد أمريكا ويكشف عن وجهها الإمبريالى الحقيقى .

٤- هذا التدخل لابد أن يخلق مأزقًا محرجًا لأصدقائها في المنطقة، ويحبط الخطوات التي حققتها من خلالهم، ومعنى ذلك أن هناك مصلحة لأمريكا في التدخل الأجنبي في لبنان : ولأنها لا تستطيع أن تتدخل بشكل مباشر فلتترك الأمر لأيدى العرب .

موقف إسرائيل :

لقد شكل تنامي المقاومة الفلسطينية المسلحة وتصاعد النضال الجماهيري داخل الأرض المحتلة، القضية المركزية بالنسبة لإسرائيل، خاصة بعد أن نجحت في تجميد الأوضاع على الجبهة المصرية، وفرض الهدوء على الجبهة السورية، وفي هذا الظرف كانت لبنان تمثل آخر موقع تواجد للمقاومة بعد أن تم اقتلاع جذورها من الأردن ، ولذلك أصبح ضرب المقاومة في لبنان بالنسبة لإسرائيل يمثل هدفا أساسيا تسعى إليه، واتبعت من أجل تحقيق ذلك تكتيكا يعتمد على طرح قضية الوجود الفلسطيني في لبنان من أساسه عن طريق توجيه مجموعة من ضربات الردع للمقاومة والاجتياح المستمر للجنوب وإرسال فرق الاغتيالات التي تمرح داخل لبنان، من أجل تفجير التناقضات داخله معتمدة في ذلك على تواجد قوى يمينية مرتبطة بالاستعمار العالمي وتتعارض مصالحها الاقتصادية مع مهام التصدي للامبريالية والصهيونية، وبدأت إسرائيل تركز على شعار «حماية سيادة لبنان وأمنه » وأعلنت أنها ستنتهك هذه السيادة وهذا الأمن طالما كان هناك وجودا فلسطينيا على الأرض اللبنانية ، وهنا يتلقف حزب الكتائب الكرة ليعزف على نفس النغمة واصفا الوجود الفلسطيني بالاحتلال ، ومطالبا بفرض السيادة على كل الأراضي اللبنانية وسحب الأسلحة الثقيلة من المخيمات والاستعانة بالجيش لضبط التجاوزات الفلسطينية، وهذا ما حاولت القوى اليمينية أن تقوم به فعلا خلال الأحداث بإعلان الحكومة

العسكرية التى سرعان ما أسقطتها الحركة الوطنية اللبنانية، ولم يخجل « بيير الجميل » من أن يردد : « نحن لا نفهم كيف نوفق بين سيادة لبنان واستيلاء الفدائيين عنوه على جزء من أراضينا » ، ومن هنا كانت إسرائيل تدرك جيداً أن وجود قوى رأسمالية عميلة على رأس النظام فى لبنان يجعل فى الإمكان أن تتولى هذه القوى بالنيابة عنها مهمة ضرب المقاومة الفلسطينية وتصفيتها ، دون أن تتدخل هى - أى إسرائيل - تدخلا مباشرا يمكن أن يقلب الأمور ضدها ويحبط المخطط الأمريكى الصهيونى ، وينسف الخطوات التى تم انجازها فى أطاره ، ويلخص «إسحاق رابين» هذا الموقف بقوله تعقيبا على عملية « سافوى » فى لبنان توجد جهات وظروف تسمح لإسرائيل بالثأر لعملية «سافوى » دون اللجوء إلى عملية مباشرة ضد المقاومة فى لبنان وذلك لأن الرد المباشر سيؤدى إلى المزيد من التلاحم بين الفلسطينين واللبنانيين » .

الموقف السورى :

تحيط الموقف السورى مجموعة من الظروف المعينة يجب إلا تغيب عن بالنا منها:

١- أن الوجود الإسرائيلى فى الجولان يهد دمشق مباشرة مما يجعل إحساس المواطن السورى بوطأة الاحتلال أعلى منه فى مصر ، حيث أن الأراضى المصرية المحتلة مفرغه أصلا من السكان، وهذا الأمر يشكل عقبه أمام السلطة السوريه وإن كان لا يشكل مانعا للحل السلمى، إنه فقط يفسر الخلاف بين الموقفين السورى والمصرى (الخلاف فى التكتيك وليس فى الاستراتيجية).

٢- وجود حياة سياسية فى سوريا، وتواجد العديد من الأحزاب يمثل أحد الاعتبارات التى يجب أن تراعيها السلطة السورية أثناء حركتها ، فحريتها مقيدة

إلى حد ما على العكس من حرية النظام المصرى (الرئاسى) فى الحركة حيث ينفرد رئيس الجمهورية بتقرير الاتفاقات الدولية .

٣- حزب البعث ليس كتلة منسجمة إذ تتصارع فيه اتجاهات عدة أهمها : اتجاه « حافظ الأسد » المتهادن الذى يسعى إلى حل سلمى بالتفاوض مع إسرائيل .. واتجاه « صلاح جديد » الذى ضُرب فى أوائل السبعينات وبدأ ينشط الآن بعد اتفاقية سيناء ويحاول إدخال الجماهير السورية فى اللعبة . إن هذه الأوضاع ساعدت على خلق مأزق حقيقى يعيشه النظام السورى الذى يرغب فى حل بالتفاهم مع أمريكا ومن خلالها مع إسرائيل (أى أنه لا يختلف كيفيا عن النظام المصرى) إلا أنه غير قادر حاليا على هذا نتيجة لتعقد الأوضاع الداخلية ، ومن الملفت للنظر أن موقف النظام السورى من الأحداث فى لبنان تحول من التأييد ولو شكليا للحركة الوطنية والمقاومة إلى التصادم المباشر معها .. كان موقف التأييد لهذه القوى قائما طالما أنها تتحرك فى إطار المطالب الإصلاحية (والطبع لم يمنع ذلك النظام من المحافظة على العلاقات مع القوى اليمينية خاصة الكتائب) ، وكان الدافع إلى هذا الموقف هو محاولة فرض حل سورى للصراع فى لبنان يجعل لسوريا اليد العليا فيه ويسمح لها باستخدام المقاومة كأداة ضمن الاستراتيجية السورية، ولكن تطور الأحداث وما أدت إليه من نتائج حاسمة لمصلحة القوى الوطنية أصبحت تنذر بتقويض السلطة الرجعية وتشكيل سلطة وطنية فى لبنان تفتح الطريق أمام ممارسة حرب التحرير الشعبية، وتطور الأحداث بهذه الصورة دفع النظام السورى إلى التدخل ابتداء عن طريق «منظمة الصاعقة» التابعة له ثم بالتدخل المباشر السافر ضد الحركة الوطنية والمقاومة ، إن تفسير هذا الموقف (موقف الصدام ضد القوى الوطنية والمقاومة ودعم القوى اليمينية) يكمن فى أن النظام السورى يتبنى سياسة المساومة والاستسلام إزاء الإمبريالية فى مواجهة تبنى الجماهير لمنهج « حرب التحرير

الشعبية » التى هى الطريق الوحيد لمواجهة الإمبريالية والصهيونية، وذلك لأن «حرب التحرير الشعبية » تتعارض مع طبيعته كنظام برجوازى معاد للديمقراطية والحركة الشعبية ، لأنها يمكن أن تهدد وجوده الاستغلالى نظرا للشروط الطبقية والسياسية التى تتطلبها حرب الشعب، وعلى رأسها : إطلاق حريات الجماهير، وتنظيمها، وتسلحيها، ورفع وعيها السياسى، وإقامة اقتصاد حرب حقيقى، وإلغاء امتيازات البرجوازية .. ولا شك أن هذا كله يتعارض جذريا مع مصالح البرجوازيه الحاكمة فى سوريا ، وما دامت هذه طبيعة النظام السورى وسياساته فإنه من الطبيعى أن يتدخل فى لبنان على هذه الصورة ، ليحول دون وجود سلطة وطنية لبنانية تسمح بتحول لبنان إلى بؤرة ثورية لحرب التحرير الشعبية، الأمر الذى يمثل بداية ونهاية بالنسبة للبرجوازية السورية، خاصة وأن لبنان يتماس بشكل مباشر مع سوريا مما يهدد بانتقال تأثيراتها إلى قلب الشارع السورى .

الموقف المصرى :

يتلخص الموقف المصرى فى الآتى : أصبح أمام البرجوازية المصرية بعد اتفاقيتى سيناء - أن تنجز ما يسمى بالحل الشامل عبر مؤتمر جنيف ، والذى يتضمن توقيع صك الاستسلام النهائى أمام الإمبريالية والصهيونية. إلا أن هذا الحل يصطدم - فيما يصطدم - بالمقاومة الفلسطينية ، كما أن النظام المصرى فى حاجة إلى غطاء عربى يسمح بتمريره دون ردود أفعال حادة ، ويدرك النظام المصرى جيدا أن لا حل ولا سلام بدون الفلسطينيين ، ولذلك فهو يزايد على المقاومة، ليس بدافع دعمها وتأييدها ولكن من أجل جرها إلى سراديب المفاوضات وذلك عن طريق تغليب العناصر « المعتدلة » فيها على العناصر « المتطرفة » التى يشن عليها حربًا ضروسًا، ويؤكد ذلك قول « السادات » فى حديث أخير له مع صحيفة فرنسية :

«نعم لقد بدأ المتطرفون بالفعل فى التغلب على المعتدلين ، ولقد طلبت من الرئيس « فورد » و« كيسنجر » البدء فى إجراء حوار لكى تصبح القيادة للمعتدلين، فإنه مما يسهل الأمور للإسرائيليين أن تبدأ الولايات المتحدة فى إجراء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، إن النظام المصرى يتسول التسوية السياسية الإمبريالية بكل الطرق، حتى يوفر الاستقرار والهدوء الذى يطلبه رأس المال الاجنبى لمشاركته فى استنزاف عرق ودماء الكادحين فى مصر، ولذلك فإنه مما يسرع بهذه التسوية أن يتم تقليم أظافر الثورة الفلسطينية ، ومن هنا فإن النظام المصرى يرتاح لما تقوم به سوريا بالنيابة عنه مهما ارتفعت كلمة استنكار من هذا المسؤول أو ذاك ، إن هدف النظام المصرى هو التسوية السلمية والذهاب إلى جنيف .. ومن أجل هذا الهدف يتم ذبح المقاومة فى لبنان ، هل اختلف النظامان المصرى والسورى ؟ بالطبع لا.. بل إن محاولات التصالح بينهما فى الرياض تتم على قدم وساق، فى نفس اللحظة التى تتم فيها مجازر تصفية المخيمات الفلسطينية بمشاركة القوات السورية ، فهل هو من قبيل الصدفه أن يحدث هذا ؟ .. لا نظن .

* * * * *

كلمـــة أخيـــرة

وما هو موقفنا نحن ... جماهير الشعب المصرى

يتلخص هذا الموقف فى العمل فورا من أجل حشد قوانا وإمكانياتنا لدعم الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية بكل صور الدعم المادى والأدبى :-

١- التبرع بالأمولا والتطوع بالدم وبكل الوسائل المادية الأخرى .

٢- تشكيل « لجان مناصرة الثورة الفلسطينية » فى الجامعات والمدارس والقرى والأحياء ومواقع الإنتاج .

٣- إقامة المعارض والندوات والمسيرات والمظاهرات لتأييد الثورة الفلسطينية وحشد الجماهير حول دعمها وإيقاف المؤامرة التى تستهدف تصفيتها .

٤- فتح معسكرات التدريب أمام الراغبين فى التطوع فى صفوف المقاومة .

٥- السماح لكل فصائل المقاومة بالتواجد التنظيمى والإعلامى فى مصر، وحقها فى استخدام الأراضى المصرية فى تدريب قواتها واقامة قواعدها الثورية .

وعاش كفاح القوة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية وعاش خط حرب التحرير الشعبية .

وتسقط الحلول المساومة والاستسلامية .

* * * * *

(٢) لقاء القوى الوطنية والتقدمية المصرية الصادرة عن المؤتمر المنعقد بجامعة القاهرة فى الفترة من ١٢ - ١٥ مايو ٧٦

يا جماهير شعبنا البطل :

لقد دفعت الظروف الأخيرة التى يمر بها نضالنا الوطنى، القوى الوطنية والتقدمية إلى أن تستجيب للدعوة التى وجهها « نادى الفكر الاشتراكى التقدمى بجامعة القاهرة » لكى نناقش ونحدد ما تتعرض له حركة التحرر الوطنى العربية من أخطار فى ضوء الهجمة الاستعمارية والرجعية الشرسة التى تتعرض لها أبرز فصائلها.. الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية فى لبنان .

وبعد الحوار الذى دار طوال جلسات المؤتمر استقر الرأى على ما يلى :-

١- إن الهجمة الاستعمارية على الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية - والتى يقوم بتنفيذها الاستعمار الامريكى وعملائه من الرجعية والانعزالية - هى امتداد للمخطط الاستعمارى الأمريكى على مستوى المنطقة العربية بأسرها .. أن هذه الهجمة قد مهدت لها الأنظمة العربية الحاكمة .. وعلى رأسها النظام المصرى والنظام السورى، وذلك باتباع سياسة الحلول الاستسلامية التى تعنى الركوع أمام الاستعمار وتقديم التنازلات الاقتصادية والسياسية والتفريط فى السيادة الوطنية.. وما كان يمكن لهذا المخطط الامريكى أن يبلغ هذه المجزرة البشعة التى تجرى الآن على أرض لبنان لولا تمهيد هذه الأنظمة لسياسات الخضوع والاستسلام التى اتبعتها

سنين طوال، بدءاً من موافقتها على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يتضمن الاعتراف بإسرائيل ويسمح بالمرور لسفنها فى قناة السويس، وانتهاءاً باتفاقيتى الفصل الأولى والثانية وما تتضمنه من إنهاء حالة الحرب موضوعيا، وكذلك التواجد الأمريكى العسكرى على أرض سيناء بالتصريح له بإنشاء محطات إنذار إليكترونية تسمح له بالتجسس اليومى على كل ما يجرى بالمنطقة العربية .. هذا التواجد الغير قابل للإنهاء برغبة الطرف المصرى منفردا .. ويضاف إلى ذلك التحضير للاستسلام الكامل فى جنيف .. مروراً بتصفية المقاومة الفلسطينية .

٢- إدانة النظام السورى، الذى أقدم على التدخل السافر فى لبنان لتصفية المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية التقدمية اللبنانية، فى اللحظة التى أوشكت فيها هذه القوى على تحقيق النصر الكامل وإقامة دولة ديمقراطية شعبية على التراب اللبنانى ..وقد كانت هناك عدة أسباب للتدخل .

أ- أن النظام السورى الرجعى المستسلم للاستعمار يخشى أن تقوم هذه الدولة الديمقراطية الشعبية على أرض لبنان لما تمثله من نموذج متقدم تحاول الجماهير السورية أن تحذو حذوه وذلك للإطاحة بنظام الأسد الخائن ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولته لتحسين شروط استسلامه أمام الامبريالية .. وبذلك يسير النظام السورى على نفس الدرب الذى سار عليه رفيق استسلامه النظام المصرى .

ب- أن هذه الدولة فى حالة تحققها تمثل قاعدة انطلاقة ثورية تحمى الثورة الفلسطينية وتحتضنها ، ذلك أن الثورة الفلسطينية تقدم نموذجا مغايرا تماما لسياسات الاستسلام التى تنتهجها الأنظمة العربية بتبنيها خط « حرب التحرير الشعبية » ورفـ تضقديم التنازلات للاستعمار والعمل على تحرير كامل التراب الفلسطينى .

إن هذه الأهداف التى دفعت النظام السورى إلى جريمته البشعة فى لبنان تمثل

أهدافا مشتركة للأنظمة العربية التى ترفض تسليح الجماهير الشعبية وتعمل على تقديم التنازلات للاستعمار، وهذا وحده هو الذى يفسر موقف الصمت الذى تأخذه هذه الأنظمة من التدخل السورى .. فى نفس اللحظة التى يتدخل فيها النظام المصرى لمساندة نظام النميرى الرجعى فى السودان، وذلك متسق مع هدفهم فى تمرير المؤامرة وتصفية الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية .

٣- رفض الحلول الاستسلامية التى تؤدى إلى التفريط فى السيادة الوطنية بقرارى ٢٣٨،٢٤٢ واتفاقيتى الفصل الأولى والثانية ومؤتمر جنيف .

وأننا نرى أن دعم الثورة الفلسطينية يستلزم بالضرورة .

-رفض الحل الأمريكى الذى يؤدى إلى الاعتراف بإسرائيل وتحويل قضية وجود الكيان الاستيطانى الصهيونى إلى قضية خلاف على الحدود وخلق دويلة فلسطينية منزوعة السلاح .

رفض السياسات التى تؤدى إلى ربط اقتصاديات البلدان العربية بالاقتصاد الإمبريالى، ونرى أن الطريق إلى تحرير التراب المصرى وكافة الأراضى العربية بما فيها فلسطين المحتلة لن يتأتى إلا عبر انتزاع الجماهير الشعبية لحقها فى التنظيم والتسليح لخوض حرب طويلة المدى .

٤- النضال من أجل كسر الحصار الإعلامى المضروب حول المقاومة الفلسطينية، وفضح الملاحقات والاعتقالات والترحيل للمناضلين الفلسطينيين ، ونرى أن هذا لن يتم إلا عبر انتزاع الجماهير لحرياتها الديموقراطية ، لذا فإننا نؤكد على ضرورة نضال القوى الوطنية الديمقراطيه من أجل انتزاع أحزابها السياسية مع إلغاء كافة القوانين المقيدة للحريات .

٥- النضال من أجل تكريس حق التواجد الثورى الفلسطينى داخل بلدان المواجهة

، والتصدى لمحاولة تصفياتها من آخر مواقعها فى لبنان ، كما يتطلب ذلك التصدى لمحاولات تشويه الشعب الفلسطينى باعتباره سبب كل الأزمات التى يعانى منها مواطنو البلدان العربية، والتجاهل المتعمد للسبب الحقيقى للأزمات الاجتماعية المتمثل فى ارتباط قوى الاستغلال المحلى بقوى النهب الإمبريالى العالمية .

٦- إيمانا منا بأن حركة التحرر العربى مرتبطة بحركات التحرر فى العالم أجمع فإننا نناشد كل الوطنيين فى مصر والعالم العربى بتقديم كافة أشكال الدعم المادى والإعلامى للثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية .

وقد شكل المؤتمر لجنة تأسيسية لمناصرة الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية ويدعو المؤتمر كل الوطنيين الشرفاء للانضمام فى صفوفها من أجل أحداث التفاعل بين الجماهير المصرية والثورة الفلسطينية ..

تسقط الحلول الاستسلامية .

تسقط الامبريالية الامريكية .

عاش خط حرب التحرير الشعبية .

عاشت الثورة الفلسطينية .

عاشت القوى التقدمية اللبنانية .

كل الديمقراطية للشعب .

كل التفانى للوطن .

تسييس الدين وتديين السياسة

في جامعات مصر : الأفعى والنظام

١ -الأفعى والنظام

منذ أن تفجرت وقائع أحداث انتفاضة يناير١٩٧٢ الطلابية ، بادرت أجهزة السلطة ، ووسائل الإعلام إلى الهجوم عليها ، والتشهير بها باعتبارها حركة ماركسية ، وفى خطابه يوم ٢٥ يناير بعد يوم واحد من اقتحام قوات الأمن الجامعة وفى معرض حديثه عن وقائع الانتفاضة أكد السادات أنه « تبين أن هؤلاء الطلاب يتحركون فى اتجاه واحد ، وهو الإصرار على مواجهة ومناهضة النظام القائم ، ويبدو من أقوالهم ومن كتاباتهم التى تمثلت فى مجلات الحائط والمقالات والبيانات التى أصدروها ، والتى ضبط جانب منها ، أنه يجمع بين غالبيتهم فكر سياسى واحد هو الفكر اليسارى الماركسى »[1].

لقد هيأ هذا الموقف أرضية مشتركة لتحالف الاتجاهات (الدينية) ، أو المتسترة برداء الإسلام، فى الجامعة مع أجهزة السلطة ، لضرب الحركة الطلابية الوطنية الديمقراطية ، وقد بدأ هذا الموقف بالبرقية التى تلاها السادات فى نفس خطابه - باسم أعضاء « الجمعية الدينية » بحقوق عين شمس التى تشجب ما أسمته « حماقة المهرجين ورواد الكافيتريات » (فى هذا اليوم بالذات كان داخل المعتقلات آلاف من الطلاب والطالبات الذين كانوا قد اعتقلوا فجر يوم ١٩٧٢/١/٢٤) ، ثم تأكدت بتحالف واضح وصريح ، استهدف تنظيم الفرق المعارضة فى الجامعة لكسر المد الديموقراطى بها ، وتحطيم صمود الحركة الطلابية المستقلة .

ويعترف واحد من رواد وقيادي الجماعات الإسلامية فى الجامعة (وائل عثمان - كلية الهندسة / جامعة القاهرة) فى كتابه « آراء حرة » باتصاله بأمين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى يوم ١٩٧٢/١/١٩، (فى منزله) ، لكى يطالبه بإنقاذه

(١) خطاب أنور السادات ، ١٩٧٢/١/٢٥ .

وزملائه من الشيوعيين(!!)[١] ، كما لا يجد غضاضة فى إثبات أنه « فى نفس الوقت كانت المباحث مسيطرة تماماً على الحركة المضادة التى كنت أشترك فيها »[٢] ، ويُرجع الفشل الذى منوا به فى «تصحيح مسار الحركة » إلى أن « كثيرين - ومنهم أصدقاء لى للأسف - كانوا يقضون أوقاتهم فى الكافتيريا والسهر فى الملاهى والسينما !!! » [٣] .

ويذكر وائل عثمان فى كتابه العديد من الوقائع التى تم فيها تنسيق الحركة بين الاتجاهات السياسية (الدينية) ، وبين القوى اليمينية بالجامعة ، وممثلى أجهزة الأمن، للتخطيط من أجل ضرب واحتواء حركة الطلاب وعزلها عن قيادتها الشرعية (اليسارية) .

وفى ظل تغاضى مؤسسات السلطة آنذاك ، وتواطؤها القاطع ، نزعت هذه الاتجاهات (الدينية) إلى نقل الصراع السياسى فى الجامعة إلى مستوى جديد ، غير مسبوق ، باستخدام العنف ضد الحركة الطلابية اليسارية ، حيث اشتبكت مجموعة من طلاب كلية الحقوق بمؤتمر الحركة الطلابية يوم ١٩٧٢/١٢/٢٩ « وكانت تلك المجموعة تهتف ضد الشيوعية وتدعو للإسلام »[٤] وكانت هذه الواقعة ، هى الأولى من نوعها آنذاك ، إذ كان سلاح الطلاب - من شتى الاتجاهات - قبل ذلك ، لايعدو الحوار والمقالات والمظاهرات السلمية ، وغيرها من سبل التعبير الديموقراطى عن الرأى .

---

(١) وائل عثمان - أسرار الحركة الطلابية (هندسة القاهرة ٦٨-١٩٧٥) ، مطابع مدكور (الشركة المصرية للطباعة) ١٩٧٧ ، ص٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ٩١ .

كما يُلقى وائل عثمان أضواءً ساطعة على بدايات استخدام السلطة السادتية لسلاح الدين لضرب القوى المعارضة في الجامعة ، ففى الوقت الذى كانت أجهزة الأمن فيه قد شنت حملة اعتقالات جديدة للمئات من قيادات الحركة الطلابية ، كان التنسيق على أشده بين السلطة والاتجاهات (الدينية) ، وبنص حديثه يذكر أنه قد « استمر إغلاق الجامعة حتى ١٩٧٣/٢/٣، وخلال تلك المدة تمت لقاءات فى غاية من الأهمية بين جماعات شباب الإسلام وعدد من المسئولين فى الحكومة والاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ومباحث أمن الدولة»[١].

« والحقيقة أننا وجدنا فيهم إيمانًا غريبًا ، فالمصاحف تزين مكاتب المسئولين .. حتى مباحث أمن الدولة !، وأعضاء الاتحاد الاشتراكي ينادون بعضهم البعض «ياحاج» بعد أن كان «يا رفيق» فى عهد على صبرى !، وكنا كلما دخلنا على مسئول - ويعلم أننا من جماعة شباب الإسلام - يسرع بالاستعداد للصلاة أو الاستئذان لأدائها أمامنا أثناء المناقشة وأحيانًا يتعمد أن يظهر لنا أنه قد انتهى من الصلاة لتوه »[٢].

وفى لقاء مع أمين اللجنة المركزية - المهندس سيد مرعى -(١٩٧٣/١/٦)، يذكر وائل عثمان أن الأمين العام خاطبه قائلاً « اعتقد أننا لا نختلف ، فالاتحاد الاشتراكى يتفق فكره تمامًا مع الفكر الإسلامى! » ، وفى نهاية الجلسة قال لنا « إن ميزانية منظمة الشباب تبلغ مائة مليون ونصف من الجنيهات ، واعتقد أنكم أنتم أولى بها ، ويسعدنى أن أضع كافة إمكانيات الاتحاد الاشتراكى رهن إشارتكم!!! »[٣].

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ - ص ١٠٢ .

(٢) الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

كما يذكر وائل عثمان نص حديث د. كمال أبو النجد (وزير الدولة للشباب) ، له ، فى لقاء يوم الخميس ١٩٧٣/١/١٨، بأن « الدولة لا تضاد إلا الأفكار الماركسية »[1]، ويسجل عرض أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى - آنذاك - محمد عثمان إسماعيل ، عليهم « قيادة الجمعيات الدينية فى جامعات مصر كلها ، وتزويدنا بكافة المساعدات المادية والمعنوية التى نطلبها ، وذكر لنا أن إمكانيات الاتحاد الاشتراكى كلها ستكون تحت أمرنا »[2]، وغير ذلك من العديد من الوقائع التى تؤكد لجوء الأجهزة السياسية والأمنية لنظام السادات إلى أسلوب التحالف مع الاتجاهات (الدينية) ، ودعمها ، وإطلاق يدها فى العمل ضد القوى اليسارية فى الجامعة .

ويرى ريتشارد هرير دكمجيان ، فى كتابه «الأصولية فى العالم الإسلامى» ، أن ظهور «الأصولية» - بعد حرب ١٩٦٧، والنتائج التى آلت إليها « قد لقى تسامحًا، وتشجيعًا من السلطات فى مصر والبلاد العربية ، وقد حاول القادة العرب، لمواجهة أزمة الشرعية التى نتجت عن الحرب ، التوسع فى صيغ إضفاء الشرعية على أنفسهم عن طريق اختيار الإسلام ، طمعًا فى تحييد الإسلاميين وزيادة التأييد الشعبى إلى أقصى حد »[3] لقد اتجه السادات للإقبال على الطرح الإسلامى «كبديل جزئى للفراغ المذهبى الذى خلقه بنبذه الحثيث للناصرية»[4].

واعتبر جيلز كيبل أن الاتجاهات الإسلامية فى الجامعة ، قد وجدت مفتاح

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) ريتشارد هرير دكمجيان ، الأصولية فى العالم الإسلامى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهر - ١٩٨٩، ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

النجاح فى «التعاون التكتيكى ، الحذر ، مع النظام لكسر هيمنة اليسار على الحرم الجامعى » ، « إن استعادة الأحداث لن تدع لدينا مجالاً للشك فى أن النظام ، كان ينظر بعين العطف لهؤلاء الطلاب الذين يمكنهم أن يشكلوا ثقلاً مضاداً لليسار المصرى ، الذى كانت له قاعدة حقيقية فى حرم الجامعات »[1].

ولقد لعب محمد عثمان اسماعيل ، أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ، ومحافظ أسيوط فيما بعد دور « الأب الروحى » للجماعات (الإسلامية) فى القاهرة منذ أواخر ١٩٧١، وبدءاً من ١٩٧٣ فى الصعيد[2] ، وهو ما يتفق عليه كل المعايشين لتجربة الحركة الطلابية آنذاك ، وما لا تنكره التيارات السياسية (الإسلامية) بالجامعة .

وقد ارتكز محمد عثمان اسماعيل ، فى توجهاته هذه ، على الأوامر الصريحة الذى تلقاها من القيادة السياسية والتى أعلنت عنها فى خطابات وتصريحات المسئولين وعلى رأسهم أنور السادات، حينما حدد موقفه من الحركة الطلابية ، باعتبار أن أى محاولة يبذلها الطلاب للاهتمام بقضايا الشعب والوطن ، تعد تدخلاً صريحًا وغير مطلوب، فى شئون إدارة السلطة !، والمؤسف كما يقول السادات « أنها صارت وصاية على الدولة ، وصاية على الحكم ، وصاية على تحالف قوى الشعب العاملة !!»[3]، كان أنور السادات يرى أن « الطالب طالب علم وبس »[4]، مع أنه كان يفخر بسعة الصدر والنزوع الديمقراطى ، كما حاولت أجهزة السلطة آنذاك رشوة الحركة الطلابية (اليسارية) ، والقاعدة الطلابية عمومًا بمزيد من الإغراءات المعزولة عن سياق الوضع العام .. ورغم هذه السياسة ورغم قرار السادات فى بداية حكمه عام ١٩٧١، بإلغاء الحرس الجامعى استجابة « لرغبة الطلاب »، فإن ذلك كله لم

---

(١) جيلز كيبل ، النبى والفرعون ، مكتبة مدبولى ، القاهرة - ١٩٨٨، ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) خطاب أنور السادات ، ١٩٧٢/١/٢٥ . (٤) المصدر السابق .

يفلح فى زرع الثقة بين الطلبة وبينه ، كما لم يجعلهم يهملون قضايا المجتمع مقابل الحصول على حلول لمشاكلهم الخاصة »[1].

وخلال عقد كامل من سنوات الحرب الضارية ضد الاتجاه اليسارى فى الجامعة (١٩٧١-١٩٨١)، استفادت الاتجاهات (الإسلامية) استفادة قصوى من الفرصة السانحة ، حيث طورت من أساليب عملها ، واستولت على كل المنظمات والتنظيمات الداخلية فى الجامعة، « لكى تملأ الفراغ الذى تركه اعتقال السلطة ومطاردتها للمئات من الكوادر اليسارية ، كما أنها وخلال عامى ١٩٧٦-١٩٧٧، وهما العامان اللذان بلغت فيهما الجماعات الإسلامية ذروة سطوتها وممارساتها فى ظل مباركة النظام ، مارست سيطرتها الفعلية على اتحادات الطلاب سواء على المستوى القومى أو على مستوى الكليات الرئيسية ، وفى انتخابات الجامعة للعام الدراسى ٧٧/٧٦، كسبوا مواقع قوية ، وبشكل خاص رئاسة اتحاد الطلاب فى جامعتى القاهرة والمنيا ومنصب نائب رئيس الاتحاد فى جامعة الإسكندرية » [2] .

وعلى هذه الخلفية - القاعدة ، جاء المد الذى دفع الدماء فى عروق الجماعات خارج الجامعة ، وحين انطلقت الرصاصات القاتلة التى أودت بحياة السادات فى احتفالات أكتوبر ١٩٨١ التاريخية ، كان طلاب مصر يؤكدون ، مرة أخرى ، وإن بصورة معكوسة هذه المرة ، ،**أن الحركة الطلابية فى مصر قوة سياسية ينبغى أن يحسب لها النظام ألف حساب**،،[3] ومع أن « التطور المذهبى لجمعيات الإسلاميين فى الجامعات يعود أساساً لديناميتها الخاصة ، ولا يمكن اختزاله إلى استغلال البوليس السياسى لها ، كما يعدى بذلك اليسار المصرى ، إلا أنه لا يمكن إنكار أنها كانت ولفترة من الزمن تلقى تشجيعاً من النظام ، الذى كان بذلك يغذى الأفعى التي كان لها أن تلدغه فيما بعد »[4] .

---

(١) جريدة الجمهورية ، ٦ نوفمبر ١٩٨٦ .

(٢) النبى والفرعون ، وسبق ذكره ، ص ، ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

حاكموا : محمد عثمان إسماعيل

وتعلموا الدرس جيداً !!

تمثل « دراما » العلاقة بين الجماعات (الدينية) فى الجامعة والسلطة ، درسًا نموذجيًا لطرفى هذه العلاقة وللمجتمع ككل ، درسًا مليئًا بالعبر ، من المفيد للجميع فى مصر أن يعوه، حتى لاتتكرر أخطاؤه ، أو خطاياه ، وحتى نتجنب - جميعًا - الثمن الفادح الذى دفع مقابله.

فالسلطة - فى إطار سعيها لتحقيق مكاسب تكتيكية - لعبت لعبة بالغة الخطر، هددت - فى تداعياتها - البلاد تهديداً شديداً ، ودفعت الأمور إلى حافة الكارثة ، فاللعب على وتر العواطف الدينية التلقائية للشعب ، والزج بالدين فى أتون الصراعات السياسية اليومية بين الأطراف ، واستسهال استدعاء « المطلق » لتصفية حسابات « نسبية » أمرٌ له ثمن باهظ ، جربته السلطة مرة فى اغتيال رئيسها « أنور السادات » ذاته ، ومرات - فيما بعد - فى مئات عمليات الاغتيال التى طالت رموزها الكبيرة والصغيرة معًا ، وفى العاصمة والأطراف كذلك .

ومن جهة ثانية ، فبالنسبة للقوى السياسية الحاكمة ، أو الدينية ، أو لغيرها، فإن الدرس الأساسى الذى ينبغى استيعابه هو درس «ذبحت يوم ذبح الثور الأحمر» ، فالسلطة ، ككل سلطة تلعب لعبة «فرق تسد» بين كافة الاتجاهات السياسية ، وهى تستخدم طرفًا لكى تصفى طرفًا آخر ، قبل أن تستدير لتصفية الحساب معه ؛ وهى استخدمت الشباب المتدين عن حق ، أو الذى اصطنع التدين لسبب أو لآخر ، فى ضرب اليساريين فى الجامعة ، ثم استدارت لكى تنفرد بالاتجاه (الاسلامى) ولكى تكرر معه فعلتها التقليدية : محاولة التصفية .

ولعل هذا الوضع يدفعنا جميعًا ، حكامًا ومحكومين ، إلى ضرورة الاتفاق على قواعد للممارسة الديمقراطية ، يُتفق عليها ، ويتم احترامها ، وأول هذه القواعد وأهمها هو تجنيب الدين مخاطر الاستعمال الانتهازى فى الخلافات السياسية ، ذلك أن هذا الأمر الجلل محفوف بالمخاطر للجميع ، وهو يضر الدين كما يضر الدولة ،

ويدفع الشعب ثمنه من دمه الحي ومستقبل مواطنيه ، فيما يرتع الحاكمين فى أبهة السلطة غير عابئين بآلام الجموع ، حتى يفجئهم الطوفان وتنفجر تحت أقدامهم الزلازل ، من جرأء خطاياهم القاتلة التى لا تُقبل ولا تُغتفر!.

والتاريخ قد يغفر بعض الأخطاء للحاكمين ، التى تقع ضمن دائرة السلوك الإنسانى المفهوم ، إن لم يكن مقبولاً ، لكن هناك بعض الخطايا الكبرى التي لا تُنسى ولا تغتفر ، مهما مرت السنون أو كرت الحقب ، بل ربما يزيدها الإيغال فى عمق التاريخ بشاعة ، ويمنحنا البعد عن تفاصيلها قدرة على رؤية نتائجها بوضوح ومن بين هذه الخطايا التى تظل كاللعنة تطارد أصحابها وهم أحياء ، وتظل كالوصمة تلاحقهم حتى وهم فى القبور ، خطايا كخيانة الوطن وتهديد أمنه وسلامته أو تخريب استقراره وتوازن مقوماته .. فهذا ما لا تسمح به الشعوب الحية ، ولا تغفره الأمم الواعية ، وهى جريمة لا تسقط بالتقادم ، ويظل النضال من أجل إعمال حكم «الشرع» الوطنى فيها فرض عين ، وواجب على كل إنسان يحب وطنه ، ويرى فى التراب الذي يحيا فوقه قدسية تستحق أن تُصان .

ما أسرع دوران عجلة الزمن . فها قد مر نحو ربع قرن على وقائع فترة غنية من عمر الوطن .. زرع فيها بعض الحكام بذرة الدم ، لكي يجنى الوطن الآن زهرة الموت، وتلاعبوا فيها بمشاعر الناس ، ودقوا على وتر عواطفهم الدينية المحرم التلاعب بها ، لتحقيق غاية آنية رخيصة .. أو انتصار وقتى سرعان ما تذروه الرياح .

فى بداية السبعينيات - يذكر الكثيرون ممن عاصروا هذه الحقبة - اجتاحت جامعاتنا موجة من الإضرابات والاعتصامات والتظاهرات الطلابية ، فجرتها حركة نهوض وطنى عارم بين الشباب فى مصر ، جسدت روح الوطن الرافض للانحناء ، وعكست إصرار أبناء الشعب على مقاومة نتائج هزيمة ١٩٦٧ الكارثية .. وإزاء

الخطر الذى استشعرته السلطة الساداتية من جراء هذه التمرد الطلابى الواسع النطاق، الذى عم المراكز الدراسية والمعاهد والجامعات فى مختلف محافظات مصر.. بدأت التحرك - لتصفيته - على محورين :

أولهما : بتصعيد إجراءات القمع للمئات من الكوادر وقيادات الحركة الوطنية للطلاب : سجنًا واعتقالاً ومطاردة - وبشتى السبل الأخرى المتاحة .

وثانيهما : باختلاق محور طلابى آخر ، تحت زعم دفاعه عن الإسلام ، فى مواجهة الملاحدة والشيوعيين (أى الوطنيين ... إلخ) .. وقد ساعدت إدارة الدولة، ممثلة فى التنظيم السياسى آنذاك (الاتحاد الاشتراكى) ، وبعض إدارات الكليات الجامعية بالتعاون مع جهاز مباحث أمن الدولة فى منح هذا الاتجاه القوة والقدرة المادية والجرأة المطلقة والحماية لمواجهة حركة جماهيرية متغلغلة ونشطة وذات كفاءة ، ويذكر اللواء فؤاد علام فى ذكرياته (التى نشرتها مجلة روز اليوسف على حلقات أسبوعية) دور محمد عثمان إسماعيل ، مستشار الرئيس السابق أنور السادت ، فى اختلاق هذه الجماعات ودعمها وتسليحها لمواجهة المد اليسارى بجامعات مصر فى السبعينيات ، وهو ما يؤكده محمد عثمان اسماعيل ذاته (روز اليوسف - العدد ٣٥٠٣-١٩٩٥/٧/٢٤) حيث يقر أنه شكل الجماعات (الإسلامية) فى الجامعات، باتفاق مع الرئيس السابق أنور السادات.

ويذكر د.محمود جامع (مجلة روز اليوسف ، العدد (٣٥٣٥) ، ١٩٩٦/٣/١١)، الذى لعب دوراً محوريًا فى مفاوضات السادات مع جماعة الأخوان المسلمين ، أن السادات بعد وقائع ١٥ مايو الانقلابية ، أصبح « مطلق اليدين » ، فبادر فوراً بتنفيذ شروط الأخوان التى أبلغونى بها فى الكعبة (!) .. والأكثر من ذلك أن السادات وفر لهم وظائف محترمة فى الجامعات والمؤسسات المهمة ، وقربهم منه ، وكان يستشيرهم فى أمور كثيرة ! » .

ثم كانت خطوة السادات التالية هى إنشاء تنظيم شبابى إسلامى فى الجامعات.. للوقوف فى وجه التيار الناصرى والشيوعى » .

« وصارحنى السادات بأنه يود عمل التنظيم الإسلامى لمواجهة الناصريين والشيوعيين الذين يسيطرون على الجامعات ، بعد أن ضرب عبد الناصر الحركة الإسلامية فى الستينيات » .

« وكلف محمد عثمان اسماعيل - أمين التنظيم فى الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت - بتكوين هذه المجموعات ورعايتها وتوجيهها .

وفجأة ظهرت جماعة « شباب الإسلام » ، التابعة لمحمد عثمان اسماعيل فى كليتى الطب والهندسة ، وملأت إعلاناتها الجدران ، بتكليف من الرئيس السادات .. وكان يقودها الطلاب : عدلى مصطفى ووائل عثمان وعصام الغزالى .. » ، أما د. السيد عبد الرسول ، الاستاذ بكلية هندسة الإسكندرية ، فيورد معلومات إضافية عن دور محمد عثمان اسماعيل فى انشاء الجماعات (الإسلامية) فى أسيوط ، فيذكر أن اسماعيل ، خلال عام ١٩٧٢ ، اعتمد فى تحقيق هدفه على عدة علاقات أهمها كانت علاقته بمدير مباحث أمن الدولة فى أسيوط ، فى ذلك الوقت العميد عبد المنعم عوض ، الذى قام بافتعال توتر فى الجامعة أدى إلى عزل محافظ أسيوط المستشار مصطفى سليم ، وزعمت مباحث أمن الدولة وجود تنظيم شيوعى سرى فى أسيوط هدفه قلب نظام الحكم (!) أقنعت به رئيس الجمهورية ، الأمر الذى أدى إلى التخلص من جميع اليساريين وإخلاء الساحة الطلابية أمام التشكيل الجديد للجماعة الإسلامية الضعيف حينئذ .. والطريف ، كما يروى د. عبد الرسول ، أن معاونى محمد اسماعيل فى ارتكاب هذه الجريمة كوفئوا مكافأة شديدة السخاء ، ومنهم العميد عبد المنعم عوض والمهندس على عثمان (أخ محمد عثمان) ، والدكتور خالد عودة ، من أصدقائه المقربين ، ونجل المرحوم عبد القادر عوده ، فعين الأول

سكرتيراً عاماً للمحافظة ، وصار الثاني عضواً بمجلس الشعب ، أما الثالث » فقد أصبح مليونيراً بفضل ما أسبغ عليه من منح وعطايا ! » (مجلة روز اليوسف ، العدد ٣٥٠٢، ١٩٩٥/٧/٣١) .

وفي حوار صحفي آخر يُذَكِّرُ حسن أبو باشا ، وزير الداخلية الداخلية الأسبق بدور أنور السادات في وضع مصر على حافة كارثة انفجار شلالات الدم التي لا زلنا ندفع ثمنها حتى الآن ، فيقول أنه كسياسي يرى أن السادات أخطأ ثلاثة أخطاء مهمة جداً:

الخطأ الأول : أنه لعب للمرة الثانية لعبة توازن القوى بفهم خاطئ ، حينما سمح للتيار الديني السياسي أن يتواجد على الساحة في مواجهة الشيوعيين والناصريين بعدما أزعجوه بمظاهرات ١٩٧٠ - ١٩٧٢ .وهو عاد لتأكيد هذا الرأى في حديث آخر (مجلة روز ليوسف ، العدد ٣٥٨٥، ١٩٩٧/٢/٢٤) بمناسبة مأساة مجزرة «أبو قرقاص » التى راح ضحيتها عدد من الأبرياء بلا جريرة ، فيرد تعليقاً على سؤال من المجلة حول أسباب اختفاء « النعرة الطائفية » أيام عبد الناصر ، واشتعالها أيام السادات بقوله : « أيام عبد الناصر كان المد الثورى عنيفاً رغم عدم وجود أحزاب ، وانعكس المشروع القومي الذى جسدته الثورة علي الموقف السياسي الداخلي ، ولم يكن من السهل على أى قوى سياسية داخلية أو خارجية أن تخترقها بشكل مؤثر .

وفي مرحلة السادات ظهر الخلل لأنه أعاد لعبة التوازن السياسي بشكل خاطئ ، بدأ اللعبة بإطلاق مارد الجماعات الدينية من القمقم ، واستمر فيها بالميلاد المبشر للأحزاب عام ٧٦، ثم انقلبت ممارساته السياسية إلي عكس ما بشر به ابتداء من عام ١٩٧٩ حتي أحداث سبتمبر ، حتى اغتيل على يد هذا التيار ».

ورداً على سؤال آخر من المجلة حول دوافع « أنور السادات » فى إنشاء هذه الجماعات ، يقول أبو باشا :

« الحادث الدرامى الذى بلور القرار فى رأسه كان احتلال ميدان التحرير سنة ٧٢ من قبل بعض العناصر الشيوعية التى كانت تنتمى لتنظيمات سرية(*) ، والذى أزعج السادات بشدة ، ففكر فى نفس لعبة التوازن القديمة التى لعبها عبد الناصر سنة ٥٤ عندما حل كل الأحزاب السياسية ما عدا جماعة الأخوان المسلمين ، فكان جزاؤه محاولة اغتياله فى المنشية وأنقذته العناية الإلهية .

أعاد السادات نفس السيناريو دون أن يفكر فى نفس النهاية ، رغم أنه كان عضو فى محكمة الثورة التى حاكمت قيادات جماعة الأخوان المسلمين ، وكلف الاتحاد الاشتراكى بالمهمة.

كنت نائبًا لمدير مباحث أمن الدولة فى ذلك الوقت ، ورصدنا ما يحدث ، ورفعنا تقريراً للقيادة السياسية نحذر من العواقب ، خصوصًا أن الفكرة بدأت تنتشر بسرعة فى جامعات القاهرة وأسيوط وعين شمس والمنيا ، وبدأت الصدامات بين عناصرها والناصريين والشيوعيين.

وأذكر أنه فى أحد الأيام فى عام ٧٢ ، اتصل أمين التنظيم محمد عثمان اسماعيل ، مهندس إنشاء الجماعات ، وطلب من سيد فهمى ، مدير مباحث أمن الدولة فى ذلك الوقت ، إعداد مجموعة من عربات الإسعاف وإرسالها لجامعة القاهرة لتوقع حدوث صدامات بين الجماعات الإسلامية والعناصر الشيوعية ، وكانت تلك الواقعة موضع تهكم بيننا فى أمن الدولة ، لأنها أعادت إلى الأذهان ما كان يحدث بين الإخوان والوفديين قبل الثورة ، واستُخدمت فيها الأسلحة والقنابل ،

(*) يُلاحظ استخدام وزير الداخلية الأسبق لأسلوب التعميم ، والتوزيع الجزافى للاتهامات على الآلاف من الطلاب الوطنيين ، وهوأسلوب اعتمدته السلطة ، من قبل ومن بعد ، فى مواجهة كل تحرك جماهيرى حر .

واستمر الضوء الأخضر من القيادة السياسية رغم حادث الفنية العسكرية الخطير سنة ٧٣ الذى تزعمه صالح سرية ، والذى كان يستهدف الوثوب للسلطة ، ثم جماعة التكفير والهجرة التى اغتالت الشيخ الذهبى عام ٧٧، وظهر بعد ذلك ما يسمى بتنظيم الجهاد ، وضم جناحين : أحدهما جناح سالم الرحال الذى ينتمى لحزب التحرير الإسلامى ، والثانى : جناح محمد عبد السلام فرج ، الذى اعتمد على فكر سيد قطب فى كتاب معالم على الطريق » .

وكما هو معلوم ، فإن هذه الجماعات - المسماة إسلامية - التى شكلها محمد عثمان اسماعيل ، أصبحت الأب الشرعى لكل جماعات الأرهاب والتطرف المسلح فى مصر ، ومن رحم هذه الجماعات خرجت تنظيمات الجماعة الإسلامية « عمر عبد الرحمن » ، واستمدت تشكيلات العنف المسلح قواها الرئيسية - وكوادرها الأساسية ، وهى التي تطورت - فيما بعد- فقتلت أنور السادات (صانعها ومطلقها من عقالها) ، ثم امتدت تأثيراتها ونتائج تحركاتها فى صداماتها مع السلطة ذاتها - وانتشرت كما وكيفا - على النحو الذى نعايشه الآن .

إن البيئة السياسية - كالبيئة الطبيعية - تعيش على توازن دقيق يحكم مقوماتها ، ويوازن أطرافها بين يمين ويسار ، وقوى للتقدم وأخرى محافظة ، وبين طبقات ثورية لها مصلحة فى التغيير وأخرى رجعية محافظة ، جامدة ، مصلحتها الأساسية فى إعاقة عملية التطور ذاتها .

وأى خلل فى توازن أى من هاتين البيئتين ، السياسية أو الطبيعية ، يؤدى - كما يعرف الجميع - إلى تطورات دامية تؤذى الوطن وتهدد مستقبله .

والحكم الرشيد هو الذى يحاذر - حتى وهو فى خصومة مع فصيل سياسى - من اللجوء إلى اجراءات لتصفية خصومة تنعكس فى المستقبل وبالاً على الوطن كله ،

وفى إطار هذا المنظور ، يُفترض فى جهاز الدولة أن يعى جيداً الآثار المحتملة والنتائج المتوقعة لكل خطوة يُقدم على اتخاذها ، على التوازن الموضوعى للاتجاهات السياسية والمصالح الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع ، وحتى لا تتسبب - كما حدث فى الواقعة التى نحن بصددها - خطوة رعناء ، فى الاضرار بمستقبل الوطن كله ، وفى تهديد سلامته وصحته البنيوية .

وسلوك محمد عثمان اسماعيل بمباركة الرئيس السابق أنور السادات ، والطبقة الاجتماعية اللذان عبرا عن مصالحها ، فى اللجوء إلى سلاح الدين والطائفية والتكفير والاتهام بالخروج عن جادة الإسلام ، لتصفية حسابات سياسية مع فريق من الخصوم أو المخالفين ، أمر خطير وقد أدى إلى سقوط الآلاف من القتلى والجرحى ، وإلى خسارة البلاد خسارة مادية جسيمة على مستويات عدة ، والأخطر من ذلك كله، أنه دفع البلاد إلى وضع شديد التوتر ، بالغ التأزم وهدد بانفجارات لا يعلم حدودها أحد ، ولا يستطيع السيطرة عليها إنسان .

وبتأكيد من اللواء فؤاد علام وهو واحد من قادة جهاز مباحث أمن الدولة الكبار، آنذاك ، وبإقرار من محمد عثمان اسماعيل ذاته ، إضافة إلى اعترافات وتأكيدات عشرات من المشاركين والباحثين الآخرين .. تصبح جريمة تعريض أمن الوطن للخطر وتهديد وحدته ، وتلاحم نسيجه الوطنى ، وتكبيده خسائر بشرية ومادية طائلة .. هذه الجريمة التى شارك فى التخطيط لها وساهم بدور رئيسى فى تنفيذ وقائعها ، محمد عثمان اسماعيل .. وهى جريمة كاملة يستحق من أجلها المساءلة والمحاكمة ، وهى فعل شائن يستوجب المحاسبة ، وهى عمل مؤثم لا يسقط بالتقادم ، ولا ينتهى بمرور الوقت ، خاصة وأن نتائجه لا تزال راهنة وآثاره يعانى منها كل بيت مصرى حتى هذه اللحظة .

وإذا كان زبانية التعذيب الذين مارسوا ساديتهم المريضة فى مواجهة خصوم عزل

يرزحون فى الزنازين ، بلا حول ولا قوة ، قد أتى حين من الدهر ورأيناهم يدفعون ثمن طغيانهم.. فمن الضرورى - حتى يكون للعدل موقع قدم فى هذا الوطن ألا تترك جريمة تمس أمن البلاد - ضخمة - كهذه الجريمة تمر دون عقوبة زاجرة ، وحكم رادع للمتسببين فى آثامها .

وإذا كانت مصر قد انتفضت ضد جريمة العدو الصهيونى - العنصرى - فى مواجهة الأسرى المصريين - وطالبت بمحاكمتهم أمام محكمة دولية للاقتصاص منهم، فإن جريمة واحد يفترض أنه من بنى الوطن ذاته ، وكان ذات يوم من مسئوليه الكبار، فى حق هذا الوطن ، وباعترافه نفسه ، جريمة أشد فتكًا ، وأعظم أثراً، وأكبر فداحةً ، وتستحق وقفة حساب لا تقل عن وقفتنا فى مواجهة السفاحين الصهاينة إن لم تكن أشد .

إن الجريمة قائمة ، بالاعتراف - الذى هو سيد الأدلة - وبشهادة شهود مطّلعين لا يرقى لصحة شهادتهم مظنة ، وبالوقائع الفعلية التى عاصرناها جميعًا ، وهى دليل أقوى من أى دليل .

المطلوب إذن محاكمة علنية فورية لمحمد عثمان إسماعيل وللنظام والظروف التى سمحت له ولأمثاله بممارساته الإجرامية تلك ، لأن فى ذلك محاسبة لكل المتلاعبين بأمن الوطن ، وحماية لمستقبله ، وحتى لا تُستباح حرمات البلاد ، ويجترئ عليها كل « منَ هبَّ ودبَّ » .. وحتى لا يدفع «الصالح » ثمن جريرة « الطالح » ، ولئلا تضيع « المحروسة » على عتبة المصالح الضيقة لإناس يُفترض فيهم الوعى والمسئولية وحسن الإدراك .. فيفاجئوننا بسلوكيات هى إلى السوقة والمرتزقة وعصابات المافيا أقرب منها إلى تصرفات الساسة وأهل الحكمة والبصيرة ، وذوى القيادة والحكم !.

الحركة الماركسية / الحركة الطلابية

علاقة ملتبسة وأسئلة معلقة

لا تستهدف هذه الورقة مطلقًا الحط من قيمة أى إنسان أو تصفية أية خلافات أو حسابات عارضة ، وليس من غاياتها - بأى صورة من الصور - التشهير بهذا الفصيل الوطنى ، أو التقدمى ، أو ذاك .. وإنما تتقصد المساهمة فى وضع اليد على مكمن الداء وبيت العلة ، على أمل استخلاص الدروس الواجبة من تجارب الأمس ، وحتى لا يُحكم علينا بأن نعيش خيبات الحاضر مرة أخرى ، وبدافع من الأمل فى أن يكون المستقبل أفضل ، ولكى تصبح - مع غيرها من الجهود المخلصة - لبنة متواضعة فى بناء جديد ، يمنح المناضلين من أجل حرية وطنهم وسعادة مواطنيهم ، دليلاً صحيحًا يقود خطاهم وسط جهامة الطريق .

عديدة هى المداخل ، أو المقاربات ، التى يمكن بواسطتها التماس مع تاريخ حاشد للحركة الشيوعية واليسارية ، والوطنية ، المصرية فى علاقاتها بحركة الشباب والطلاب بالذات ، ذلك أنه كان من الصعب ، بل من المستحيل ، أن تتجاهل حركة سياسية ، تقدمية المضمون والطابع ، نشاط عارم لقطاع مهم من المجتمع ، هو القطاع الشبابى / الطلابى ، لفتت حيويته وأداؤه فى مجريات النضال الوطنى والشعبى أنظار الباحثين والمؤرخين والمهتمين ، أجانب ومصريين ، منذ عشرات السنين، فـ « والتر لاكير » - على سبيل المثال - يشير متحدثًا عن دور الطلاب فى السياسة المصرية ، إلى أن «التاريخ لا يعرف مجتمعا لعب فيه الطلبة - والمثقفون بصفة عامة - دورا طليعيا ، فى الحركة الوطنية ، كما حدث فى مصر»[1] .أما «رول ماير » فيثمن نضال الطلاب المصريين ، مقارنًا بين دور جماعة الإخوان ودورهم الجماهيرى فى الشارع المصرى ، والذى استهدف تنظيم حركة احتجاج جبهوية واسعة ضد وزرات الأقليات وحلفها مع المستعمر البريطانى ، اعتماداً على إدراك موضوعى لقيمة وأهمية تحالفهم مع الطبقة العاملة الصاعدة ، فى حين ركزت جماعة الإخوان على تكتيك الاغتيالات السياسية، كشكل تقليدى للاحتجاج اتخذته الجماعة ختامًا لحركتها[2] .

ويذهب بعض الدارسين الأكاديميين إلى أن الطلبة المصريين « قد لعبوا فى الحياة السياسية المصرية دوراً يفوق الدور الذى لعبه الطلبة فى روسيا أو الصين ، إبان الكفاح الوطنى والديمقراطى هناك »[3] . وهو دور لم يكن جديداً على الحركة الطلابية

(١) مذكورة فى عبد اللطيف محمود محمد ، « دور الطلبة في السياسة المصرية مجلة «اليقظة العربية»، العدد الخامس ، السنة الثانية ، مايو ١٩٨٦ .

(٢) رول ماير ، «الدراسات التاريخية المعاصرة عن الفترة ١٩٢٦ - ١٩٥٢» ، دار شهدى للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص : ٦٧ - ٦٨ .

(٣) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز ، «ثورة ٢٣ يوليو» ، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٩، ص١٣٧.

المصرية ، التى كانت ، منذ أوائل القرن ، « سداة الحزب الوطن ولحمته »[1] ، فى حين اعتبرها « عبد القادر الشناوى » ، نقيب المهندسين الأسبق ، خلال مواجهة ممثلى النقابات المصرية مع « سيد مرعى » الأمين السابق لجهاز « الاتحاد الاشتراكى العربى » أثناء انتفاضة الطلاب فى السبعينيات : «حركة بريئة ، طاهرة ، عفة ، تسمو بمصر ، تمثل - فى وسط الليل الدامس - شعاعا من نور ، وبريقا فى وسط كتل الظلام الزاحف علينا» ، ورأى أن الطلاب «يمثلون الشعب أصدق تمثيل .. لايمثل الشعب مجلس الشعب ، أو اللجنة المركزية ، بقدر ما يمثله هؤلاء الطلبة»[2] ، ووصف باحث آخر دور الطلبة فى مصر ، معتبراً إياه بمثابة «دور الضمير الذى ينبه إلى الخطر ، ويحاول رص كل الصفوف فى مواجهة أعداء الشعب»[3] ، فيما اعتبرهم صحفيو مصر ، فى بيانهم الصادر تعقيباً على حملة الاعتقالات التى شنتها السلطة فى مواجهة الحركة الطلابية (يناير ١٩٧٣) ، «أحد طلائع الحركة الوطنية فى بلادنا منذ أن كانت فى بلادنا حركة وطنية» ، ورأوا فى تحركهم «تحركا شعبيا هدفه تحرير الأرض التى طال احتلالها» ، واعتبروهم «جنودا للحركة الوطنية ، ومدافعين عن قيم مصر التى رفعتها منذ فجر التاريخ»[4] .

ومن جهة أخرى ، فلقد قيَّم الآباء الأوائل للفلسفة الماركسية دور الطلاب تقييماً إيجابيًا ، باعتبارهم «بروليتاريا العمل الذهنى»[5] ، على حد وصف كارل ماركس ، أو «البروليتارى المثقف» الذى ينتظر منه «أن يلعب دورا هاما فى الثورة المقبلة» ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) من محضر حوار «سيد مرعى» مع ممثلى النقابات المهنية ، «الانتفاضة الطلابية فى مصر» ، (يناير / كانون الثانى ١٩٧٢) ، دار ابن خلدون ، بيروت ، يونيو (حزيران) ١٩٧٢ ، ص : ١١١ - ١٢٣ .

(٣) «دور الطلبة فى السياسة المصرية» ، مصدر سبق ذكره .

(٤) «الحركة الوطنية الديمقراطية الجديدة فى مصر : تحليل ووثائق» ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ص: ١٥٩ - ١٦١ .

(٥) ك . ماركس - ف. إنجلز ، المؤلفات، المجلد : ٢٢ ، ص ٤٣٢ (بالروسية).

على حد تعبير فريدريك إنجلز [1] ،وحيث يُتوقع منهم أن يقوموا بعملية ،تشخيص راديكالي لظروف المجتمع،[2] .

ولما كان التوصيف الاجتماعي ، الماركسي ، ينظر للطلاب باعتبارهم لا يشكلون طبقة قائمة بذاتها ، لها دور في عملية الانتاج وعلاقاتها ، وإنما باعتبارهم قوة اجتماعية موزعة على كافة طبقات المجتمع ، متباينة الأصول والجذور والتطلعات والآفاق ، فقد اشترط - كمدخل موضوعي لأدائها دور ثوري في حركة التغيير الاجتماعي ، أن يرتبط نضال الحركات الطلابية بحركة الطبقات الثورية ، وعلي رأسها حركة الطبقة العاملة ، وأن يدافع عن برامجها السياسية ، وأن يتبنى قضايا المجتمع ، التي هي أوسع مدىً ، من مجرد مطالب نقابية لهذه الفئة الاجتماعية أو تلك .

وواقع الحال ، أن الحركة الوطنية لطلاب مصر ، في مجملها ، قد طرحت - منذ بدايتها - برنامجًا لنضالها أوسع مدىً بكثير من مجرد بضع مطالب فئوية تتعلق بتحسين شروط العملية التعليمية ، وكان هذا البرنامج هو ذاته برنامج نضال الحركة الوطنية المصرية ، في مداه الأقصى المسموح ، فقد رفضت الحركة الطلابية المساومات على الاستقلال الوطني ومصالح الشعب ، وجسدت في شعاراتها قيم النضال من أجل الحرية والتغيير ، ومن هنا فقد توفرت الأرضية الموضوعية لتحالف

---

(1) ف. إنجلز، من ،رسالة إلى المؤتمر الدولي للطلاب الاشتراكيين، ، عام ١٨٩٣ .

(2) برتيمور ، ،علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ .

* هذه السطور مكتوبة من واقع التجربة الشخصية للكاتب ، حيث كان واحداً من قيادات الحركة الطلابية بكلية الهندسة والجامعة ، وانتخب ممثلاً لكليته في اللجنة الوطنية العليا ، وكان من ضمن المقدمين للمحاكمة بتهمة التحريض على انتفاضة ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٧ .

- ولمزيد من المناقشة انظر : ،الحركة الطلابية الحديثة في مصر : تجربة ربع قرن، ، (مع مناقشات لفيف من القيادات الطلابية) ، د. أحمد عبد الله - المهندس / أحمد بهاء الدين ، مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

حقيقى بين حركتين مهمومتين بمصير الوطن ، وعملية التطوير الاجتماعى ، والتغيير الثورى : حركة الطبقة العاملة - من جانب - وحركة الطلاب الوطنية الديمقراطية ، من جانب آخر .

وعندما تفجرت الانتفاضة الطلابية المعاصرة ، فى نهاية الستينيات وأوائل السبعينيات ، على أرضية برنامج وطنى ديمقراطى راديكالى نال إجماعًا واسع النطاق ، كانت الحركة المستقلة للطبقة العاملة المصرية ، بمنظماتها السياسية ، فى لحظة من لحظات ضعفها التاريخى الملحوظ ، مسحوقة ومحاصرة ، فلم يكن قد انقضى سوى بضع سنوات على حل الحزب الشيوعى المصرى ، وعلى استيعاب قطاعات عريضة من كوادره - فرادى - فى الجهاز السياسى للدولة (الاتحاد الاشتراكى - التنظيم الطليعى) ، وفى ظل استشراء نفوذ أجهزة القمع التي سحقت بعدوانية كل محاولة لبناء حزب ثورى حقيقى فى المجتمع ، وكانت دهشة بقايا الحركة الشيوعية بانفجارات الطلاب - فيما عدا قلة محدودة من مناضليها - لا تقل بحال من الأحوال عن صدمة الدولة ومؤسساتها ، واشتركا معًا فى معاناة الحيرة التى اجتاحت صفوفهما ، فى مواجهة الزلزال الذى هز بنيان المجتمع من جراء الانتفاضات الجامعية، وبينما رفض البعض هذه الثورة الشبابية معتبراً أنها نموذج لفورات «اليسار الجديد» على النمط الأوروبى ، سارع آخرون إلى محاولة مد الجسور معها والتقاط بعض العناصر الطلابية لاثبات « حالة » تفيد أنهم على صلة بالحركة، ولا ينفى هذا الوضع بحال الفوائد الجليلة التى عادت على العديد من كوادر الحركة الطلابية من احتكاكهم بالبعض من رموز العمل الشيوعى السابق ، لكننا هنا فى مجال تقييم الأداء العام للحركة الشيوعية ، أو بقاياها فى أواخر حقبة السينيات، والذى شابه العديد من السلبيات ، فى مجال العلاقة بالحركة الوليدة ، ومن وجهة نظرى فإن الفصائل الماركسية التي أعيد لملمة صفوف بعضها ، على

عجل ، بعد هزيمة ١٩٦٧، دون أن تقوم بعملية نقد حقيقى لأسباب الهزيمة ، الذاتية والموضوعية ، لفصائل العمل الماركسى ، وللنظام أيضًا ، تتحمل مسئولية مباشرة ، وجسيمة ، فى إجهاض ارهاصات تجربة جديدة للعمل الوطنى الديمقراطى ، كانت تحمل بين ثناياها دلائل مُبشِّرة ، وواعدة ، فيما لو تم التعامل معها بما يليق من اهتمام ، دون استعجال النتائج السطحية السريعة والمكاسب الصغيرة .

وأيضًا ، فإن الحركة الطلابية الوليدة ، تتحمل جانبًا لا يقل حجمه من المسئولية فيما آلت إليه العلاقة بين الطرفين ، غير أن ما يغفر لها - بعض الشئ - حداثة السن والتجربة ، وانعدام الخبرة وحسن النية ، الأمر الذى جعلها تقدم - طائعةً - زخم حركتها ، وعنفوان شبابها ، واندفاع حيويتها ، وفورة جموعها ، على أكف الراحة ، إلى حركة مثقفين معزولة ، حسنة النية ، انتسبت إلى الطبقة العاملة دون أن تملك مقومات موضوعية لتحقيق أفكارها ، تعانى من المعوقات التاريخية ، والضعف المزمن الذى واكبها طويلاً ، فكان أن نقلت هذه الهيئات أمراضها المزمنة ومشاكلها الدائمة إلى حركة الشباب الوليدة ، فتسممت العروق الجديدة بدم فاسد ظل مصاحبًا لها ، مدمراً لطاقتها الحيوية ، وتسلل فيروسها الفتاك إلى شباب غض، فى مقتبل العشرينات .. كان يمكن أن يكون انضمامه إلى حركة النضال الثورى والوطنى نقطة انطلاق فاصلة من أجل بناء حركة نضالية جديدة .

لقد ورِّثت عناصر الحركة القديمة للحركة الشبابية / الطلابية الجديدة أمراض الحلقية والانقسامية والشللية التى مزقت صفوفها وبددت جهودها ، على مر السنين، وتوزعت الكوادر الطلابية الشابة على بُنى وهياكل غير مستقرة لمنظمات افتقدت الحيوية السياسية ، وتعذر عليها إيجاد مرتكزات حقيقية لروابط نضالية فعلية سواء بالطبقة العاملة ، أو بالجماهير الكادحة عمومًا .. ولأن فاقد الشئ لا يعطيه ، فبدلاً من أن تنقل الحركة القديمة للحركة الجديدة جماع خبرتها وخلاصة تجربتها ، بحيث

تكون سياجًا يحمى الأخيرة من مغبة التطرف والعزلة والانحراف والوقوع فى أخطاء مكررة ، بثت فى صفوفها خلافاتها القديمة ، ونقلت إلى عناصرها آفاتها المتوارثة ، التى كانت قد انقضى عليها عشرات طويلة من السنين دون أن تحل ، أو يُبذل جهد مخلص فى إيجاد مخرج من تداعياتها.

وفضلاً عن ذلك ، فإن تجربة الحركة الشيوعية المصرية التى أعادت على عجل تجميع جانب من صفوفها المتداعية فى تلك الآونة ، كانت تختلف اختلافًا بينا عن تجربة الجيل الجديد من مناضلى الجامعة الذين نزلوا إلى الساحة فى أوائل السبعينيات .

فالأولون كانوا يعانون من ذكريات المنافى والمجازر وحفلات التعذيب البشعة فى المتعقلات وترهقهم ملاحقات أجهزة الأمن ، والتخوف من الاصطدام بالنظام مع ما قد يجره هذا الصدام من تبعات عنيفة ، بينما الآخرون قد ولدوا فى معمعة الصدام مع السلطة وأجهزتها ، وتعمدوا بلهيب حرب الشوارع والاصطدام بالأمن المركزى فى مدن الطلبة ، ومظاهرات الآلاف التى كانت تجوب ساحات الكليات والشوارع المحيطة بالمراكز التعليمية – يوميا – دون خوف أو وجل .

والذى حدث – للأسف الشديد – أن المجموعات القديمة لجمت اندفاعة الحركة الجديدة ، وكبّلت زخمها وحيويتها دون أن تُغنى تجربتها ببديل مناسب ، يطور من إمكانياتها مع تجنيبها مغبة حداثة التجربة .

كذلك ، فبينما قدمت حركة الطلاب نموذجًا جديداً لحركة ذات أفق نضالى ومضمون وطنى وثورى ، واسع التأثير فى القاعدة الطلابية ، وبينما قدمت هذه الحركة تجربة حية لممارسة ديمقراطية رفيعة الشأن ، تبدت فى انتخاب كوادرها الأساسية من القاعدة ، وحتى قمة «اللجنة الوطنية العليا للطلاب» انتخابًا حراً

مباشراً ، بتصعيد روح ومضمون فكرة « السوفيتات » الثورية منتجة بطبيعة مصرية فذة ، شدتها الحركة القديمة إلى ممارسات غلبت عليها روح المركزية البيروقراطية المتكلسة ، والانضباط الشكلى الصارم ، على حساب عمق الممارسة الديمقراطية المفتوحة التى تشكل سياجًا حاميًا ضروريًا لأي عمل جماهيرى يسعى للتغير .

ويمكن أن نضيف أيضًا العديد من الملاحظات ، إلى ما تقدم ، على صعيد برامج النضال وخطط العمل وتكتيكاته ، تلك الأمور التى كان يتوجب حلها حلاً جدليًا إبداعيًا يقارب بين رؤية الفريقين ، لمصلحة العمل الوطنى والثورى ، وهو ما لم يحدث للأسف بصورة صحيحة ، مما ترتب عليه تجميد حركية الحركة الطلابية وشل فعاليتها .

ومما له دلالة في هذا السياق تأمل المفارقة التالية : إن الحركة الطلابية المصرية، وهى غير منظمة ، وبتجربتها الغضة غير المكتملة كان قادرة على الحركة والتأثير ، بأكثر كثيرا من قدرتها بعد أن انضمت إليها ، خبرات ، الحركة القديمة ، وو ضعتها تحت و صايتها.

ولعل هذا يدعم وجهة النظر التي طرحتها بهذا الخصوص .

ولقد تراكم - على مدى السنوات - سوء الفهم الذى لازم العلاقة بين الطرفين ، وتنامى الجدار العازل بينهما .. بل وحتى حينما نجحت قطاعات من عناصر الحركة القديمة فى أن تجنى ثمار نضالات الحركة التقدمية المصرية بكامل اجنحتها ، وفى القلب منها حركة الطلاب الوطنية الديمقراطية ، التى كانت أول وأعلى الأصوات التى طالبت وانتزعت حقوق التعبير والتظاهر والاحزاب والاحتجاج الاجتماعى بعد نحو عقد ونصف من تعليق هذه الحقوق ، انفردت بشكل غير مبرر ولا حكيم بنتاج غرس المجموع الوطنى التقدمى ، وعزلت - عن قصد - كل الفصائل الثورية الشابة التي

رفضت الانصياع لهيمنتها ، ولفظ البعض الذى تصور إمكانية إيجاد أرضية للعمل المشترك تسمح بالتعاون فى مواجهة العدو الواحد ، حتى أصبح واقع الحال الآن مشيراً للرثاء - فهناك من جهة مؤسسات سياسية مفترض تمثيلها للتقدميين المصريين تشكو من العزلة الممضة ، والوحدة الباردة ، في حين يتواجد مئات من الكوادر السياسية ذوى الخبرة العميقة ، والتجربة التى لا تنكر ، يتخبطون خارجها دون إطار تمثيلي يستفيد من إمكانياتهم ويستفيدون من إمكانياته ، ودون أن تبذل هذه المؤسسات أدنى جهد لاستيعاب هذه الطاقات الشابة (أو التي كانت شابة) أو لتجسير الفجوة المتسعة بين الطرفين .

وهكذا فبعد ربع قرن بالتمام والكمال يقف المنا ضلون المصريين من جيل السبعينيات وأواخر الستينيات أمام نقطة بداية جديدة / قديمة ، يتوجب اجتيازها ، وأمام عقبة أكيدة لابد من تجاوزها إذا كانوا لازال بهم دفق من الدماء يناديهم إلى الحركة ، ولكي يجيبوا على السؤال الأزلي الملح : « والآن ماذا نفعل ، وما العمل ؟ » .

(١) جريدة الأهرام ١٢ / ١ / ١٩٧٢ .

« المبتســـرون »

بين التزييف والنفاية !

ليس أقسى على النفس ، ولا أشد وقعًا عليها ، من أن يُكره الإنسان على أن يتصدى لرفيق من رفاق « المسيرة العسيرة » ، وقد كنت أفضل ألا أكتب عن كتاب الزميلة، « أروى صالح » ،« المبتسرون : دفاتر واحدة من جيل الحركة الطلابية ، ، (دار النهر - ١٩٩٦)، فور الانتهاء من قراءة صفحاته ، وأنا واقع تحت تأثير الصدمة مما جاء فيه ، حتى لا أضطر إلى استخدام كلمة قد تجرح ، أو تعبير قد يفلت من القلم فيدمي القلب ويؤذي الروح ، ذلك أنني أكن - عن بُعد - تقديراً ومحبة لصاحبة الكتاب وإعزازاً لحساسيتها المفرطة ، ولصدقها المتبدي عبر سطوره ، ولمعرفتي بأروى صالح ، ولعلمي اليقني بصدق نواياها ، حدثتني نفسي كثيراً ألا أرد أو أكتب عن كتابها ، وأن أتعامل معه باعتباره كبوة جواد ، ينبغي أن نعبرها ونمضي ، ولكني غالبت ترددي .

ينقسم كتاب « أروى صالح « إلى أقسام ثلاثة : قسم يمكن أن نطلق عليه وصف « موضوعي » وهو يتناول أزمة الحركة اليسارية ، والماركسية ، عمومًا ، وأزمتها هي من خلال علاقتها بفصيل من فصائلها إبان ذروة نشاط الحركة الطلابية، في عقد السبعينيات المنصرم ، وقسم « ذاتي » يتناول انعكاسات القسم الموضوعي على مشاعرها وأحاسيسها وانفعالاتها الداخلية ، ثم المقدمة ، وهي الصفحات التي كتبت بعد فترة من كتابة القسمين السابقين .

لا شك أن الجزئين الأولين : الموضوعي والذاتي ، على ما فيهما من نقاط تقبل الاختلاف ، والتباين ، يمكن قبولهما على أنهما رؤية من جانب محدد لملامح ومسيرة قطاع محدد من قطاعات الحركة الطلابية في السبعينيات ، الذي أرى من واجبي ، على الرغم من خلافاتي التي كانت معروفة مع هذا الفصيل ، أن أشهد أيضًا له بجهده الحقيقي الذي بذله ، واجتهاداته العديدة التي قدمها . يمكننا أن نتجادل حول صحة هذا الجهد وعمق هذه الاجتهادات . لكن إهالة التراب على كل هذه الحقبة ،

وانعدام التمييز بين إيجابياتها وسلبياتها ، وتجاهل طبيعة الظروف العنيفة التى أحاطت بنشأتها ، وتحميلها وحدها عبء وآثام ما حدث ، فى اعتقادى موقف يحمل فى طياته تحاملا غير صحيح ، ومرارة لا مبرر لها ، مع تسليمى بوجود كم من الأخطاء التى لا ينبغى الدفاع عنها ، وعلى كل ، فكما ذكرت سابقًا ، مع أية تباينات فى تقدير وتقييم تلك المرحلة ، فليس هذا هو « مربط الفرس » ، وإنما الأخطر والأهم - فى رأيى - هو ما احتوته صفحات المقدمة ، ومن أجل لفت الأنظار لها أكتب .

تنقلب أروى صالح فى مقدمتها انقلابًا حاسمًا على ماضيها ، بل وعلى ماضى وطنها ، والفكر الذى زعمت الانتماء إليه فى فترة من فترات عمرها ، فهى تذكر فى أول سطور مقدمتها تلك أنها حينما عاودت قراءة صفحات كتابها شعرت بالغربة تجاه تلك الهموم الوطنية التى تقول السطور إنها كانت تشغلنى بقوة !!.

إنها تكتشف فى داخلها موقفًا جديداً « مفارقًا لليقين الوطني » على حد تعبيرها (ص٨)، اعتبرته « نقلة شخصية فى الوعى بالتاريخ » (ص٩)، أما هذا الموقف الجديد ، فهو اكتشافها زيف موقفها القديم المعادى لإسرائيل ، والمتبنى لمطالب الوطن فى الاستقلال والحرية (!!!) وعلى حد تعبير « أروى صالح » ، حتى لا نُتهم بتحميل كلماتها ما لم تقصد قوله ، فإنها تذكر : « فالواقع أننى فى اللحظة التى أكتب فيها هذه السطور - وليغفر لى أبناء جيلى إذا استطاعوا - لم أعد أعتقد أن إسرائيل أكثر شراً بكثير من أي من جاراتها ، ولا أشد جوراً ، والفارق الوحيد - فيما يبدو لى - هو أنها الأقوى حاليًا ، واعترف - آسفة بحق - أنى لم أعد أعتقد أن الفلسطينيين إذ تقوم دولتهم سيعدلون فيما بينهم ، هل هى عدمية وطنية ؟! حاليًا ! .. نعم تمامًا ، فلست أجد كل المجازر الوطنية الدائرة فى العالم ملهمة على الإطلاق ، بل مثيرة للاشمئزاز وحسب ، ومثلها العرقية والدينية ، ولقد

برهنت الأخرى « الطبقية » على قدراتها الخاصة فى هذا المجال أيضًا »!!
(ص٨-٩) .

ثم تعمد « أروى صالح » إلى سياحة فكرية فلسفية تعرفنا خلالها بمفهوم أدبى ابتدعه الكاتب التشيكى « ميلان كونديرا » وهو « الكيتش » ، وهو تعبير منقول عن أصل ألمانى بمعني « نفاية » صارت إشارة معتمدة للأدب والفن الهابط (ص١١) ، وتعتبر « أروى صالح » أن « حلم الخلاص الجماعى » مرادفًا لهذا المفهوم، وأن مسيرة اليسار ، وكفاح الفصائل الوطنية والتقدمية نوع من «الكيتش» ، النفاية ، أو « النفى المطلق للبراز» حسب التعريف المعتمد الثانى للكيتش ، نقلاً عن أروى صالح ، (ص ١٣) .

الكل باطل وقبض الريح ، لا الوطن وطن ، ولا العدو عدو ، ولا النضال من أجل غايات الإنسان المشروعة يستحق للعناء أو التضحية ، الكل نفاية .. عدم .. ضياع.. من الخواء أتى وإليه يعود !! .

هذا هو جوهر مشروع أروى صالح الجديد الذى تقدمه فى « المبسترون » .. وتروج له فى صفحات مقدمته .. ولو كانت المسألة اقتصرت على أزمة شخصية لإنسانة (ناضلت ذات يوم وسط جموع حركة واسعة حملت آلام أمة ومعاناة شعب ، وتوق وطن للانعتاق ، تقدمت وتحدت ، أجادت وأخطأت ثم انقلبت على يقينها) لهان الأمر ، أما أن تعمد أروى صالح للتبشير بهذا الموقف (عبر نشره فى كتاب)، وأن تعمد دار وطنية (كدار النهر) ، لطبعه ثم لتوزيعه ، فهنا المأساة ، وهنا الخطر الذى يتوجب التحذير منه .

إن إسرائيل خطر ماحق على وجودنا ، وليس خطرها كخطر جاراتها (أي الدول العربية) ولا شرها كشرهن أبداً ، وأسألوا أحداث لبنان الراهنة ، وأسألوا شهداء

بحر البقر وأبو زعبل وسيناء ، وأسألوا الرمال التي ضمت أجداث المصريين على مر نصف القرن الأخير ، وآوت جثث الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين .. إلخ ، ولم يكن اغتصاب فلسطين واحتلال سيناء والجولان والجنوب اللبنانى وكفاح الجماهير العربية ضد شروط الإذعان المذلة محض وهم يثير الاشمئزاز ، وليس النضال من أجل الحرية مكافئًا لمجازر المستعمر والمحتل ضد أبناء الوطن ، ولا كفاح المسحوقين المضطهدين فى هذا العالم الظالم ، مساويًا لسحق الامبريالية وسدنتها من الرأسماليين ، ولم يكن حلم الخلاص الجماعى ، وأمل الجماهير التى تسير كتفًا بكتف على درب التحرر والتقدم « نفاية » أو « برازا » كما تحاول أن توهمنا «أروى صالح» ، ومن لف لفها ، مع احترامى الكامل لأزمتها الشخصية ، وتفهمى لأحوالها .

قيمة الإنسان ، قيمته الحقيقية ، تتبدى فى لحظات الأزمة والانهيار والحصار ، فحينما كانت صفوف القوى الوطنية بلا نهاية ، والمنضوين تحت لواء الثورة كُثر ، انجذب المئات ، بل الآلاف ، من هنا وهناك إلى المسيرة ، أما وقد ذهبت السكرة وجاءت الفكرة ، وأصبح القابض على أمور وطنه كالقابض على الجمر ، والمزايدين على وهم السلام والوئام والصلح والأوسطية والازدهار ، هم السادة النجب ، المفتوحة أمامهم الأبواب والأعتاب ، فلقد أصبح الانتماء للوطن وأحلامه وأماله ضياعًا ونفاية وجموداً ، و « كيتش أيضًا » ! .

- فى جريدة الأهالى ، ١٤ / ٥ / ١٩٩٦ م .

القسم الثانى

إشكاليات الحاضر

١- ترويض النخبة فى مصر .

٢- مطلوب مؤتمر لليساريين المصريين فورا .

٣- اليسار وأنصار الرأسمالية المتوحشة .

٤- لا نهضة بغير ديمقراطية .

ترويض النخبة فى مصر(*)

(*) جريدة الأهالى ، ٣ / ١١ / ١٩٩٣ .

لعب المثقفون الوطنيون فى مصر على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم ، دوراً معروفًا فى التصدى لمخططات التطبيع المختلفة الأبعاد ، بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد ، ولا ينكر إلاً جاحد جهودهم الرائدة فى التنبيه إلى مخاطر الهجمة الصهيونية المنظمة ، الاقتصادية والثقافية ، التي استهدفت اختراق كل مقومات الحياة الأساسية فى بلادنا .

وكان من نتيجة هذا الموقف الواعى ، أن محاولات الاختراق الإسرائيلى لاقتصاد مصر وثقافتها الوطنية ، وكذلك لعمق الإدراك الجماهيرى فيها ظلت محدودة ، وغير ذات بال ، تنحصر مخاطرها فى مواقع محدد . وبشكل عام ، فقد لَفظ دعاة «صهينة» الوعى الوطنى المصرى ، وظل دعاة التطبيع يعملون فى السر متسترين بالظلام ، ومتخوفين من البروز إلى العلن ، لإدراكهم الأكيد أنهم يرتكبون جناية كبرى تضر بأمن الوطن ، وخيانة لا تغتفر فى حق مواطنيه .

وظل هذا الوضع على ما هو عليه ، حتى تم توقيع اتفاقية « غزة - أريحا » بين منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيونى ، ساعتها وجد دعاة التطبيع ، و«كورس» الصهينة فى مصر ، الفرصة المواتية لإعادة طرح أفكارهم بقوة ، والضغط من أجل تمريرها بعنف ، ورأوا فيما تم بين المنظمة وإسرائيل ، مناسبة لتبرير تفريطهم فى مصالح شعبنا ، وفرصة لتبرئة الذات ، والإفلات من عواقب الإحساس بالذنب ، تحت تفسيرات شتى ، شكلوا منها موقفًا نظريًا وفكريًا متكاملاً يمكن صياغته على النحو التالى :

١- **هل نحن ملكيون أكثر من الملك ذاته ، فإذا كان « أصحاب القضية » ، قد التجأوا إلى حلها مع إسرائيل ، فمن ذا الذى يعطينا الحق فى « المزايدة » عليهم ، ورفض برامج التطبيع الذى يلهث « الفلسطينيون » و « العرب » فى الجرى وراء نتائجها الآن ؟!! .**

٢- العالم يتغير ، ويتجه إلى تجاوز «الحساسيات» الوطنية والقومية .. إلخ ، ومن لا يستجيب لهذه المتغيرات سيتم عزله ، وسيدهسه بلدوزر « النظام العالمي الجديد » ويحاصر دوره ويُهَمِّش وضعه .

٣- إن فرصتنا الوحيدة فى تجاوز واقع التخلف الذى نحياه ، هو فى التعلق - بأي صورة وبأى ثمن - بعربة الغرب المنطلقة بقوة ، وبالذات بالعربة الأمريكية ، والاستجابة لشروطها بالتناغم مع حركتها وتحقيق متطلبات مصالحها ، فى مقابل الاستفادة بقوة اندفاعها لتطوير واقعنا والخروج من مأزق فقرنا إلى براح الغنى المأمول ؛ والتقدم المرتقب .

٤- ولكى يتحقق لنا هذا الأمر - أي فرصة الاستناد إلى الرافعة الأمريكية لتجاوز تدهور أوضاعنا - فإن المدخل «الإسرائيلى» هو الوحيد الصالح ، ذلك أن النفوذ الإسرائيلى واضح لا مجال لإنكاره فى هذا المجال ، وعلينا أن نقصد الهدف من أقصر مسالكه .. تمامًا كما فعل « ياسر عرفات » وفعلت « منظمة التحرير الفلسطينية » ، حين تجاوزا كافة «الحساسيات » ، واتجها بسرعة إلى « مربط الفرس » بالحوار والاتفاق مع إسرائيل مباشرة ، وهو عين ما فعله « أنور السادات » من قبل (ولذا ينبغى إعادة الاعتبار له ، وإعادة تقويم دوره إيجابيًا) ، وهو ما حاول حتى «الاتحاد السوفيتي » السابق ودول أوربا الشرقية فعله ، بعد سقوط الأنظمة (الاشتراكية) فيها !!.

* * * * *

هذه باختصار ملامح « نظرية » دعاة التطبيع ، و « لوبى » العلاقات المصرية - الإسرائيلية ، الذين يبالغون فى تهميش كافة دواعى وعناصر الصراع التاريخى بيننا وبين العدو الإسرائيلى ، لصالح العامل الاقتصادى ، المشكوك فى أمره أيضًا؛ ويتجاهلون طبيعة الدولة الصهيونية التوسعية العدوانية ، وخططها المعلنة فى

تقليص دور مصر وتحجيم قدراتها وتأثرها فى المنطقة والتي لم يطرأ عليها أدنى تغيير ، ويغضون البصر عن برامج التسليح الهائلة المستمرة فى إسرائيل (حتى بعد توقيع الاتفاقية الأخيرة مع الفلسطينين) فى مجال أسلحة الدمار الشامل ، وفى المجال النووى ، وفى مجال الأسلحة الاستراتيچية (مثل منظومة صاروخ « آرو - السهم » التى يراد لها أن تكون على مستوى أرقى من نظام « الباتريوت » الأمريكى) ، وفى مجال الطائرات المقاتلة الحديثة (التي تلقت إسرائيل دفعة جديدة « مكافأة » لها على توقيع اتفاقية « غزة - أريحا » !) ، إلخ ، وأهم من ذلك كله وقبله أيضًا ، يتجاهلون عناصر الأيدلوچية الصهيونية الراسخة ، والتى لم يطالها أدني تغيير أو أقل تبديل ، وهى التى كانت الدافع لكل عدوانية إسرائيلية تجاهنا على مر التاريخ ، وهي التى تبرر وتفسر اتجاهات إسرائيل للتوسع والضم المستمرة ، وحروبها الدائمة فى مواجهة أمانينا ، وهي الدافع خلف اهتمامها الفائق بنا ، وعينها المرصودة على مصر فى المقام الأول ، والمنطقة العربية من بعد .

وفى هذا السياق ، فلعل إسرائيل ، وكذا الولايات المتحدة من خلفها - الأكثر إدراكًا ، بما لا يقاس ، لأهمية وحيوية دور المثقفين المصريين الرافض للشكل الجديد من أشكال الغزو الاستعمارى لبلادنا ، ذلك الشكل الذى تجسده الهجمة السياسية الاقتصادية الثقافية الجديدة ، المجّمل بادعاءات السلام ، وأوهام الرخاء والرفاهية .

وهم يعلمون جيداً ، ولهم فى ذلك سابقة قريبة ، هى سابقة « كامب ديڤيد »، أن صخرة مقاومة المثقفين المصريين ، كفيلة بأن تبطئ وتحد من تفاعلات هجمتهم الجديدة ، إن لم يكن تحطيمها بالكامل ، وهو ما سيكون له أثر بالغ فى تعويق مخططات استيعاب المنطقة وهضمها فى المعدة الأمريكية الإسرائيلية الغربية ، ولذلك تنصب جهودهم الحثيثة فى هذا المجال بقوة وقسوة ودأب ومثابرة ، وتتم عمليات

«غسيل مخ » مستمرة للقطاع الأقل وعيًا منهم ، أو لأولئك الذين يبدون استعداداً أكبر فى « التفاهم » ، كما يُشترى جانب من « الإنتلچنسيا » المصرية ، للقيام بالدور المطلوب فى تزيين وجه التطبيع القبيح ، وتخفيض عتبة المخاوف من نتائجها ، ولتمرير فكرة « دمج » إسرائيل ، كوحدة طبيعية فى المنطقة ، ولتسويق فكرة «السوق الشرق أوسطية » ، بما تعنيه من مفاهيم ، وبما تعكسه من أفكار ، وكذلك بالمخاطر الفائقة على مصالح بلادنا ومستقبلنا التى تحتويه فى ثناياها .

إن ترويض النخبة المثقفة فى مصر ، وشراء ولاءها للاستراتيجية الأمريكية - الصهيونية الجديدة فى بلادنا ، ورشوتها بفتات موائد المشاريع المشتركة ، وغوايتها بنعيم عصر التطبيع ، هو المعركة الجديدة التى تدور بشراسة ، مستهدفة - هذه المرة - عقل وروح ووجدان مصر ، ذلك العقل الواعى الذي استطاع دائمًا - إن بالعمق التاريخى أو حتى بالحدس - أن يميز بين الغث والثمين ، والصالح والطالح ، والمفيد لوطننا والضار بمصالحه ، وتلك الروح التى استطاعت دائمًا أن تتجاوز انكسارتها وأن تعلو على جحيم واقعها لكى تأتنس بنور حضارتها ، وشموخ إنسانيتها .

ومن أجل هذا العقل وتلك الروح وذلك الوجدان ، وباسمهم أيضًا ، فإن النخبة المثقفة الواعية فى بلادنا ، والتى تشكل ضميرها الحى ، وجوهر كيانها ، مدعوة ألاّ تستسلم ، وأن تظل على صمودها ، كما كانت دائمًا ؛ وعليها أن ترفض بيع نفسها أو أن تقايض حريتها وحرية أوطانها ، مهما كان الثمن ، وأيًا كانت المبررات والمغيرات .

نداء إلى اليسار المصرى : قبل الحوار .. وقبل الكارثة :

مطلـوب مـؤتمـر

لليساريين المصريين.. فورا

نشرت فى جريدة الأهالى ١٤ /٣ / ١٩٩٤

بدون الخوض فى تفاصيل كثيرة ، مثيرة للجدل ، يمكننا القول بأن اليسار هو جماع كل قوى التجديد فى المجتمع ، وهو اتحاد فيالق المناضلين من أجل تطوير الحياة ودفعها للأمام .

وبهذا المعنى ، فإن اليسار حاجة موضوعية لكل مجتمع إنسانى ، بدونه تتيبس عضلاته ، ومن غيره تتكلس مفاصله ، وتموت خلاياه تدريجيًا ، ويركن إلى الركود ، فالهمود ، فالخمود ، فالموت الصريح .

ويعترف الموضوعيون من المفكرين والباحثين ، بأن محنة مصر المعاصرة - فى جانب من وجوهها - قد بدأت يوم استدارت السلطة إلى الاتجاهات والقوى اليسارية فى الوطن ، ساعية إلى اجتثاث جذورها ، وعاملة على تصفية أركانها ، كخطوة أولى فى مخطط ضرب القوى الفاعلة فى المجتمع ، ثم اتجهت - بعد أن انفتح أمامها الطريق - إلى تنفيذ عناصر برنامجها السياسي والاجتماعى ، فكان ما كان مما لا يحتاج لمزيد من التوضيح .

محنة استطالت :

ولا يمكن أن نجادل فى أن اليسار المصري - على اختلاف اتجاهاته وفصائله ، وعلى تنوع مصادره الفكرية وانتماءاته ، يمر الآن بمحنة بارزة المعالم ، محددة القسمات ، الأمر الذى حيد من إمكانيات مساهمته الفعلية ، الضرورية ، فى العملية التاريخية التى تدور رحاها فى المجتمع الآن ، وجمد دوره ، وبدد طاقاته الفاعلة فى مسارب ثانوية ، بينما الوطن أحوج ما يكون إليها .

وقد استطالت محنة اليسار فى مصر حتى وصلت إلى حد يثير القلق ، وفى غيابه لم تسطع كل القوى السياسية الأخرى فى المجتمع - بكل ما تمثله من انتماءات وما تعكسه من مصالح طبقية واجتماعية - أن تقود البلاد إلى بر الأمان ،

ولا أن تقدم برنامجًا موضوعيًا يمكن الاستناد إليه فى مواجهة مأزق الوطن ومشاكل الناس ، بل أن مهاوى الخطر تكاد الآن تبتلع البلاد كلها ، الأمر الذى يثير مجدداً تلك الفكرة البسيطة والخطيرة فى آن ، والتى صَدَّرنا بها رسالتنا المفتوحة هذه : **إن اليسار حاجة موضوعية لكل مجتمع إنسانى ، او انهياره يقود بالتبعية إلى انهيار المجتمع . إن صحته من صحة قوى يساره ، واعتلاله من اعتلالها .**

ولم تكن محنة اليسار محنة للوطن فقط ، وإنما كانت أيضًا محنة لليساريين المصريين أنفسهم ، فلا يمارى إنسان فى أن فصائل اليسار المصرى - على عمومها - تضم صفوة من الوطنيين المصريين ، وهى تحتضن تحت راياتها نخبة من خيرة أبناء مصر العاملين فى مجالات البناء والفكر والإبداع ، وقد أدت المحنة التى تعرض لها هنا هذا الاتجاه إلى تفتت الكثير من صفوف فصائله ، وتردى أحوال الكثير من عناصره، فهاجر بعضهم إلي الخارج ، وهاجر البعض الآخر وهو فى الداخل ، وزهد غيرهم فى العمل السياسى والوطنى فانسحبوا من العمل العام ، وهى خسارة عظيمة لا تمس صفوف اليسار المصرى وحده ، وإنما تؤثر فى مجمل حركة القوى الفاعلة فى بلادنا ، وتكبدها خسارة لا سبيل إلى احتمالها .. ذلك أن هذه الطاقات المتميزة هى جماع خبرة التاريخ الوطنى على مر احقاب عديدة ، ومن الصعب فى ظل الظروف الحاضرة تعويضها بسهولة .

ترتيب البيت مهمة أولى :

وفى ظل التشتت الحالى لقوى اليسار المصرى ، والذى لا يخفى على عدو أو صديق ، يصبح ترتيب البيت من الداخل هو المهمة الرئيسية الأولى لكل حصيف يريد فعلاً المساهمة الحقيقية فى إنقاذ الوطن من الكارثة المحدقة ، فالمريض بداء عضال لن يقوى على العطاء ، ولا معنى لادعاء القدرة على تصحيح أوضاع المجتمع إذا لم

نستطع تصحيح أوضاعنا فى الداخل أولاً ؛ ففاقد الشئ لا يعطيه ، وإذا كان السلطة تدعو لحوار محكوم يخدم خططها ويدعم معركتها وبرنامجها ،فلماذ لا نتحرك نحن لحوار جاد مفتوح يخدم مخططات الوطن ويدعم معركة الشعب المزدوجة ضد الإرهاب والفساد ، وضد التفريط الوطنى والتبعية ، اللهم إلا إذا كان المطلوب مجرد « مكلمة » جديدة ، تنفض بلا ناتج ، ولا تعود على الوطن بطائل ، ولا يستفيد منها سوى الداعين إليها من « البروباجندا » الإعلامية التى سترافقها حتمًا ، ودون أن يعنى ذلك خطوة واحدة للإمام .

من أجل انبعاث جديد لليسار :

مطلوب أن يلتقى اليساريون مع أنفسهم أولا ، أن يسمع بعضهم بعضًا ، وأن يتحاوروا فى نضج ونظام وإحساس بالمسئولية ، وأن يطرحوا فى شجاعة أدبية – تحسب لهم ، لا عليهم – نقدهم الموضوعى للذات ، ورؤيتهم الموضوعية للآخر .

مطلوب تحديد حديث ، متطور، لمفهوم اليسار فى عصر « النظام العالمى الجديد»، عصر انفجار ثورة المعلومات والاتصالات ، وبعد انهيار المنظومة الإشتراكية ، ووطنها الأول : مطلوب الإجابة الصريحة على عدد ضخم من الأسئلة الحساسة ، فى مقدمتها مم يتكون اليسار المصرى ؟! وكيف يمكنه النضال فى هذه الظروف العصيبة ! وما هى طبيعة تحالفاته التكتيكية والاستراتيجية ؟! وهل لا زالت الاشتراكية صاحلة كراية للنضال فى ظل المتغيرات الحالية ؟! .. فإذا كان الجواب « نعم » فأية اشتراكية تلك وكيف يمكننا تحقيقها ؟! وإذا كان الجواب بـ لا ، فما البديل وكيف يتسنى الوصول إليه ؟! .

مطلوب تحديد موقف اليسار من التحديات الخطيرة التى تواجه مصر الآن ، وبالذات تحديد الموقف من الإرهاب بإسم الدين ، والذى يقود البلاد إلى طريق

مسدود ملئ بالكوارث (خطر الطريق الجزائرى) ، وفى مواجهة الفساد الذى نخر فى عظام مؤسسات الدولة وأجهزتها ، وضد سياسات الإفقار التي تبين نتائجها كل لحظة، وفى مواجهة التعبية الفاضحة ، والإلحاق المدمر للاقتصاد المصرى وللسياسات المصرية بأمريكا والغرب ، وفى مواجهة برامج « الخصخصة » وتوابعها ، وما تجره على الطبقات الكادحة فى بلادنا من خراب .

ومطلوب أيضًا تحديد موقف اليسار من تطورات الصراع العربى - الصهيونى ، وهل لا زالت إسرائيل عدو لنا ، كما نرى ، أو انتهى المبرر التاريخى للصراع (كما يزعم البعض) ؟! ، وفى الحالين : ما الموقف من التطورات على ساحة الصراع العربى - الإسرائيلى ؟! والاعتراف الفلسطينى الرسمى بالعدو الصهيونى عبر اتفاق « غزة - أريحا أولا »، بكل أبعاده ؟! والسوق الشرق أوسطية بكافة ارتباطاتها ؟! ، والتطبيع المصرى - الفلسطينى - العربى / الإسرائيلى على كافة مستوياته ؟! والوضع الإقليمى والعالمى بجميع تطوراته ؟! .

فلنرمم البيت من الداخل ، ولنستعد للقادم العاصف الذى تلوح بشائره وتبين نذره، وليتداع أطراف اليسار المصرى من كل حدب وصوب ، وبدون حجر أو وصاية على أى اتجاه أو فصيل أو فكر أو راية ، ما دام هدف الجميع التماسك من أجل منع عربة الوطن من الانحدار إلى الهاوية التى يراد لها الاستقرار فى أغوارها السحيقة ، ولتتكون - فوراً - لجنة للتحضير لمؤتمر عام لليسار المصرى فى أقرب فرصة .. فالفرصة لا تأتى إلا لمن يستحقها ، والوطن فى خطر حقيقى ، فإما أن ينهض اليسار المصرى من بين الركام ، أو تتداعى أركانه المتصدعة - وإلى أمد طويل .

اليسار .. وانتصار الرأسمالية المتوحشة

نشرت في جريدة الأهالي ، ٢٣ /١١/ ١٩٩٤

فى منتصف السبعينيات من هذا القرن ، أى منذ أقل من عقدين من السنين ، أسست الحركة الطلابية الوطنية (اليسارية) فى جامعات مصر ناديًا للفكر الاشتراكى ، كنت أمينه العام ، وحل فى موقع نائب الأمين العام لفترة طالب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، الدكتور فيما بعد ، الصديق ، وحيد عبد المجيد ، الذى فاجأنا (ولم المفاجأة ؟!) بمقال غريب الشأن (جريدة الأهرام - ١٧/ ١٠/ ١٩٩٤)، ينعى فيه على اليسار دوره الراهن المهمش ، ومرجعيته المنهارة ، وينكر عليه تاريخه ونضاله ، سواء داخل مصر أو خارجها ، ويضعه فى صف واحد مع التيار الأصولى ، فهما معًا يعيشان فى وهم إمكانية تعديل الطبيعة الإنسانية، ويسعيان لتحقيق حلم مستحيل هو أقرب لليوتوبيا ، أو المثال العصى على المنال ، وأن اشتراكية اليسار سعت لتغيير هذه الطبيعة بأساليب القمع والجبر والتلقين والتبشير .. فى وقت تجاوزت فيه الأوضاع هذا اليسار ذاته ، حيث المهمة الكبرى الآن هى إنجاز التحول للرأسمالية سعيًا للحاق بالعصر ، ولم يعد لليسار مبرر تاريخى ، بل إن افتراض وجود دور محدود له كحامل وحيد لفكرة العدالة الاجتماعية أصبح أيضًا افتراضًا لم يعد له أساس الآن .. وباختصار - حسب مقولة الدكتور وحيد - فلقد انتهى المبرر الإنسانى والتاريخى لوجود اليسار ، فى عصر الليبرالية الزاحفة والرأسمالية المنتصرة ، التى حققت للبشرية غاية غير مسبوقة ، ذلك أنها - وحدها دون عداها من الفلسفات والنظم الاجتماعية التى تتفق والطبيعة الإنسانية ، الثابتة السرمدية ، وتتعامل مع الإنسان كما هو ، وليس كما ينبغى أن يكون . وهذا هو سر نجاحها ، ومفتاح استمراريتها ، بالأمس واليوم ، وإلى الأبد .

العودة إلى الأصول :

ويبدو من الغريب ، ألا يجد د. وحيد ، سوى تلك الحجج التى عفا عليها الزمن، وكانت من بين ترسانة الأفكار التي استخدمت فى أوج الحرب الباردة لحصار وضرب فكرة الاشتراكية .. بل إنه لم يأت بجديد بتجاوز ، أو يضيف إلى ، ما ردده فرانسيس **فوكوياما** من أفكار فى مقاله المنشور بمجلة «**ذي ناشينال انتريست**» الأمريكية ، أواخر عام ١٩٨٩، ثم طورها فى كتابه «**نهاية التاريخ وخاتم البشر**» ، (ترجمة د **حسين أمين** وصدر عام ١٩٩٣ عن مركز الأهرام للترجمة والنشر)، وفحوى هذه الأفكار كما ذكر بالنص (ص.١٠ من ترجمة الكتاب) ، أن الديمقراطية الليبرالية تظل المطمح السياسى الواضح الوحيد فى مختلف المناطق والثقافات فى كوكبنا هذا ، كذلك فإن المبادئ الليبرالية فى الاقتصاد - أى السوق الحرة - قد انتشرت ونجحت فى خلق مستويات من الرخاء المادى لم نعهدها من قبل ، سواء فى الدول الصناعية المتقدمة ، أو فى دول كانت وقت انتهاء الحرب العالمية الثانية جزءاً من العالم الثالث الفقير ! .

* * * * *

وكما هو واضح من مقال د. وحيد وكتاب فوكوياما ، فإن كليهما يدافعان عن فكرة قسرية ، هى فى واقع الأمر ، أكثر يوتوبية بمراحل من فكرة العدالة الاجتماعية والاشتراكية التي يندادن بها ، هى فكرة الانتصار النهائى والمطلق للرأسمالية ، ولا تؤدى فكرتهما فى الحقيقة ، إلا إلى إعادة إنتاج مقولات بالية كمركزية الحضارة الغربية ، التى تعنى فى النهاية تكريس هيمنة الرأسمالية الغربية (بزعامة الولايات المتحدة) ، وإلحاق مجمل البشرية بها ، كتابع ذليل ، ومفعول به لا حول له ولا قوة،

ولا يمكن القفز إلي هذه المقولة فجأة دون أن نضع فى مقابلها الكيفية التى تكونت بها هذه الحضارة (المنتصرة) ، والثمن الهائل الذى دفعته البشرية من آلامها وعذاباتها لكى تتبوأ هذه المكانة . فالرأسمالية «الأكثر أخلاقية »، على حد وصف د. وحيد ، بنت حضارتها هذه على أشلاء ملايين من الضحايا عبر حربين عالميتين عانى العالم من ويلاتهما ولا يزال ، وعبر استغلال بالغ البشاعة والقسوة لمئات الملايين من البشر داخل بلدانها ، وخارجها ، للطبقات العاملة والفقراء والعبيد، وأيضا لشعوب المستعمرات التي تم اعتصارها لقرون طويلة ، كى تبنى من نزيف دمها قصور الحضارة الرأسمالية التى يعجب بها ، ويروج لها أنصارها الجدد فى مصر .. ثم ألم تكن الفاشية والنازية وكل أنظمة التعصب من بنات أفكار وإبداع النظم الرأسمالية، بما فيها الفاشية الصهيونية ، التى لا زلنا مرغمين على تجرع سمومها حتى الآن !!.

الكيل بمكياليين :

ثم إذا كانت هذه الرأسمالية ، بالصورة المثالية التى يروج لها الدكتور وحيد وزملاؤه ، فلماذا إذن يتجاهلون حقيقة بسيطة وصادمة ، مفادها أنهم اختاروا الوجه الذى يعجبهم للرأسمالية فى أمريكا وأوروبا ، وتجاهلوا النمط الآخر من النظم الرأسمالية الذى بسط نفوذه على مختلف بقاع العالم فى العقود الأخيرة ، فى العالم الثالث والدول المتخلفة ، أليس تفشى الفساد وانهيار مستويات المعيشة وارتفاع المديونية وتعاظم معاناة الجماهير فى هذه البلدان الرأسمالية ، وسيادة أنظمة قمعية فاشية ساندتها المراكز الرأسمالية المتقدم ودعمت أركانها ، دليلاً آخر علي خرافة «أخلاقية » الأنظمة الرأسمالية ولا أخلاقية الاشتراكية .. فلنقرأ معًا ماذا يقول

ناعوم تشومسكي في كتابه «ما الذى يريده العم سام حقا ؟!» (ترجمة ونشر دار الفكر - عمان - الأردن - ١٩٩٣ ، ص ٢٥-٢٦) « الذى عملته قوات الكونترا التي تقودها الولايات المتحدة (الرأسمالية طبعًا !) فى نيكارجوا ، والذى يعمله عملاؤنا الإرهابيون فى إل سلفادور ، أو فى جواتيمالا ، ليس قتلاً عاديًا فقط فالعامل الرئيسي هو الوحشية ، والتعذيب السادى - كضرب الأطفال بالصخور ، وتعليق النساء من أقدامهن وأثدائهن مقطعة . وتقشير جلد وجوههن بحيث ينزفن دمًا حتى الموت ، وقطع رؤوس الناس وتعليقها على رؤوس العصى والخوازيق .. والنقطة الجوهرية هنا هى تحطيم القومية المستقلة والقوى الشعبية التي قد تأتي بالديمقراطية الجوهرية حقًا .. فعن أى ديمقراطية ، وأية أخلاقية رأسمالية تلك يتحدثون ؟؟ .

ملاحظات سريعة :

وهناك بعض ملاحظات ، يضيق المجال عن الاستفاضة فيها ، أحب أن أضيفها:

أولاً : حتى إذا سلمنا جدلاً بحقيقة الفردوس الرأسمالى الموعود ، وهذا غير واقع أصلاً كما فصلنا سابقًا ، فهلا يدلنا واحد من مشايعى الرأسمالية الغربية على سبيل يُمكّن شعوبنا الفقيرة المتخلفة من إحداث التراكم الرأسمالى الأولى الذى يعطينا القدرة على الانطلاق فى هذا السبيل !! .

ثانيًا : لقد عاشت التجربة الرأسمالية ، وحتى الآن ، عدة قرون مليئة بالبؤس والفاقة والإخفاق والقهر والاستعباد ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه . فلماذا نستكثر على تجربة جديدة فى عمر البشرية كتجربة بناء الاشتراكية عدة عقود ،

تميزت مرحلتها الأولى - أيًا كانت ملاحظاتنا السلبية ، الموضوعية عليها ، بإنطلاقة جبارة ، قبل أن تتحالف عليها أخطاء الداخل ومؤامرات الخارج لهدمها .. إن العدل يقتضى تأجيل الحكم النهائى بموت الاشتراكية واليسار حتى تتاح لهما فرصة موازية.

ثالثًا : كل النجاحات الاجتماعية التى يفاخر بها دعاة الرأسمالية الغربية ، بما فيها حقوق التعبير والخدمات الاجتماعية المتقدمة والحريات الديمقراطية .. إلخ ، لا يمكن بأى حال ، إنكار بصمات اليسار عليها ، فهى لم تأت منحة أو هبة من الرأسماليين الاحتكاريين ، وإنما عمدتها بالدم نضالات القوى التقدمية علي مدى عقود ، وتضحيات اليسار فى كل بقاع العالم .

رابعًا : لقد مُنح اليمين فى العالم العربى أكثر من فرصة لتقديم إسهاماته فى حل مشكلات المجتمع ، وها هو اليمين المصرى منذ ما يقرب من ربع قرن يحكم ، ولم نر مزية فى حكمه سوى تضاعف مستويات بؤس الجماهير الشعبية ، والإلحاق القسرى لبلادنا بذيل الرأسمالية الغربية ، وفتح الباب على مصراعية لحثالة البشر ، والتفريط فى الحقوق الوطنية بلا حدود ، أليس ما يحكم فى مصر نمط من أنماط النظم الرأسمالية البائسة ؟! أم ماذا ؟! .

خامسًا : ثم لماذا يا سيدى الدكتور لا نكون موضوعيين ونحن نحاكم تاريخنا ، الذى كنت أنت واحدً من عناصره فى يوم من الأيام ؟! لماذا ننكر تضحيات يسارنا ورموزه ونستخف بجهدهم ورؤاهم ، التي رغم أية أخطاء أو ملاحظات ، كانت وستظل معجونة بالرغبة فى تطوير واقع الوطن ، وبناء المجتمع المتقدم لصالح الجموع لا لصالح القلة .

سادسًا : ثم وأخيراً ، وأتساءل ، فقط أتساءل عن علاقة الهجمة الأخيرة على اليسار المصرى مع هجمة دعاة التطبيع الصهيونى ودعاة السوق الشرق أوسطية .. وحتي لايتصورن إنسان أننى أبالغ وأربط ربطًا متعسفًا بين هذه العناصر الثلاثة وبين الدعوة لسيادة الرأسمالية ، فإننى أختم هذه السطور بفقرة أستعيرها من كتاب **ناعوم تشومسكى** السابق الإشارة إليه - (ص١٤) :

خلال الحرب العالمية والثانية ، طورت جماعة الدراسة التابعة لوزارة الخارجية والتابعة لمجلس العلاقات الخارجية ، خططًا للعالم ما بعد الحرب ، فيما أسموه المنطقة العظمى ، لكى تخدم حاجات الاقتصاد الأمريكى .

وقد شملت المنطقة العظمى النصف الغربى من العالم ، أي أوروبا الشرقية والإمبراطورية البريطانية السابقة ، التي كانت فى طريقها للانحلال ، ومصادر الطاقة التي لا مثيل لها فى الشرق الأوسط ، وبقية العالم الثالث ، والكرة الأرضية برمتها إن أمكن ، وقد تم تعيين وظيفة خاصة لكل جزء من النظام العالمى الجديد ، **وعلى العالم الثالث أن يحقق وظيفته كمصدر للمواد الخام وسوق للمجتمعات الرأسمالية الصناعية .**

فهل هذه هى الوظيفة التي يدعونا لها مشايعو الرأسمالية فى مصر ؟! وما نوع تلك الديمقراطية التي تنفى وجود قطب أساسى معبر عن مصالح الشعب والوطن ، هو اليسار ، ومن يستفيد من محاولة عزل اليسار فى مصر عن مجمل حركة القوى الفاعلة فى المجتمع ، إلا أعداءه !! .

لا نهضة بغير ديمقراطية (*)

لا يكتمل الحديث عن المشروع القومى ، أو النهضة الشاملة المأمولة لبلادنا ، بدون الغوص، مطولاً وعميقًا ، فى إشكاليات قضية الديمقراطية فى وطننا ، وفى عالمنا المتخلف ، على حد سواء ، وانعكاسات وضعها الملتبس ، السلبية ، على احتمالات نجاحنا فى تحقيق الغاية المرتجاه من فتح الحوار حول هذه القضية الهامة .

فأى حديث عن النهضة هو - بالأساس - حديث عن جموع البشر الفاعلة الساعية لإنجاز هذه المهمة ، وهو حديث يدور حول الناس ، أى جمهور المواطنين الذين هم فى المقام الأول مادة هذا المشروع ، أو خامته الرئيسية ، ومبتغاه أيضًا ، ومن هنا يبدوا ارتباطه الوثيق بمسألة الديمقراطية ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتفعيل مشاركة المواطنين فى إنجاز مهام هذا المشروع، ولمواجهة تحديات وأعباء هذه النهضة، وبدون البدء من اشتراط تحقق ديمقراطية فعلية، تُغرى الشعب على خوض غمار هذه التجربة الجديدة ، وتعده - عن حق وصدق - بنصيب وافٍ من عوائدها المرتقبة ، توازى ما سيبذله من جهد وما سيتحمله من تكاليف - سينفض المواطنون - ولهم الحق فى ذلك - عن أية وعود مجانية ، اختبروا مراراً وتكراراً فحواها الوهمى .. وباتوا لا يعولون عليها .. وفى هذه الحالة من المشكوك فيه أن يتعدى حديثنا عن هذا المشروع المأمول مجرد « شقشقات » مثقفين ، معزولين ، هازلين فى مواطن الجد، ولاعبين بمشاعر الناس فى وقت لا يحتمل اللعب ! .

ومرد شكوك المواطنين فى مثل هذه المقترحات التى تتصدر صفحات الصحف من حين لآخر قبل أن تتبدد بلا أثر ، هو إدراك الجماهير الغفيرة - بحكم التجربة التاريخية المتراكمة - وهى التي اكتوت باستمرار ، وعلى مر التاريخ ، بنار «المشاريع القومية » ، (العملاقة !) ، أنها - دائمًا - كانت تدفع الثمن لمثل هذه

« الشطحات » ، ومقدمًا ، وغاليًا ، دون أي مردود يعوضها - ولو جزئيًا - عما تكبدته من آلام وتضحيات ، في الوقت الذي كانت ترى فيه ، أن الفئات والطبقات (المحظوظة) هي وحدها التي حصدت عائد جهد الجموع ، وامتصت نتائجه ، ولذلك شاع التعبير « كلام جرائد » لوصف مثل هذه « الأحلام » الكبيرة ، التي كثيراً ما كانت تتحول إلى كوابيس لا يمكن احتمالها ، وفي هذا السياق يمكننا أن نطرح بعض الأفكار في الحوار الدائر بشأن هذه القضية :

(ا) مدخلنا لتحقيق المشروع النهضوي

وبالرجوع إلى التجارب المستلهمة للنهضات الحديثة في العالم المعاصر ، يمكننا أن نضع أيدينا على ثلاثة مداخل لتحقيق هذه الغاية :

أولاً : عن طريق رافعة الدولة المركزية المتماسكة والقوية والمرهوبة الجانب ، والعادلة نسبيًا ، والمتوازنة في توزيع تكاليف وعائدات مثل هذه المشروعات القومية على مختلف الفئات والطبقات (حالة الصين المعاصرة مثلاً ، وتجربة عبد الناصر من قبل) .

ثانيًا : مدخل الدعم الخارجي لمقومات النهضة وعناصرها مثلما هو حادث في دول النمور الآسيوية في علاقتها بالرأسمالية اليابانية مثلاً .

ثالثها : مدخل النهوض على قاعدة ديمقراطية تحقق حداً أدنى من المشاركة الشعبية ، وحداً أقصى من الشفافية ، التي تكفل تقليل « الفاقد » السياسي والاجتماعي والثقافي في هذه العملية، مع تعظيم نتائجها الإيجابية ... وهذا هو المدخل المناسب لحالتنا هنا في مصر ، ما دمنا قد ارتضينا تقليص دور ونفوذ الدولة

البيروقراطى ، وتحجيم حدود مهمتها القيادية لعملية التحول الاقتصادى من جهة ، وما دامت شروط إغراء رؤوس الأموال والمشاريع والدول المتقدمة للقدوم إلى بلادنا بوفرة تحقق هدف حملها إلى عتبات التقدم ، غير واردة ولا كافية وحدها لتحقيق الغاية المطلوبة .

ولهذا فإن دفع الدماء الجديدة فى شرايين « الديمقراطية » ، وتجديد مسار المشاركة الشعبية الفعلية فى التجربة ، وفتح الأبواب لتدفقات اجتماعية حقيقية إلى خضم العمل السياسى المصرى ، هو المدخل الموضوعى ، والأوحد ، المتاح الآن لكى تدلف بلدنا إلى ساحات التقدم قبل أن تضيق فرصنا ، ثم تضيع ، إذا تركناها تتبدد من بين أيدينا .

(٣) « الكونية » شرط موضوعى للديمقراطية

ثم أن هناك شرط آخر ، موضوعى ، خارج عن ظروفنا الذاتية ، يحتم اللجوء إلى السبيل الديمقراطى كمدخل لانجاز أى مشروع قومى ، ألا وهو ثورة الاتصالات الهائلة التى تجتاح العالم ، وانعكاسات ظاهرة « العولمة » التى تجتاح الكون وتحوله إلى « قرية صغيرة » متداخلة الآفاق ، على كافة بلدان العالم ، ومن ضمنها مصر ، وهو أمر يترك بصماته بشدة على الوضع وبصورة لا يمكن الفكاك منها ، الأمر الذى يجعل قضية الديمقراطية قضية أولى على أجندة كل دول العالم الثالث فى هذا الشأن، ليس باعتبارها مجرد قضية مشاركة سياسية وحسب ، وإنما أيضًا كبوابة أساسية من بوابات التنمية الشاملة التى يتعذر بدونها الولوج إلى المستقبل المرتقب.

(٣) الديمقراطية ومسألة الإرهاب :

وهناك دافع آخر يحتم طرح مبادرة فعّالة فى هذا السياق ، هذا الدافع هو حدود المخاطر وأبعاد التهديدات الداخلية المحتملة ، والتى يمكنها تعويق عملية إنجاز هذا المشروع ، وعلى قمة هذه التحديات تأتي مسألة الإرهاب التى بمقدرها تبديد مقومات هذا المشروع النهضوى المقترح ، أو يمكنها إفساد آليات تحقيقه .. وتوفر ديمقراطية حقيقية تجمع طاقات الأمة كلها وتحشدها - عن اقتناع ويقين - لحماية مكتسباتها والدفاع عن مشروعها ، أمر ضرورى بدونه لن يمكن تحقيق هذه الغاية .

(٤) الديمقراطية والوحدة الوطنية :

كذلك فإن الوحدة الوطنية مسألة رئيسية تمثل لبنة لا غنى عنها من لبنات البناء القاعدى ، الأساسى ، للمشروع الوطنى ، ولا شك فى رسوخ ركائز هذه الوحدة وعمقها فى التربة المصرية ، غير أن المؤكد أيضاً أن « رياح السموم » هبت على فترات متقطعة فى المناخ المصرى فسممت قطاعات منه ، وهذا أمر ينبغى معالجته بأكبر قدر من الاهتمام وأعلى مستوى من الحس الوطنى والشعور بالمسؤلية، فبدون أن يشعر أقباط الوطن بأنهم « مواطنون لا رعايا » ، وأنهم أبناء متساوون فى الحقوق والواجبات وفى تحمل أعباء عملية البناء واقتسام خيراتها ، وليسوا مجرد « أهل ذمة » ، فلن يكون من المتاح جذبهم إلى عجلة هذا المشروع النهضوى ، أو إدماج طاقاتهم الفاعلة فى مجمل المجهود الوطنى الساعى لإنجاز هذه المهمة... وأيضاً فبدون توفر الشروط الديمقراطية الفعلية ، التى تكفل لكل أبناء الوطن - بغض النظر عن دينهم - المساهمة قدر الطاقة فى المسيرة المشتركة ومن أجل بناء المستقبل الواحد ، ستظل احتمالات تحقق هذا المشروع مشوبه بالضعف ، مهددة بالإخفاق .

(٥) الديمقراطية شرط لمواجهة التحديات الخارجية :

ثم إن الإقدام على هذا المشروع القومى بهمة تستهدف النجاح فى إنجاز حلقاته ، يقتضى - من منظور آخر - تأمين هذه العملية النهضوية فى مواجهة المخاطر والتحديات الخارجية المفترضة ، مثلما اقتضى تأمينها فى مواجهة المخاطر والتحديات الداخلية ، والنجاح فى هذه الغاية الخطيرة لن يتحقق إلاّ بتوفر شروط الديمقراطية .

وهو الشرط الضرورى واللازم لإشعار الجموع أنهم مطالبون بالدفاع عن مشروعهم ، وليس مشروعًا مفروضًا عليهم من هذا الطرف أو ذلك ، حيث يؤدى الانفصال بين الجموع والدولة إلى عجزه حتمًا ، فى وجه أية تحديات خارجية قادمة.

(٦) ديمقراطية التعليم والثقافة : بوابة المشروع القومى :

كما أسلفنا فإن نجاح المشروع النهضوى يعتمد - بشكل رئيسى - على اقتناع جماهير الشعب بأهميته واتفاقها على إنجاحه ، واتحادها فى حمل مسئولية تحقيق عناصره .. وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية وحده هو المدخل الطبيعى لتحقيق هذا الإنجاز ، وهذا يتطلب جذب أوسع قطاعات الشعب إلى ميدان العمل النهضوى المتسع الأرجاء ، ما دام جماهير الشعب هى أساس وصلب توجه هذا المشروع وهدفه الرئيسى .

وهذا الأمر سيعوقه حتمًا تفاقم الأمية ، وانتشار الجهل وسياده أنماط التفكير الخرافية المعادية للعلم والمدنية والتقدم ، ليس فى قرى الريف أو الصعيد المنعزلة فحسب ، وإنما أيضًا - وهنا مكمن الخطر - فى المدينة كذلك ، وفى حزام الفقر العشوائى المحيط بها بصورة واضحة كل الوضوح .. فالمادة الخام أو « قماشة » هذا المشروع وعصبه الحى مصابة بالعطب على كل المستويات ، وحتى بين الحاصلين على

أعلى الشهادات فيها ولابد من الإسراع فى علاج هذا الأمر ، وإلاّ لن يكون هناك فائدة فى بذل أى جهد ، إذ سيتم - بسبب انعدام الوعى وفقر الفكر التسريب المستعمر للجهد المبذول عبر مسالك شتى ، وستُشل عملية المشاركة الشعبية ، وستُجهض كافة محاولات الإقلاع إلى فضاء التقدم والنجاح .

وديمقراطية التعليم تعنى - فى المقام الأول - أسلوب جديد ، واستهدافات جديدة، وتوجهات جديدة ، وطرق وأساليب جديدة ، غايتها إعداد المواطن المصرى إعداداً حقيقيًا للنهوض بمهمات المرحلة ، والوصول إلى عقول الملايين الغفيرة من أبناء الشعب ، المُهملين حقًا والمهمشين فعلاً ، بهدف تعليمهم وتوعيتهم وتهيئتهم لتحقيق الحلم المرتقب الأمر الذى يحتم - بدون إبطاء ولا مداورة - إعادة النظر فى التوجهات النخبوية الضيقة ، الخطرة ، التى تحكم فلسفة العملية التعليمية الآن ، والتى كان من نتائجها المباشرة ، حرمان الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب من حقهم فى فرصة متكافئة للعلم والمعرفة ، وهو ما يؤدى إلى بقائهم مهمشين غير قادرن على المشاركة - فى أحسن الأحوال - أو يحولهم إلى عوامل معوقة مبددة للطاقة ، فى أغلب الأحوال ؛ وكذلك إعادة الاعتبار إلى الدور التنويرى والتثقيفى لجهاز خطير كالتلفزيون يشعر الكثيرون بأنه خارج المعركة واللياقة الضرورية لمثل هذه التحديات الضخمة .

نحو عقد اجتماعى جديد :

وربما يكون المدخل الطبيعى لتحقيق هذه المهام الجسيمة هو البدء بصياغة « عقد اجتماعى جديد » يحدد طبيعة العلاقة بين الدولة - بكافة مقوماتها ، والشعب ، بمختلف طبقاته وفصائله.. إن إعلانًا جديداً بعقد اجتماعى متطور ، يقنن كل مسائل إدارة العلاقة بين الشعب وحكامه ضرورة رئيسية من الضرورات التى لا غنى عنها

إذا ما فكرنا فى عوامل إنجاح أى مشروع نهضوى مأمول ، ذلك أن هذا العقد هو المدخل الحقيقى لجذب أوسع قطاعات من أبناء الوطن للمشاركة العملية فى التجربة، ما داموا موقنين بأن البناء يتم لمصلحتهم هم فى المقام الأول ، وأن العلاقات محكومة بإطار ضامن يكفل حقوق كل طرف فى العملية النهضوية ويحدد ضوابطها وحدودها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وأن التضحيات التي سيتطلبها إنجاز هذا المشروع لن تُلقى على عاتق طبقات بعينها اكتوت على مر التاريخ بنار « المشاريع القومية » و « الخطط النهضوية » و « الثورات البيضاء والخضراء » ، دون أن تتلقى جزاء تضحياتها إلا أقل القليل ، فيما حصد آخرون عائدات تضحياتها حصداً .

بدون ذلك ، بدون أن نوفر الشروط الديمقراطية الحقيقية التي تكفل انضمام الملايين صاحبة المصلحة من أبناء الشعب ، كجيش عمل جرار ، إلى مسيرة المشروع النهضوى المرتجى ، عن يقين واقتناع ، لن يمكن انجاز أى شئ ، فالتجارب السابقة خير دليل .. وهناك مثل يقول : « إنك لا تستطيع أن تشعل ناراً بعود ثقاب مبلول » .. وقبل أى خطوة فإن واجبنا الحتمى - إذا كنا جادين فى إنجاح فكرة النهضة الجديدة لبلادنا ، أن نبحث عن « عود الثقاب الجاف » ، الذى يمكنه وحده أن يشعل الوقود فى قاطرة التقدم لبلادنا .

القسم الثالث

تحديات المستقبل

١- نحتفل بالماضى وأبصارنا معلقة بالمستقبل .

٢- احتفالية جيل السبعينيات .

موت أم ميلاد ... مرثية أم بشارة ؟!

٣- بعد خمسة وعشرين عاما :

لازلنا أحياء وقادرين على الفعل .

٤- الحزب الذى حلمنا به لم يأت ، والذى أتى لم يكن حزبنا .

٥ - خطاب مفتوح إلى أبناء جيلنا :

حزب جديد من أجل الوطن والشعب .

٦- يسار (جديد) ومهمات قديمة

نحتفل بالماضى

وأبصارنا معلقة بالمستقبل(★)

★ الكلمة الافتتاحية لليوم الأول فى احتفالية جيل السبعينيات ، حلقة نقاش حول «تاريخ الحركة الطلابية المصرية» ، قاعة التوفيق بالقاهرة ، ١٩٩٧/٢/١٩ .

الزملاء الأعزاء :

فى مثل هذه الأيام ، منذ ربع قرن ، كانت جامعات مصر ، ومعاهدها ، وساحاتها العلمية ، مسرحًا لانتفاضة طلابية عارمة ، شملتها من أقصاها إلى أقصاها ، وزلزلت أركانها وأركان الوطن بما طرحته من شعارات ، وما مثلته وعكسته وأثارته من دلالات وأفكار ، وبما جسدته من وقائع وملابسات .

ومن منظور تاريخى ، فإن مرور خمسة وعشرين عامًا على حدثٍ من الأحداث ، يمنحنا إلى حدٍ كافٍ مديً زمنيًا مقبولاً ، يتيح للمعنيين القدرة على تناول وقائعه بموضوعية ، ويسمح لهم بالنظر إليه برؤية وتدقيق ، وبحيدة وتعمق ، مما يساعد علي استخلاص دروسه الحية ، والتوصل إلي نتائج صحيحة من تحليل دوافعه .

ومن الغريب حقًا ، أنه بالرغم من مرور هذه السنوات ، الطويلة نسبيًا ، فإن «وقائع سنوات الجمر » السبعينية ، بما احتوته وعبرت عنه - على أهميتها ودلالاتها غير المنكورة - قد تم تجاهلها بصورة شبه كاملة ؛ فهى لم تحظ - حتى الآن - بما يليق بها من تناول علمى موضوعى ، ولم تتصد جهة مسؤولة ما بتسجيل تطوراتها، ولم تخضع لفحص أكاديمى ، وفيما عدا بعض أشكال التناول الأدبى والفنى ، فى عدد من الأعمال الدرامية بالسينما والتلفزيون ، وعلى صفحات بعض الكتابات الإبداعية ، فإن أغلب الكتابات السياسية والتاريخية ، تجنبت - بشكلٍ غريب ، إن لم يكن مريبًا ، دراسة هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر ، وتعاملت معها كأنها لم تكن ، على الرغم من أن أى تناول منصف لتلك الفترة ، بالغة الأهمية ، من تاريخ وطننا ، لا يمكن أن يمر عليها مرور الكرام دون أن يتوقف طويلاً أمامها ، فهى فترة كانت - بصورةٍ أو بأخرى - شديدة التأثير فى مجمل التطورات التى شهدتها وتشهدها مصر المعاصرة ، وهى البداية التي عبرت منها البلاد إلى ما نعيشه الآن من مستجدات فى كافة القضايا الأساسية التي يدور حولها الصراع فى

وطننا ، ضارياً وبشتى الأسلحة ، وهى فترة أثرت ، ولا زالت تؤثر ، فى مجمل التطورات التى تمس محددات وجودها : قضية الحرب ضد العدو الصهيونى و(إشكالات السلام الموهوم معه ، وكذلك مسألة الديمقراطية وحق الشعب فى امتلاك نظام سياسى يحترم آدميته ويحقق له أساس موضوعى للتقدم .. ثم فيما يخص البرنامج الاقتصادى الذى يحكم مسار البلاد ، وتتعرض من جرائه مصالح الغالبية العظمى من أبنائها للخطر .. وهى تلك القضايا المثلثة الأبعاد ، التى كانت - بالفعل - محور كفاح الحركة الوطنية الديمقراطية لطلاب مصر ، وغاية نضالهم الذى استمر لعقدٍ كامل من السنين (١٩٦٧ - ١٩٩٧) .

* * * * *

بعد ربع قرن من الشتات ، نجتمع مجدداً لكى نتدارس ماضينا وحاضرنا ، أمسنا وغدنا ، مسلحين بالنضج والمعرفة والرغبة الحقيقية فى خدمة وطننا وشعبنا ، يحدونا الأمل فى أن يكون هذا اللقاء - الذى حرصنا قدر الطاقة ، وسعينا ما وسع جهدنا - على أن يكون ممثلاً لكل تيارات الحركة الوطنية الديمقراطية للطلاب فى تلك الآونة ، دونما استبعاد أو وصاية أو محاولة للتمييز ، وأى قصور فى تحقيق هذا الهدف يرجع - بالأساس - إلى العجز عن الاتصال بكافة الزملاء الذين كان لهم دوراً مؤثراً فى مسار الحركة الطلابية ، والذين انتشروا فى الأرض ، داخل البلاد وخارجها دون أن نتمكن من الوصول إلى مواقعهم ، ولعلنا بهذه الخطوة المتواضعة نكون قد مشينا خطوة للأمام فى محاولتنا لإعادة بناء ما توزع من جهود جيلنا .

ليس غايتنا من هذا الحوار هو مساجلة فكرية أو منازلة أيديولوجية .. إنما نحن نتوجه بكل جهدنا لاستجلاء بعض ملامح الحقيقة التاريخية ، فى الحدود التى يسمح بها عاملا الزمان والمكان ، على أمل أن تتلو هذه الخطوة خطوات ، تساعد الباحثين

والأكاديميين على دراسة هذه المرحلة التاريخية الهامة من مراحل كفاحنا ، ومن هنا فإن اتساع الصدر ورحابة الفكر وروح الود والزمالة ، ستعصمنا من أي شطط فكري، أو احتداد نظرى لا مبرر له بعد خمسة وعشرين عامًا .

وأهم من هذا أن ننظر إلى مساهمتنا فى إحياء الذكرى الخامسة والعشرين لانتفاضة طلابنا من منظور مستقبلى يتجسد فى محاولة استخلاص الدروس الأساسية التي نقدمها - من جماع تجربتنا - لشبابنا ولطلابنا .. ولكافة أبناء الوطن .

هناك خبرات هائلة تراكمت ، ومن المفيد والضرورى أن توضع لخدمة شعبنا ، وهناك كفاءات حقيقية - فى جيلنا - يمكنا أن تمثل إضافة فعلية ، نوعية ، لصالح بلدنا .. فحينما نتدارس الماضى ، أرجو أن تكون عيوننا - أيضًا - شاخصةً إلى المستقبل .. فنحن إذ نطرح الأسئلة التى تدور حول وقائع مضت ، إنما - فى حقيقة الحال - نرنوا بأبصارنا إلى الزمن القادم . وهذه قيمة عظمى ، ينبغى أن نعى أهميتها ، ونحرص كل الحرص عليها .

إن مجرد اجتماعنا الآن ، بعد أن تفرقت بنا السبل لخمسة وعشرين عامًا .. هو إنجاز فى حد ذاته ، وهو فاتحة عمل نرجوا أن يستمر ، وهو حدث يغفر لنا أية نقائص فى الإعداد .. مرجعها محدودية الامكانيات وحساسية الظروف .

* * * * *

كل الديمقراطية للشعب ... كل التفانى للوطن

كان هو شعارنا فى السبعينيات ، وهو شعار لازال صالحًا ، وضروريًا ، ومطلوبًا ونحن على أعتاب قرن جديد . فالأسئلة القديمة لم يتم الإجابة عليها بعد ،

والإشكالات التى طُرحت منذ ربع قرن تحتاج لاجتهاد جديد لرؤيتها .

فلتكن هذه الاحتفالية - بكل مقوماتها - بداية حقيقية لمحاولة الإجابة على الأسئلة المطروحة .. وليكن جهدنا موجهاً من أجل إقرار وتعظيم قيمة اجتماعنا ، التى هى هدف فى حد ذاته .. وكما كان اتحادنا - منذ ربع قرن - أداة لهز الحياة الراكدة ، والنفوس المجروحة .. فإن اجتماعنا الآن يستطيع أن يكون له نفس الأثر ، والمهم أن نبدأ البداية الصحيحة ، فى الوقت الصحيح .

* * * * *

أيها الزملاء الأعزاء :

أرجو لكم التوفيق ، وأكرر شكرى لكل من أسهم فى انجاح هذه الاحتفالية ، وعلى رأسهم الجهتين المنظمتين :

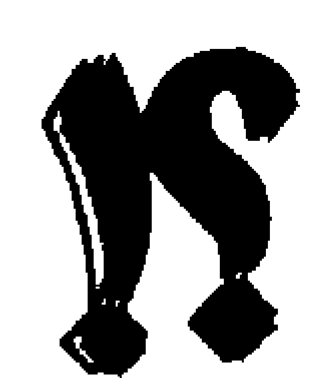
مركز المحروسة ... ومركز الجيل ...

وكذلك جمعية التوفيق التى تفضلت بفتح صدرها - قبل أبوابها - لاحتضان هذا العمل الوطنى الخالص .. والشكر الجزيل لعشرات الجنود المجهولين الذين بذلوا جهداً كبيراً فى صمت .. والشكر لكم جميعًا لتكبدكم عناء الحضور وجهد المشاركة، وأتمنى أن نراكم جميعًا فى جهود أخرى تالية ، نعيد - بواسطتها - وصل ما انقطع، وإنجاز ما تأجل من مهمات .

وشكراً جزيلاً

احتفالية جيل السبعينات

موت ... أم ميــلاد
مرثية ... أم بشارة



---

*) رداً على مقال لجريدة الأسبوع حول احتفالية جيل السبعينيات .

أثارت الكلمة التى نشرت فى جريدة الأسبوع (١٩٩٧/٢/٢٤)، حول احتفالية جيل السبعينيات بمرور ثلاثين عامًا على انتفاضات الطلاب عام ١٩٦٨، وخمسة وعشرين عامًا على انتفاضات عام ١٩٧٢ وعشرين عامًا على انتفاضة الجماهير الشعبية فى عام ١٩٧٧ شجون الكثيرين، وطرحت العديد من التساؤلات وعلامات الاستفهام حول مغزى هذه الاحتفالية وما تمخضت عنه ، وحول القيمة الأساسية لاجتماع هذا الحشد الكبير من قيادات الحركة الطلابية الوطنية الديمقراطية المصرية بعد نحو ثلاثة عقود كاملة من تفجرها .

بداية ، فلم يكن اجتماع المئات من كوادر الحركة الطلابية المصرية لمجرد استدعاء ذكريات الماضى الذى لن يعود ، أو للبكاء على الأطلال ؛ فلا معنى لهذا الأمر الآن ولا قيمة له .. إنما كان الهدف الأساسى الذى يكمن خلف الدعوة لهذا الاجتماع هو إعادة استدعاء المئات من أبناء هذا الجيل، الذى يجمع الجميع على تفرده ، لكى يتدارسوا معًا أمرين بالغى الأهمية :

الأول : تقييم تجربتهم التاريخية ، بحلوها ومرها ، وبإيجابياتها ودروسها وسلبياتها ونقائصها ، بهدف استخلاص الدروس الأساسية لهذه التجربة ، ووضعها أمام أولئك الذين قد يجدون فيها ما يفيدهم ، أو يعينهم على الإنجاز .

الثانى : البحث في شئون المستقبل ، وفى الكيفية التى يتسنى لهذا الجيل عبرها المساهمة فى خدمة الوطن ، والمساعدة على تجاوز أزماته الراهنة والمستقبلية .

ومن نافل القول أن عملية البناء تستدعى رفع الأنقاض أولاً، وتنظيف الأرض التى سنبنى عليها ، وكما ذكرت في مداخلتى التى قدمتها في افتتاحية اليوم الأول أنه ليس غايتنا من هذا الحوار هو مجرد مساجلة فكرية أو منازلة أيديولوجية .. وإنما من المهم جداً أن ننظر إلى مساهمتنا فى إحياء الذكرى الخامسة والعشرين لانتفاضة طلابنا من منظور مستقبلى ، فهناك خبرات هائلة تراكمت - لدى أبناء هذا الجيل - ومن المفيد والضرورى أن توضع فى خدمة شعبنا ، وهناك كفاءات حقيقية بينهم ، يمكنها أن تمثل إضافة نوعية ، حقيقية ، لصالح بلدنا .. ونحن حين نتدارس الماضى ، فإنما نفعل ذلك وعيوننا شاخصة إلى المستقبل .. لأن الأسئلة التى طرحت على جيلنا منذ ربع قرن لا زالت مطروحة الآن ، لم يتم الإجابة عليها ، وهى تحتاج لاجتهاد جديد يسهم في إيجاد حلول لمعضلاتها ؛ ولأن القضايا التى فجرت انتفاضاتنا فى عقد السبعينيات وقضايا التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية والديمقراطية، لم تحل حلاً حقيقيًا بعد .

ومن هنا ، فالقيمة الأساسية لهذه الاحتفالية هو اجتماع هذا الحشد الكبير

من القيادات المرموقة لأبناء جيل السبعينيات ، وقد تحقق هذا الهدف بشكل جيد للغاية، وتحقق وسط طوفان هادر من المشاعر الفياضة والأحاسيس المتفجرة ، وبحيوية وحماس كانت مفاجأة لكل المراقبين من الخارج ، بعد أن تساءلوا مراراً ، رتصوروا تكراراً أن هذا الجيل قد انتهى أمره، وأصبح مستقره فى سجلات الماضى الميت ، أو أشلاء الذاكرة البليدة .

أما كون بعض عناصر هذا الجيل يمتلك سيارة فارهة أو تليفون محمول ، كما كتبت جريدة الأسبوع ، فهذه ملحوظة جانبية لا تسئ إلى أصحابها ، إنهم كانوا طلابًا منذ ثلاثة عقود تقريبًا ، والآن المئات منهم قد أصبحوا بكفاحهم فنانين مرموقين وكتاب مشهود لهم ومهندسين وأطباء وبروفيسورات وصحفيين ورجال أعمال ناجحين... إلخ .. وهذه قيمة مضافة لحركة هذا الجيل، تمنحه إمكانيات ضخمة للفعل والتأثير المتزن والعاقل ، وتساعده على تجسيد أحلامه فى استعادة نشاطه الوطنى لصالح المجتمع بأكمله .. بسرعة نسبية معقولة ، وللمساهمة فى تجديد الدماء فى عروق الوطن بعد أن جفت أو كادت، الأمر الذى يوشك أن يصيب البلاد بالجمود أو الموت والجمود.

ثم إن أهم ما أشارت له هذه الاحتفالية ، وأعلنت عنه ، أن جيل السبعينيات لا زال حيًا، يضج بالفتوة والعنفوان والروح الوطنية .. وبالأمل ،

وهو ليس جيل «الثوريين السابقين » كما يتصور البعض .. إنما هو جيل صمد وتحمل ما لم يتحمله جيل آخر من المحن والضربات ومحاولات السحق والتصفية .. التى بلغت - ذات يوم حد اختراع الدولة لآلة الإرهاب المتستر بالدين ، على يد أجهزتها ، وبمبادرة ورعاية مسئولين كبار فى الدولة ، لكى تضع حداً لثوراته العارمة ، ومع هذا لا زالت لديه أحلامًا يود أن يحققها وأن يهبها للوطن .. وهو جيل لا يقبل الهزيمة ، حتى ولو خمدت طاقته مؤقتًا .. إنه من منظور موضوعى يُعد الاحتياطى الاستراتيجى الكبير للأمة ، يستعد الآن لأن ينهض من كبوته فى لحظة طال انتظارها ، وهى لحظة احتياج حقيقى لجهود كل وطنى مخلص .. وفى القلب منها أبناء جيل السبعينيات .

ذلكم هو أهم ما تحقق من احتفاليتنا التى فى اعتقادى لم تكن مجرد بكائية على الماضى، وإنما أنشودة للمستقبل ، ولم تكن علامة للموت .. إنما - وهذا هو المأمول - كانت بشارة حقيقية لميلاد حقيقى جديد .

بعد خمسة وعشرين عاما

لا زلنا أحياء وقادرين على الفعل

احتضنت قاعة التوفيق بالضاهر ، وعلى مدى ثلاثة أيام كاملة (١٩ - ٢٠ - ٢١ فبراير ١٩٧٧) احتفالية جيل السبعينيات بذكرى مرور ثلاثين عامًا على الانتفاضة الطلابية العمالية (١٩٦٨) وخمسة وعشرين عامًا على الانتفاضة الوطنية الديمقراطية لطلاب مصر (١٩٧٢) وعشرين عامًا على الانتفاضة الشعبية (١٩٧٧).

ثلاثة أيام حافلة احتفالاً بذكرى ثلاثة وقائع تاريخية في حياة وطننا ، تَنَادى من أجل استرجاع وقائعها وتدارس تجاربها واستخلاص دروسها ، المئات من الكوادر الوطنية ذات التاريخ والخبرة والمقدرة ، وفى جو ديمقراطى مفتوح دار حوار عميق انطلق من الماضى على أمل أن يكون ذلك دافعًا لبناء المستقبل ، واهتم بالأمس من أجل أن يرسم ملامح لطريق الغد ، وفى حيوية بالغة ، فاجأت حتى أكثر المشاركين تعاطفًا وتفاؤلاً ، استمرت وقائع الاحتفالية الممتدة ، حتى انتهت بذروة وجدانية رفيعة .. استعادت من خلالها الجموع المشاركة روح انتفاضاتهم المجيدة السابقة ، وحلقت فى أجواء القاعة المزدحمة بالأناشيد الثورية والعيون الدامعة والمشاعر المتأججة ذكرى أيام عظيمة ، كان اليسار المصرى فيها ، فى ذروة من ذرى تعبيره الحقيقى عن نبض الوطن وروح الشعب .

* * * * *

لقد أحجم البعض - مترقبًا أو يائسًا - عن المشاركة ، ودفع الفضول البعض الآخر للحضور ، وكأنما يسعى لتقديم « واجب العزاء » فى جيل كان يُظن أنه رحل ، وما عادت له تجسدات واقعية ، اللهم إلا فى ذكرى عابرة أو أمثولة تروى كتاريخ

مضى وانقطع أثره ؛ ومن هنا كان وقع المفاجأة صاعقًا على الكثيرين ، الذين أذهلهم - ليس فقط الحشد الضخم الذى شارك ، على امتداد الأيام الثلاثة فى وقائع الاحتفالية - وإنما أيضًا الروح التى دارت بها هذه المشاركات ، روح الإصرار على الفعل ، والرغبة فى التجاوز ، وإرادة الالتحام العضوى مع المجموع ، واليقين الذى تبدت إشاراته لدى كل من ساهم فى أنشطة الاحتفالية ، أو حضر مداخلاتها .. بأن هذا الجيل المتميز لم يمت بعد ، بل أنه الآن فى قمة عنفوانه ورغبته فى العطاء .. وأن هذا الجيل عازمٌ على ألا يترك الفرصة الذهبية - باجتماعه مرة أخرى - تفلت ، دون أن يخرج منها بإنجاز يسهم فى مواصلة دوره ، واستعادته لقدراته ، ونيله حقه الطبيعى فى أن يخدم وطنه ، ويقدم جماع خبراته لأمته .

ومن هنا يمكن أن نضع أيدينا على القيمة الكبرى لهذه الاحتفالية ، فالحق أن نتائجها فاقت بمراحل الغايات التى كانت مأمولة منها ، وإذا كان هناك من رأى فى هذا الأمر الملموس شيئًا من المفاجأة ، فهو إنما يعكس الطاقات الهائلة الكامنة فى أعماق هذا الوطن ، وداخل صدور أبنائه ، الذين يتشوقون لفرصة حقيقية للمشاركة، ويبحثون - بالفعل - عن مداخل واقعية للتغيير .

* * * * *

لم يعد الشباب شبابًا كما كانوا - بالطبع منذ ربع قرن أو يزيد - لقد كست الشعرات البيض رؤوس البعض ؛ وجاء البعض الآخر بصحبة الأبناء لكى يكونوا شهوداً على ما فعل جيل الآباء .. وفى حمى العناق بين الرفاق الذين لم ير البعض منهم البعض الآخر منذ سنوات طويلة .. ووسط حرارة ودفء الذكريات المتداعية عن

أيام النضال والتمرد والغضب النبيل .. أدرك الجميع أن هذه الصحبة الغالية عليهم وعلى الوطن .. من الخير لهم وللوطن ، ألا تتفرق بعد أن تجمعت ، وألا تتمزق أشلاؤها بعد أن توحدت ، وأقسم الجميع على ألا تتكرر تجربة العزلة والوحدة والفردية القاتلة .. ذلك أن الوطن الذى ناداهم منذ ربع قرن لا زال يلهج بالنداء .. والمهمات الصعبة التي جمعتهم يومًا ، ووحدت صفوفهم ، لا زالت قائمة .

* * * * *

لم يكن اجتماع المئات من كوادر الحركة الطلابية والشبابية فى الستينيات والسبعينيات (عمال وطلاب) إلا تعبيراً عن حاجة هذا المجتمع لدماء جديدة ، صحية ، مليئة بالفتوة والعزم ، لكى تعاود التدفق فى العروق اليابسة ، والشرايين المتجمدة .

لقد أوشك المجتمع على أن يستسلم لأمراض الشيخوخة والعجز ، وليس هناك من سبيل أمامه إلا أن يفتح قلبه وعقله لرؤى جيل جديد يتململ بحثًا عن تجسيد حى لقدراته وإمكاناته .. ومن صالح المجتمع - بكل اتجاهاته - أن يسمع نبض حاجات المستقبل الذى يطرق أبواب الحاضر بقوة ، وأن يستمسك بالفرصة قبل أن تتبدد وتذهب أدراج الرياح .

مغزى الاحتفالية إذن واضح ومحدد ، إذ تحمل رسال واضحة للجميع : لا زلنا أحياء ، بعد خمسة وعشرين عامًا ، وقادرن على الفعل ... من أجل خير الوطن والشعب .

الحزب الذى حلمنا به لم يات
والذى اتى لم يكن حزبنا ! (*)

(*) نشرت مختصرة فى جريدة الأهالى ١٦/ ١٠/١٩٩٦ ، من استطلاع شمل مجموعة من التقدميين المصريين ، من خارج حزب التجمع .

للإجابة على السؤال : لماذا لم انضم لحزب التجمع ؟ :

ينبغي العودة إلى سنوات بداية الحزب الأولى ، فكما هو معروف كنت واحداً من أبناء جيل السبعينيات الذين تمردوا على حالة الإحباط العامة واليأس الشديد التي انتابت البلاد بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ،، وعبر سلسلة من الانتفاضات والصدامات الدامية وحملات الاعتقال التي استمرت طوال عهد السادات ، تبلورت لدى هذا الجيل الوعي بأهمية وضرورة بناء التنظيم السياسي المستقل لليسار المصري كضرورة حتمية تستوجبها اللحظة ، وتتطلبها عملية التصدي لسياسات التفريط الوطني والتي تهدد المصالح الوطنية والشعبية ، وفي ذورة الصدام بين هذا الجيل وبين الحكم طرح أنور السادات فكرة تشكيل المنابر السياسية ، ومن ضمنها « منبر اليسار » ، الذي تحول فيما بعد إلى « حزب التجمع » .. فبدت الصورة كما لوكان هذا الحزب صنيعة للنظام برز إلى الوجود بقرار منه لاستباق الوضع ، قبل أن تتجمع العوامل الموضوعية اللازمة لبناء حزب مناضل ، حقيقي ، مرتبط بالواقع ، ومعبر عنه .

لقد كنا أكثر راديكالية مما يحتمله حزب التجمع من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن حزب التجمع لم يسع - علي الأقل بالنسبة لي - إلى إجراء أي حوار بغية تقريب الخطوط ، بينه وبين زملائي وبيني ، وظلت القطيعة قائمة .. برغم أنها لم تتحول على الإطلاق إلي حالة عدائية ، لكنها لم ترق أبداً إلى مستوى النضال المشترك ، بل ظلت عند مستوى ما يمكن تسميته بالود البارد أو الصداقة المتحفظة.

في فترة لاحقة تغلب انطباعٌ لدى العديدين من اليساريين المصريين ، بغلبة نفوذ تيار بعينه داخل حزب التجمع ، الأمر الذي ساعد في اتساع الفجوة بين الحزب وكل من هم خارج هذا التيار ، ومرة أخرى لم تسع قيادة الحزب إلى نفي هذا التصور ، وتركت قطاعات كبيرة من خيرة مناضلي اليسار المصري خارج صفوفه دون أن تبذل

أى جهد لشدهم داخله ، فى ذات الوقت الذى عجز هذا التيار عن تعويض انفضاض هذه القطاعات عن الحزب ، الأمر الذى دفع الحزب إلى موقع لا يحسد عليه .

وحينما تطورت الرؤية الشخصية لدور الحزب ، وبات لدى اقتناع بإمكانية التعامل معه كحزب وطنى تقدمى ، بشكل عام ، والتعاون معه فى النقاط المشتركة، كالدفاع عن الديمقراطية والمصالح الوطنية ، كان الخط السياسى للحزب يميل أكثر فأكثر نحو الاعتدال ، وباتجاه مهادنة النظام ، تحت شعار أن المعركة ضد «المتأسلمين » لها الأولوية ، مع أن فساد الحكم السبب الأساسى لظاهرة الإرهاب ، وغياب الديموقراطية الحقيقية هي المناخ الطبيعى لتطورها ، وهكذا .. فمن جديد باعد الخط السياسى للحزب بينه وبين الكثيرين وأنا منهم .

غير أن هذا الرأى ، لا يلغى بحال من الأحوال ، التقدير الكبير الذى أكنه - شخصيًا - لدور ومواقف عدد من قيادى حزب التجمع ، ولا يسيئ إلى دوره الوطنى العام ، وإلى مواقفه المنتصرة للوطن ولحرياته .

* * * * *

أما بالنسبة لقضية « وحدة اليسار » :

فهى قضية حاسمة ومصيرية ، من وجهة نظرى ، وإنجازها يمثل التحدى الرئيسى لليساريين المصريين ، وعجزهم الشديد المتبدى الآن ، عن لعب أى دور ذو قيمة فى تقرير مصير البلاد ، يعود فى جانب أساسى من جوانبه إلى عجز اليسار المصرى عن إنجاز وحدته المرجوة .

لكن هذه الوحدة - حتى لا تصبح وهمًا كالوحدة العربية من تعدد مشاريعها الفاشلة - تتطلب تحقق عدة شروط وضوابط موضوعية ، أهمها :

١- الإقرار بتعدد المواقع والقوى والاتجاهات والاجتهادات اليسارية ، وبحق الاختلاف والتمايز بينها ، بدون ادعاءات ثبت فشلها ، أو مزاعم لم تصمد أو يثبت جدواها .

٢- إقرار « الحوار الديموقراطى » كنهج وحيد لتوحيد اليسار المصرى ، بما يعنيه من حرية التعبير ، والمشاركة فى القرار ، والتمثيل فى جميع مستويات العمل، وتحديد الاستراتيجيات والتكتيكات والبرامج ... إلخ .

٣- الشفافية الكاملة التى تتيح الوصول لأفضل النتائج ، واختيار أكثر الأساليب فعالية ، وإقرار أقوى الاشكال لبناء هذه الوحدة .

ويمكن لحزب التجمع أن يلعب دور مهم فى تحقيق هذه الوحدة ، شرط أن ينطلق من اعتراف موضوعى بأن هناك آخرين ، يساريين حقًا وصدقًا ، خارجه، وأنه حزب يسارى ، أو تقدمى مصرى ، وليس الحزب اليسارى والتقدمى الأوحد فيها ، وأن مصلحة الوطن ، تقتضى تحقيق هذه الوحدة ، لا المصادرة عليها ، وإذا بدأ الحزب الدعوة للحوار حول وحدة اليسار المصرى ، مقتنعًا بهذه المنطلقات ، فسيكون إنجازًا حقيقيًا يحسب له ، ومكرمة فعلية لا ينكرها إلا جاحد .

خطاب مفتوح إلى ابناء جيلنا :

حزب جديد من اجل الوطن والشعب

على الرغم من أن بلادنا ، تمر بظروف عصيبة ، ليست بحاجة لتفصيل ، تستوجب تجميع كل الطاقات فى مواجهتها ، وتهيئة كافة الشروط لتجاوزها ، يشير الواقع الراهن إلى أن ما يحدث هو أبعد ما يكون عن هذا الأمر المنطقى ، بل أن العكس تمامًا هو الصحيح . فالعديد من الكفاءات الحقيقية تُستبعد ، وقطاعات باكملها من الموهوبين المخلصين لا تجد لنفسها دوراً ولا لأقدامها موقعًا ، وفى الوقت الذى يسيطر فيه عناصر من « جيل » نما وعيه فى النصف الأول من هذا القرن على مقاليد الوطن ، ونحن على أعتاب قرن جديد ، يتم محاصرة قدرات « جيل » بأكمله ، كانت الضرورة الحيوية تفترض أن يكون الآن فى مواقع القيادة وصنع القرار، على كافة المستويات ، ويحال بينه وبين فرص التطور الطبيعى التى تؤهله للمشاركة فى عملية البناء ، ويتم بصورة متنامية عزله ، وتقليص مجالات حركته ، واستبعاده استعداداً شبه كلى عن دائرة الفعل ، الأمر الذى يهدد لا مستقبل هذا الجيل وحسب ، وإنما مستقبل الوطن ذاته ، الذى لن يجد من يحمل عبء المسئولية حينما تكون ثمة حاجة لذلك ، ولن تتوافر له الطاقات الكفيلة بشغل المواقع الشاغرة حينما يتطلب الوضع .

جيل جديد بأى معنى ؟! :

وحينما نطرح تعبير « الجيل » هنا ، فنحن لا نقصد مفهوم « الجيل » بمحتواه العمرى أو السنى المتعارف عليه فحسب ، إن مفهومنا لهذا التعبير يتجاوز ذلك المعنى الضيق ويمتد إلى مفهوم أوسع وأشمل ، يضم بين ثناياه أصحاب التجربة الإدراكية والخبرة العملية والمفاهيم المعرفية المتقاربة ، والناتجة فى جانب منها – من معايشة ظروف تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية متشابهة ، لكنه يتسع

أيضًا لكى يحتضن عناصر من فئات عمرية أكبر أو أصغر ، ما دامت تتميز بوعى مفهومى يقربها من خبرات ذلك « الجيل » المعنى بالتحليل ، وكمثال أكثر تحديداً ، فكون مناضلين مرموقين ، تعرفهما الحركة السياسية المصرية بكل فصائلها ، مثل الأستاذين « أحمد نبيل الهلالى » و « عبد الغفار شكر » ، أكبر سنًا من جيلنا ، فهذا لا يعنى انفصالهما عن آلامه ومشاعره وطموحاته وأفكاره ، بل ربما يكونان أقرب إليه من آخرين ينتمون لصفوفه عمريًا ، لكنهم محافظين فكريًا ، متجمدين ذهنيًا ... وهذا الأمر - من باب أولى - ينطبق على الشباب الأحدث سنًا والأقرب تجربة وخبرة ، وفى هذا الإطار فنحن ، كما ذكرت ورقة الدعوة للحوار بين «التيارات الفكرية فى جيل السبعينيات » ، « لا ندعو هنا إلى مواجهة نراها حتمية أو قدرية بين الأجيال ولا ندعو إلى قطيعة نراها ضرورية بين جيلى الأربعينيات والسبعينيات، ولكننا ندعو فحسب إلى علاقة واضحة بين الجيلين ، علاقة مؤسسة على تعرف واضح واعتراف بين الجيلين ، اعتراف بدور كل منهما ، إمكاناته ، وبجدارة ما أنجزه » .

إن ما يدعونا إلى طرح هذه القضية ، أصلاً ، هو ادراكنا لأخطر ما فى ظاهرة استبعاد جيلنا من حقه فى الفعل الإيجابى لخير الوطن ، وهو امتدادها إلى كل نواحى ومجالات النشاط والحياة فى بلادنا : بدءًا من الثقافة وامتداداً إلى الرياضة والفنون، وغيرها .. ناهيك عن مجال السياسة ، الذى بلغت فيه هذه الظاهرة حداً تجاوز كل معقول .. وليس المقصود بهذا الوضع السلطة الحاكمة فحسب ، وإنما أيضًا كل فصائل المعارضة السياسية المصرية الرسمية ، بدون استثناء واحد : فالمتوسط العام لسن قادة الأحزاب السياسية المصرية ، حاكمة ومحكومة ، تجاوز السبعين

عامًا، وبعضها يقف على أعتاب التسعين ! ، فيما يغيب غيابًا كليًا الصف الثانى والثالث من الكوادر السياسية التي يفترض فيها أن تكن مهيأة لاحتلال مواقع القيادة الأساسية ، عبر عملية مدروسة للتدريب والتأهيل والتجهيز ، تمهيداً لقيامها بدورها المرتقب .

ويمكن أن ندرك حجم هذه الظاهرة ذات الأبعاد الكارثية ، إذا ما قارنا حال مصر، مثلاً ، بحال العدو والمنافس الرئيسى فى المنطقة : إسرائيل ، ففى الوقت الذى يسيطر الجيل المولود فى أوائل هذا القرن على مقاليد الأمور فى بلادنا ، يقود الدولة الصهيونية رئيس للوزراء في السابعة والأربعين من عمره ، ويضم مجلس الوزراء أغلبية واضحة من الشباب المسيسُ ، المُعَدُّ عبر أساليب التنشئة السياسية المدروسة فى الأحزاب والهيئات التنظيمية الأخرى ، وتتم عملية تبديل مستمرة للقيادات العسكرية ، بحيث يمكن ضمان دفع دماء جديدة فى شرايين المشروع الصهيونى وتجديد مستمر للعقليات والأفكار المسِّيرة لشئون الدولة ، دونما احتكار لجيل «الآباء المؤسسين » تحت زعم استحقاق تاريخى ، أو احتكار للمعرفة ، أو استئثار بالخبرة .. بل ما نراه هو النقيض لذلك ، فالآليات المُنَظِمة تسمح ، بل وتفرض ، بروز جيل وراء جيل من القادة والمسئولين ، يتحمل أبعاد قيادة الدولة ، وهى أيضًا تضمن عدم انفراد نفر من المواطنين بتقرير مصيرها لسنوات طويلة ، الأمر الذى يؤدى إلى الجمود والتكلس فالموت المُحتم ؛ مثلما يُخشى أن يحدث فى بلادنا!.

ولعلنا تابعنا جميعًا منذ فترة وجيزة وقائع الانتخابات البريطانية الأخيرة التى هُزم فيها حزب المحافظين هزيمة شنعاء ، وصعد إلى قمة السلطة فى الدولة تونى

بلير، زعيم حزب العمال ، رئيس الوزراء الجديد لبريطانيا ، وهو أيضًا شاب فى منتصف الأربعينيات ، وضم إلي صفوف هيئته القيادية مجموعة كبيرة من رجال ونساء الحزب المجايلين له ، والمشابهين له فى الخبرة وأصحاب التجربة المتقاربة .

ويمكننا الاستمرار فى سرد عشرات من النماذج والأمثلة الشبيهة ، لعل أبرزها أن واحدة من أكبر وأقوى دول العالم ، إن لم تكن أكبرها وأقواها على الإطلاق ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، يقودها رئيس ونائب له ، لا تتجاوز أعمارهما حقبة الأربعينيات من العمر إلا بعام أو أقل .. فى حين أن انهيار دولة عظمى كالاتحاد السوفيتى ، كان من ضمن أسبابه دون شك ، تجمد القيادات البيروقراطية الشائخة وترهلها وانحطاط فكرها ، بعد عشرات السنين من التواجد فى قمة السلطة دون منافس أو شريك .

إن الأمم الحية تبقى حية بمقدار ما تجدد الدماء فى عروقها ، وبمقدار ما تدفع جموع الشباب إلى قمة المسئولية فيها .

وفى مصر ، يقف الآن على مفارق طرق خطرة « الجيل » الذى وُلد بعد منتصف القرن وخاض غمار العمل الوطنى فى مقتبل السبعينيات .. وهو « جيل » تميز - فى فترة من عمره - بحيوية سياسية رفيعة ، واكتسب خبرات ضخمة فى العمل السياسى ، قبل أن تلقى الدولة بثقلها فى مواجهته ، وقبل أن تتحالف آلة القمع الرهيبة للحكم مع الأخطاء والخطايا الداخلية الفادحة ، فتقلص من نفوذه ، وتضعف من تأثيره على النحو الذى نراه الآن .

* * * * *

والمؤكد أن هذا « الجيل » لم يجد نفسه فى أى من الأحزاب القائمة ، فالبعض منه يموت فيزيولوچياً والبعض الآخر يموت معنوياً ، والبعض يهاجر وهو داخل وطنه ، والبعض يهاجر خارجاً عنه ؛ والذين صمدوا منه في مواجهة الطوفان ، فظلوا قابضين على الجمر ، لم يكن بمقدورهم أن يؤثروا تأثيراً حقيقياً ملحوظاً فى مجريات الأمور ، لأنهم ظلوا أفراداً محدودى القدرة ، مهما حسنُت النوايا ، أو صدق الجهد .

* * * * *

إن الحل الوحيد الذى ينقذ هذا « الجيل » من التلاشى ، والتبدد ، وينقذ معه الوطن من محنته ، هو أن يسعى النشطون من أبنائه لخوض معترك الصراع الديمقراطى المفتوح فى بلادنا ، عبر آلياته العلنية القائمة ، من أجل تحسينها وتوسيع مداها ، وتعميق حدودها ؛ ومن أجل انتزاع المكانة الحقيقية التى يستحقها ، والتى تؤهله لبلوغها قدراته الفعلية وخبراته الموضوعية .

* * * * *

مطلوب لهذا « الجيل » أداة سياسية ، من صنعه ، تعبر عن أفكاره ، وتضم بين حناياها عناصره المتناثرة على امتداد الوادى ، تعيد بث الروح فى أعضاء جسده الذى بدأ يدب فيه الوهن ، فتنقذه وتنقذ البلاد من المصير المحتوم فيما لو استمر الوضع على ما هو عليه الآن ، وتشكل آليه جديدة لتعبئة جهوده وتنظيم طاقاته ، ودفعها علي الطريق الصحيح لخدمة الوطن والشعب .

* * * * *

لقد تأخر هذا «الجيل » لأسباب كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها وهمى ، عن

النزول إلي ساحة العمل الوطني الديوقراطي ، العام ، فترك الساحة لمن لا أهلية لهم ولا استحقاق للنطق باسمه ، ولادعاء تمثيله ، وللمتاجرة بتاريخه ... وقد آن الأوان ليقول هذا « الجيل » كلمته ، لكي ينطق عن نفسه ، ويعبر عن ذاته بدون وسيط أو كفيل ! .

إن هذا « الجيل » مطالبٌ بأن يبدأ حواراً مفتوحًا واسع المدى مُمثلاً لكل اتجاهاته وأفكاره ، دون حجر أو وصاية أو مصادرة ، لكي يدرس أفضل السبل ، وأأمن الطرق ، لبناء هذه الإرادة السياسية ، والإدارة الحركية ، بالشكل الأمثل ، وبصورة ديموقراطية حقيقية وعلنية ، تكفل إنجاز هذه المهمة بأكفأ الأشكال وأكثرها صلاحية.

ولا تعني هذه الدعوة ،بأي صورة من الصور ، أن هذه المهمة هي مهمة سهلة ، يسيرة المنال ، سريعة التحقق ، بل على العكس ، فنحن ندرك أهميتها ، والحاجة للتأني في انجازها ، حتى لا تُجهض مثلما أُجهضت أفكار عظيمة أخرى تحت وطأة التسرع والاستسهال .. لكن المهم أن نبدأ ، وأن نتحرك ، وألا ندع الفرصة تفلت من بين أيدينا .

نحن نطالب بحقنا الطبيعي في المساهمة الديموقراطية في بناء وطننا ، ولن تستطيع قوة أن تحول بيننا وبين هذا الهدف .. المهم أن تنطلق المركبة باتجاه هدفها السامي .

يسار [جديد] ومهمات قديمة

حزب جديد ديموقراطي ومفتوح

طريق ثالث بديل عن الفساد والإرهاب (*)

نحن نريد لهذا الجيل ، ولجماع خبرته التاريخة الكبيرة ألا تتبدد ، وألا تنقرض وتندثر مثلما اندثرت الديناصورات في العهود البائدة ، لعجزها عن التكيف ، ولعدم قدرتها على التواؤم مع تغيرات البيئة المحيطة ، المتبدلة .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية ننادى بأن يكون لنا حزبنا الديمقراطى العلنى المفتوح .... وهذه حيثياتنا .

---

*) هذا المقال ، بتصرف ثمرة حوار متصل مع العديد من الزملاء ، ولذا وجب التنويه .

يستطيع أي مراقب مدقق أن يرصد ملامح الأزمة المستحكمة في الشارع المصرى الآن ؛ فهناك استقطاب حاد بين قطبين رئيسيين : السلطة من جهة والإرهاب من جهة أخرى ، وهو صراع دام يستنفد طاقات الوطن ، بلا نهاية ولا إمكانية لحسم ، ذلك أنه نوع من الصراعات الصفرية التى تتطلب شروط موضوعية لوضع حد لها ، غير متوافرة الآن ، وأهمها تحويله من صراع بالرصاص إلى صراع بالسياسة ، ومن صراع بين فريقين إلى صراع واسع يشترك فيه الوطن كله ، ومن صراع أمنى فقط إلي صراع فكرى بالأساس .. والحق أن السلطة غير راغبة ولا قادرة علي القيام بهذه المهمة العسيرة ، وهي - لأسباب عديدة - تكتفى بإبقاء هذا الصراع عند حدود المواجهة الأمنية التي تنهيه ظاهريًا ، بصورة مؤقتة ، وتُبقى النار تحت الرماد حتى إشعار آخر ، وتؤجل الحل الفعلى إلا ما لا نهاية .

وعلى مستوى آخر ، فقد أحدث هذا الصراع استقطابًا حاداً آخر داخل قوى (المعارضة) الرسمية السياسية ، فبعضها انحاز إلى السلطة تحت ادعاء أن المعركة مع الإرهاب لها الأولوية على ما عداها من معارك ، والآخر انحاز إلى الإرهاب تحت زعم أن المعركة ضد الفساد هي الأجدر بالخوض ، وفيما بين الموقفين ضاع الموقف السليم وضاعت معه أحلام الشعب فى الحرية والرخاء والتقدم والاستقرار .

هل من طريق ثالث ؟! :

وإذا كانت حركة التقدميين المصريين قد تأثرت بهذا الاستقطاب نوعًا ما ، حيث وجدنا حزب التجمع الذى يُفترض فيه أن يمثل قطاعًا منهم ، قد أعلن انحيازه الكلى للخط الأول ، إلا أن الأغلبية العظمى من عناصر هذه الحركة ، قد ظلت بعيدة إلى حد كبير عن مجريات الصراع ، حيث لم تجد لنفسها موقعًا أو تجاوبًا مع أي من الموقعين .. وهذا الموقف السلبى - فى واقع الأمر - موقف أجبرت عليه قطاعات

كبيرة من التقدميين المصريين وجدت البلاد مدفوعة إلى صراع لا ناقة لها فيه ولا جمل ، بل هو صراع بين طرفين فاقدين الأهلية لقيادة الوطن وتوجيه خطاه ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين .. فالفساد والإرهاب وجهين لعملة واحدة حتى لو تعمد التناقض الجزئي بينهما بالدم ، في بعض المراحل .

وقد عُلقت ملامح كثيرة للممارسة الديمقراطية الحقيقية على شماعة « محاربة الإرهاب » : فقوانين الطوارئ جاهزة لمعاقبة الخارجين عن الصف ، وتبادل السلطات (وهو جوهر الممارسة الديموقراطية) أمر معلق إلى أجل غير مسمى ، ولا يتبقى من الديموقراطية إلا بعضاً من القشور التي لا تقدم ولا تؤخر ، يجسدها عدد هزيل من الأحزاب الشكلية التى لا تربطها بالجماهير رابطة ، وبعض صحف للمعارضة محاصرة ومعزولة .

وهناك ، من جهة أخرى ، إدراك طاغ لدى قطاعات كبيرة من أبناء الشعب بأن انتشار مظاهر الفساد والتسيب واستغلال النفوذ وتبديد الثروة الاقتصادية للوطن تحت اسم « الخصخصة » .. وغيرها من المظاهر ، لم تعد تمثل مجرد عارض مؤقت فى بنية المجتمع ، وإنما امتدت وتعمقت لكى تصبح أعراض دائمة لأزمة هيكلية ، تنخر فى جسد النظام والسلطة .. بل والوطن أيضاً .

فساد مؤسسى ، وتشوهات بنيوية :

فالفساد ، لم يعد ظاهرة عارضة فى بنية الدولة ، وهو - باعتباره نتاجاً مباشراً لسياسات ذات طابع اجتماعي واقتصادى ، أصبح المصدر الرئيسى لإحداث التراكم الرأسمالى للطبقة الحاكمة ، وتخطى - منذ زمن بعيد - كونه مجرد جنوح شخصى لمجموعة أفراد ، أو ملمح هامشى من ملامح النشاط الإنسانى فى أى مجتمع .. وقد وفرت آليات القمع (الديموقراطى) المتنامية ، الشروط الموضوعية لاستشراء

هذه الظاهرة وتعمقها فى هيكلية النظام الحاكم حتى أصبح حقيقة مسلم بها ، يتكشف كل يوم طرف ضئيل من علاماتها ، وتعانى الجماهير الكادحة ، على كافة مستوياتها ، من آثاره فى كافة مناحى الحياة ، من جراء نهب ثروة الأمة بانتظام وتهريبها إلى خارج البلاد ، وإذا رجعنا إلى تقديرات الخبراء لوجدنا حقائق مذهلة ، فتقرير مجلة الأيكونومست البريطانية (العدد السنوى عام ١٩٩١) يفيد أن رقم الأموال المصرية التي تم تهريبها إلى الخارج بلغ حوالى ١٢٠ مليار دولار (مجلة روز اليوسف - ١٩٩٣/١/٢٥) ، فى حين يقدرها الدكتور / رمزى زكى ، فى حدها الأقصى ، بنحو ١٥٠ ملياراً ، وهو نفس الرقم الذى يشير إليه التقرير الاقتصادى الذى أصدرته السفارة الأمريكية بالقاهرة (جريدة المصرى - ١٩٩٢/١٠/٤) ، حيث يتضمن ما ذكرته النشرات البنكية السويسرية من أن ودائع المصريين تُعد من أكبر ودائع مواطنى العالم الثالث فى البنوك السويسرية ، وأنها فى تزايد مستمر ... وأن المسحوبات منها ضعيفة للغاية !» (المصدر نفسه).

ويبلغ الفساد الهيكلى فى مصر قمماً غير مسبوقة ، تجعله - بالفعل - يمثل مواقعاً حصينة عصية على الاقتحام - إلاَّ ضمن شروط خاصة ، فتذكر مجلة المصور (١٩٩٧/٤/٢٥ - العدد ٣٧٨٥) تحت عنوان « قروض الكبار وقروض الصغار» ، أن « الكبار » ينالون حصة الأسد من قروض البنوك ، التي قُدمت لهم على طبق من فضة ، بضمان « السمعة ! » ، وهو ما يمثل نحو ٧٥٪ من إجمالى القروض والسلفيات الممنوحة ، بدون ضمانات عينية أو حقيقية ملموسة (٧٤٫٦٪ مليار جنيه من إجمالى ٩٩٫١ مليار جنيه ، فى يونيو ١٩٩٦) ، وقد توقف ربعها تقريباً عن سداد الأقساط المستحقة سواء لأسباب التعثر والإفلاس أو لسوق الدلال على البنوك !» ، (المصدر نفسه) .

وفى هذا السياق فلقد توجه د. إبراهيم على صالح ، بالطلب إلى رئيس الوزراء

- دون مجيب طبعًا - بالتحقيق في فحوى خبر نشرته جريدة الأهالي تحت عنوان «سر الأسبوع » ، ومضمونه أن وزيراً «مخضرمًا» ، « تقدر ثروته بحوالي ألف مليون دولار .. يعني ٣٤٠٠ مليون جنيه فقط !» مشيراً إلى أن البعض الذين « يعدون بالمئات يملكون ويودعون في المصارف الأجنبية ١٢٠ مليار دولار ، وهو ما يعادل أربعة أضعاف ديون مصر الخارجية ، بل ومما يثير الحسرة والمرارة أن عدداً آخر من « أبناء الطبقة الجديدة » هذه تصاعدت قروضها الداخلية للدولة حتى بلغت ١٢٦ مليار جنيه مصرى !» ، (مجلة روز اليوسف ، ١٨/١١/١٩٩٦- العدد ٣٥٧١).

ثم كان آخر الأعاجيب التي تترى - دون أن تثير أدنى صدى لدى الطبقة الحاكمة الفاجرة في مصر - هو ما نشرته جريد الدستور (١٩٩٧/٤/٢٣) ، من أن تقريراً (متضخمًا) تسلمه د. كمال الجنزوري ، رئيس مجلس الوزراء ، من جهة سيادية بالتعاون مع إدارة التهرب الضريبي ، يكشف المستور بالنسبة لممتلكات وثروات أكثر من ٦٠ وزيراً ، ومحافظًا ومسئولاً في الدولة وعائلاتهم . وقالت الجريدة في تقريرها الذي احتل صدر صفحتها الأولى ، أن إجمالي ثروات هذه المجموعة من المسئولين - على حد رصد التقرير الرقابي - قد بلغت ١١٧ مليار جنيه مصرى ؛ جمعوها وهم في مقاعد المسئولية ، بالطبع من عرق الشعب ودمه ، ومن اعتصار ثروات الوطن ومقدراته .

ربع المصريين تحت حد الفقر !:

وفي مثل هذه الوضعية التي تتيح تفريغ الوطن من ثرواته ، ونهب حاصل جهد الملايين من أبنائه على مر السنين ، يصبح من الطبيعي أن تتدهور الأوضاع المعيشية لأغلبية المصريين إلى الحد الذي يشير إليه تقرير للبنك الدولي ، إذ أوضح أن عدد الفقراء يبلغ ٢٥٪ تقريبًا من عددالسكان في مصر ، وأن محافظات الصعيد أكثر

المناطق فقراً (ولذا فمن الطبيعى للغاية أن يصبح بؤرة للإرهاب والعنف) ، ويليها محافظات القليوبية والمنوفية والغربية والدلتا .

ويعتبر التقرير أن الفقراء هم الذين تقل دخولهم عن ٥٠٠ جنيه فى العام ، ويشمل هذا التحديد فئات العمال فى بعض الصناعات والخدمات ، وعدداً من موظفى الحكومة ، وذوى المهارات المنخفضة فى المهن الحرة ، وأصحاب الأنشطة الهامشية ، أما فى الريف فيعرِّف الفقراء بأنهم من يمتلكون أرضًا صغيرة ، وكذلك عمال الزراعة ، بينما يرصد التقرير أن أكثر الفئات تضرراً هم كبار السن والنساء والأطفال (جريدة المصرى - ٤/١٠/١٩٩٢) .

وفى دراسة غير منشورة للباحث « مجدى صبحى » ، بعنوان « الأزمة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر » ، يشير إلى أن نحو ٢٠ - ٢٥٪ من عدد السكان يعيشون « دون حد الفقر » ، وهو الذى حدده البنك الدولى بـ ٢٧٥ دولار فى السنة (بأسعار الدولار لعام ١٩٩٠) ، أى حوالى ٧٥ جنيه للفرد شهريًا ، ويرصد الباحث أن بعض الخبراء يعتقدون أن هذه النسبة متفائلة (إبراهيم شحاته - ١٩٩٣) ، وأن « الواقع هو أكثر سوءاً من ذلك ! ».

معدلات مذهلة للبطالة فى مصر :

وكنتاج مباشر لسياسات الإفقار المستمرة التى طالت الغالبية العظمى من جماهير الشعب المصرى ، ولصالح طبقة محدودة العدد فاحشة الغنى ، ازدادت معدلات البطالة ، وتفاقمت أحوال وأعداد جيش العاطلين فى البلاد ، فى العقود الأخيرة ، وتلاحظ الأستاذة / أمينة شفيق (مجلة اليسار ، العدد الثالث - مايو ١٩٩٠)، استناداً إلى إحصاءات رسمية معلنة ، أن ٧٠٪ من عدد المتعطلين هم من حملة الشهادات الجامعية والمتوسطة ، وأن ٤٦٪ من هذه النسبة حملة شهادات

جامعية بينما ٥٤٪ منهم ، من حاملى الشهادات المتوسطة ، وتورد فى دراستها الأرقام التالية ، ذات الدلالة :

- ٤٥٪ من المتعطلين ، من حاملى الشهادات الجامعية ، هم من خريجى كلية الآداب ، و ٣٠٪ من خريجى كليات العلوم والتربية ، و ٢٠٪ من خريجى كليات التجارة ، بينما تضم صفوف البطالة ٢٠ ألف مهندس و ٣٥ ألف طبيب ، وإذا أضفنا البطالة غير المتعلمة ، وغير المرصودة ، والتى تنتمى للفئات الدنيا ، الهامشية ، فى المجتمع ، لتجاوزت هذه الأرقام المعلنة بمراحل ، وربما ضاعفت من أعدادها .. وتبلغ المسألة ذروتها إذا ما قورنت بمثيلتها عام ١٩٦٠ ، والتي لم تتعد آنذاك نسبة الـ (٢٪) فقط لا غير ! .

ومنذ سنة إعداد الإحصاءات التى استندت إليها الاستاذة / أمينة شفيق (أواخر الثمانينات) ، وحتى الآن ، إزدادت جحافل الشباب الملقى إلي الشارع لكى يتضاعف جيش البطالة في بلادنا ، خاصة وأن كل عام يشهد تخرج نحو نصف مليون طالب من الجامعات ومراحل التعليم الصناعية والتجارية والزراعية المتوسطة ، يضاف إليها مئات الآلاف المفترض انضمامهم لجموع العاطلين من جراء تنفيذ مخططات خصخصة شركات القطاع العام التى كانت مملوكة للدولة ، دون وضع خطة فعلية للاستفادة من الطاقات المستغنى عنها ، أو التفكير فى إعادة تأهليها لمواجهة احتمالات المستقبل ومطالب الوجود .

وتشير المؤسسات الدولية إلى أن بعض التقارير الحكومية تقدر نسبة البطالة فى مصر بحوالى ٢٠٪ (مجدى صبحى - مصدر سابق) والظاهرة البارزة مؤخراً أن المتعطلين لم يعودوا فقط من الشرائح المتدنية ، فى السلم الاجتماعى ، وإنما طال غول البطالة أبناء الطبقات الوسطى المصرية أيضًا ، التى كانت فى السابق بمنأى عن غوائل الزمن ، وأصبحت ، بفعل سياسات خاطئة متراكمة ، جزءاً لا يتجزء من أزمة

المجتمع الشاملة التى تغطى كل قطاعات الحياة فى البلاد .

وتقترب هذه المؤشرات من استنتاجات تقرير منشور للسفارة الأمريكية بالقاهرة ، يكشف عن أن هناك ما بين ٢٠ - ٣٠ بالمائة من الشعب المصرى يعيشون تحت حد الفقر ، إضافة إلى وجود ٢٠٪ من القوى العاملة تعانى من البطالة ، وأغلبهم من خريجى الجامعات والمدارس المتوسطة . (جريدة الأهالى - ١٩٩٦/١٢/٢٥).

سكان تحت الأرض وفى القبور :

وإذا كان هناك ثمة حاجة لتبين وجه آخر من أوجه التدهور الشامل للأوضاع فى البلاد ، فيكفينا أن نرصد حال الإسكان فى مصر ، فأكثر الأرقام تفاؤلاً (!) ، تشير إلى أن « ١٠,٥ مليون مواطن مصرى يسكنون مساكن جوازيه وعشوائية (*)، (سكان تحت الأرض وفى القبور ، د. نادية النمر الأستاذ بجامعة بنها - جريدة الأهالى - ١٩٩٤/٤/١٣) .

فيما يشير « د. أبو زيد راجح » ، رئيس اتحاد المعماريين المصريين ، إلى أن الدولة قد استمرت فى إهمال اسكان « محدودى الدخل » منذ عام ١٩٦١ ، عقب إنشاء وزارة الإسكان ، وحتى الآن ، « رغم تعاقب ٢٧ وزيراً على الوزارة ، حيث قصر الوزارة اهتمامها على الإسكان المتوسط والفاخر » . (نفس المرجع) .

وليست مظاهر الأزمة الشاملة فى المجتمع المصرى وقفًا على المجال الاقتصادى الذى تناولنا بعض ملامحه فى السطور السابقة ، وحسب .. إنما يمكن تكرار رصد ملامح هذا الأمر بالنسبة لشتى مواقع الحياة فى بلادنا : فى السياسة والاجتماع وفى الثقافة والتعليم والصحة والفنون ، وفى كل مجال للنشاط الإنسانى يؤثر فى حياة الناس ويمس مستقبل الأجيال القادمة ، وهى كلها - بلا استثناء واحد -

---

(*) وصل عدد العشوائيات فى مصر إلى ١٠٣٤ منطقة ، عدا محافظتى شمال سيناء والوادى الجديد (جريدة الأهالى - ١٩٩٦/١٢/٢٥).

تعكس مناخ الأزمة المستحكمة التى لا تقبل حل شكلى ، أو نصف حل لا يقدم ولا يؤخر .

وإذا نظرنا إلى ما تقدم فى ضوء ما يجرى على ساحة الفلاحين حيث سيتم من جرأء تطبيق القوانين الجديدة تشريد الملايين من الفلاحين وأسرهم ، وعلى ساحة المؤسسات العمالية حيث ستضاعف استكمال خطط خصخصتها من تشريد مئات الألاف من العاملين ، لتأكدنا - بدون أدنى شك - من تعاظم المشكلات التي ستعانيها الجماهير المصرية فى السنوات القادمة ، ومن احتياجها الماس لقيادة حقيقية جسورة تسهم فى إدارة الصراع بينها ، وبين خصومها .

وإضافة إلى ما تقدم ، تشهد ساحة القضية الوطنية مخاطر متزايدة ، فالتراجعات الاستراتيجية التى تتم على صعيد العلاقات مع العدو الصهيونى ، والتنازلات المستمرة عن الحقوق المصرية والعربية ، والانتصارات الاستراتيجية التى يحققها الوجود الصهيونى فى بلادنا ومنطقتنا ، وعمليات الإلحاق القسرى لوطننا بعجلة النظام الرأسمالى العالمى ، برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، بما يصحبها من قهر وتسلط وتدمير منظم لطاقات البلاد . . كل هذه وغيرها من العلامات ، تشير بوضوح إلي أن مصر تحيا مناخ أزمة فعلية علي كافة الأصعدة ، وهذه الأزمة تعكس نفسها - بوضوح - على هيئة مأساة طاحنة يرضخ تحت وطأتها المواطن ، ويشعر بها الكافة دون حاجة لمزيد من الإفاضة .

وأمام حالة الشلل والعجز التى تقفها أحزاب المعارضة الرسمية الشكلية ، والمنقطعة الصلة بواقعها وبمصالح الجماهير ، والعاجزة عن التصدى للنخبة الحاكمة سواء فى انفرادها بالقرار السياسى ، أو فى توجهاتها الاقتصادية والاجتماعية الأنانية ، الموجهة لخدمة قطاع محدد من المجتمع على حساب مصالح الأغلبية التى تتعرض للانهيار الشامل ، يتوجب على كافة الوطنيين والتقدميين المصريين عامة ،

وعلى أبناء جيلنا بوجه خاص ألا يقفوا مكتوفى الأيدى ، وأن يبادروا لمواجهة ما يتعرض له الوطن من أخطار وما يحيطه من تحديات .

لكن النجاح فى هذه المهمة الصعبة ، يفترض التفكير فى إعادة بناء الحركة التقدمية المصرية من جديد ، فى مسار حقيقى ثالث لا ينحاز إلى السلطة بمفاسدها ، ولا إلى الإرهاب بمخاطره .. ويشق طريقًا ثالثًا يتبنى فيه مصالح الوطن وأبنائه بصورة قاطعة .

وفى مقابل هذه الفكرة يرى البعض إمكانية تجديد الحركة التقدمية المصرية من داخلها ، بتنشيط مؤسساتها الحزبية العلنية وتفعيل دورها ، وتحريك مراكزها الراكدة ، لكن فى الحقيقة هذه الفكرة ليست جديدة ، وقد استنفذت نفسها تمامًا ، وأصبحت غير قابلة للتحقق ، فالداء عضال ، والمرض مستحكم ، وقد مُنحت هذه الأحزاب فرصة استمرت على امتداد أكثر من عشرين عامًا ، دون أن تتقدم خطوة للأمام ، بل على العكس أهدرت هذه الإمكانية ، وأهدرت معها طاقات عديدة للتقدميين المصريين ، ودمرت احتمالات كبيرة لتطوير دورهم فى المجتمع .

إن أبلغ تعبير لضرورة البناء الجديد للحركة التقدمية المصرية هو حالة العزلة القاتلة التى تعيشها الأحزاب السياسية الرسمية كافة ، وبالذات الأحزاب ذات الصبغة التقدمية منها ، فهذه العزلة دليل واضح على الحاجة لروح جديدة أكثر حيوية وقدرة وديناميكية ، وأصح موقفًا ، تملك القدرة على إدارة الصراع الوطنى والاجتماعى بكفاءة أعلى لمصلحة البلاد ؛ وهناك الآن فرصة نادرة لبناء حزب سياسى ديموقراطى ، علنى ، مفتوح ؛ وقد لا تتكرر هذه الفرصة ثانية ، وقد تتبدد إلى الأبد ، إذا تأخرنا أكثر من ذلك ، فى انتهازها .

إن الصراعات الحادة والتفجرات المدوية التي تشهدها الأحزاب السياسية المصرية كافة ، وبدون استثناء واحد ، (والتى كان آخرها - على سبيل المثال لا الحصر

الحزب الناصرى : أزمة الصراع بين قياداته ومجموعات الشباب التى خرجت منه جحافلاً واتجهت للعمل المستقل بعيداً عن صفوفه ، **حزب الوفد** : أزمة خلافة الزعامة التاريخية للباشا ، **جماعة الإخوان المسلمين** : أزمة حزب الوسط .. إلخ) لأكبر دليل على الحاجة الماسّة لتجديد الحياة السياسية المصرية على كافة المستويات ، وبالأخص فى صفوف المعارضة ، وبالذات داخل المعارضة التقدمية المحتوى .

يسار (جديد) .. ومهمات قديمة :

إن الفوز بحزب ديمقراطى ، علنى ، شرعى ، يمنح الحركة الديموقراطية فوائد جمة إذا أحسنا التعامل معها ، والحاجة الماسة إلى مثل هذه المنظمة النضالية التى لا مجال لتأخير العمل من أجلها ، تفرض علينا جميعًا فتح أوسع حوار بشأنها ؛ وهذا الأمر واجب يقتضى الإسراع بتنفيذه ، قبل أن يفوت الأوان .

ومن وجهة نظرنا ، فإن هذا الحزب المطلوب ينبغى أن يكون حزب الذين لا حزب لهم .. حزب الجيل المُهَمّش ، والكفاءات المهدرة ، والقدرات المُحال بينها وبين خدمة وطنها ، وعضويته يجب أن تتسع لكل وطنى مستعد للعطاء ، على أساس برنامج حد أدنى يسمح بتعدد الآراء ، ذات الخلفية اليسارية داخله ، وفى ظل قيادة ديمقراطية حقيقية ، تسعى لإنجاز كل القضايا المعلقة ، المتراكمة ، التى تجمعت على أجندة مهمات الموجة اليسارية (الجديدة) فى مصر ، والمفترض أنه قد تم انجازها فى مراحل سابقة .

ومن المفهوم ، فى هذا السياق ، أننا لسنا فى خصومة مع أحد ، ولا يجب أن نُجر إلى معارك جانبية ، وعلينا أن نتجنب الخوض فى عمليات هامشية لاستنزاف الطاقة ، وعلينا أن نتمسك بأننا مع كل الذين يقفون فى صف الوطن ضد أعدائه ،

لكننا يجب أن نتميز بحس واضح ، وتحليل صارم ، وقدرة كبيرة على المرونة وذكاء التعامل والطرح .

وفى اعتقادنا أن المحاور الأساسية لحركة هذا الحزب يمكن أن تدور فى هذه النقاط :

١- التحرير الوطنى من السيطرة الإمبريالية ، على المستوى السياسى ، ومن التبعية ، على المستوى الاقتصادى ، وإنشاء نظام اقتصادى فاعل ، يتم فيه استغلال أقصى الطاقات الوطنية ، العامة والخاصة ، لخدمة المجموع الوطنى وتحقيق غاياته ، مع وضع الطبقات الشعبية فى بؤرة الاهتمام ؛ ووضع حد للاستغلال المتعاظم لها . والفساد المستشرى فى البلاد الذى ينهب مصالح الوطن ، ويبدد إمكانياته ، واتخاذ إجراءات ناجحة لإعداد البلاد لدخول القرن الجديد والتفاعل مع معطياته بنجاح .

٢- مواجهة النفوذ الصهيونى والبرامج الإسرائيلية لطمس الهوية الوطنية لشعبنا ، والدفاع عن المحيط الحيوى العرب وعن المصالح الاستراتيجية المصرية .

٣- بناء نظام ديموقراطى حقيقى يعترف بحق التنظيم والتعبير للجميع ويكفل رقابة الشعب ، وتبادل السلطات ، وتطوير تجربة تعددية فعالة فى مصر على أرضية إقرار مبدأ رفض العنف ، وحماية المجتمع المدنى بكل مؤسساته .

٤- تطوير ثقافة وطنية تقدمية ، تحافظ على الهوية الخاصة وتتفاعل مع معطيات العصر ، وتترابط مع مكونات الفكر الإنسانى .

وتحت هذه العناوين العامة ، تندرج منظومة من الموضوعات التفصيلية التى يمكن مناقشتها باستفاضة .

ومن نافل القول أن السعى لبناء هذا الحزب الديموقراطى المفتوح ليس قضية بسيطة أو مطروحة للإنجاز بدون استعداد - بين عشية وضحاها ، إنما هى قضية

استراتيجية تحتاج لمزيد من الدراسة و الإعداد والحوار والتخطيط ، كما أن هذا المسعى ، لايجب أن يصادر على جهود وطنية أخرى ، قائمة أو قادمة ، ومهما كانت حدودها أو صورتها ، وهذا البناء المقترح لا يدّعى احتكار الحقيقة ، ولكنه يرى فى نفسه القدرة على استقطاب قطاع واسع نسبيًا من الكوادر الوسيطة (من أجيال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات) التي فشلت كل الأشكال القائمة فى استقطابها ، والتى لا زالت تجد فى نفسها القدرة على طرح حلول لمشاكل بلادنا ، والمساهمة فى تحمل مسئولياتها .

كذلك فمن الضرورى أن يفكر الذين يتحاورون بشأن هذا البناء الجديد فى مجموعة من القضايا الواجب طرحها للحوار ، مثل :

١- الطريق إلى الشرعية .. احتياجاته ، ومداخلة .

٢- الطريق إلى تغطية المتطلبات المادية المطلوبة .

٣- أدوات إدارة الحوار ، ووسائل الإعلام والتواصل .

٤- الوثائق الأساسية .. وغيرها من القضايا الرئسية .

إننا نقترح - أمام كل ما تقدم من معطيات - أن يفتح الحوار عبر نشرة شهرية ، أو نصف شهرية تلتزم بروح ديموقراطية حقيقية ، يتم خلالها وعبر صفحاتها ، التلاقى وتبادل الأفكار حول هذه القضية الملحة ، بين مجموعات الوطنيين التقدميين المنتشرين فى أنحاء مصر .

ينبغى أن تبدأ الحركة فوراً ، فهناك فى الساحة السياسية فراغ فعلى، سيملؤه آخرون إذا لم يتقدم أصحاب القضية .

مطلوب حزب جديد ، سداه ولحمته من أبناء جيلنا ، بخبرته المتميزة وعطائه المستمر وجماهير شعبنا ، بشرط أن يكون جديد حقًا ، ووطنيًا وديموقراطيًا ومفتوحًا بالفعل .

الملاحق

الملاحق

- من بيانات اللجنة الوطنية العليا للطلاب - ١٩٧٢ .
- بيان الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين .
- حول المهام الملحة للحركة الوطنية للطلاب فى مصر .
- بيان الطلاب المعتصمين بقاعة ناصر - جامعة القاهرة .
- بيان طلاب جامعة الاسكندرية المعتصمون .
- الانتفاضة وشعاراتها .
- فى الفن والانتفاضة .
  - اعاصير مصرية : ابراهيم ناجى
  - مقاطع من الخميس الدامى : زين العابدين فؤاد
  - بكائية يناير : أحمد فؤاد نجم
  - أغنية الكعكعة الحجرية : أمل دنقل
  - تقرير سرى عن الأحداث : محمد سيف
  - الانتفاضة : فؤاد قاعود
- الملحق المصور .

اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

نشــرة طــلابيــة

لم تكن الحركة الطلابية التلقائية لجماهير طلاب جامعتنا حادثًا مفاجئًا عارضًا على أثر البيان الأخير لرئيس الجمهورية ، بل هى تعبير عن الانفجار الجماهيرى فى مواجهة منطق تصفية الحركة السياسية إلا فى المناسبات والمواسم ، وقد انعكس منطق التصفية على الحركة الطلابية فالغيت انتخابات اتحادات الطلاب وأصبحت بالتعيين بين سنوات ٥٢ - ١٩٥٩ ، ثم حين أصبح الانتخاب هو الوسيلة الأساسية لتشكيل الاتحادات وضعت كل القواعد التى تكفل تمزق الاتحاد وشل فاعليته ، بعد أن ابتعدت عنه الجماهير طوال سنوات التعيين لأنه لا يعبر عنها ، ومورست علي الاتحادات الطلابية شتى أنواع الوصاية والإفساد فمن تدخل فى الترشيح فى الكليات واعتراض جهات المباحث خارج الجامعة على المرشحين ، إلى اللوائح المعيقة للحركة ، فوصاية الرائد ، فتمزيق جسد الاتحاد وتحويله إلي جزر منفصلة (لجان) تحيله فى النهاية إلى جمعية خيرية تمارس النشاط الترفيهى ، هذا فى مجال الانتخابات ، أما فى مجال الحياة السياسي فقد فرضت على الجماهير أجهزة إعلامية تحيل الخرائب إلى جنات موعودة ، وتتمتع بخبرة مذهلة فى تزييف الحقائق (كما شاهدنا فى الأيام الأخيرة من عرضها لحركتنا) كما فرض عليهم مثيرات تجذب الانتباه بعيداً عن الأهداف الحقيقية لنضال الانسان المصرى من أجل مجتمع حر متقدم .

وجازي الله « مروان »[1] خيراً فلولاه لما ارتحنا فى الأيام الأخيرة بعض الشئ ، كما واجهت جماهيرنا أيضًا منطق الاستخفاف بعقولها والوعود الخادعة والتسويف والمماطلة ، وتوالت عليها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ أعوام عجاف من الصمود والاستمرار والاستنزاف والنصر والحسم .. إلخ. كما واجه انفصالا بين القول والفعل ولا سيما فيما يتعلق بموقف أمريكا عدونا الأول والذى لا نتوانى أبداً عن تحطيم سمعتها على صفحات جرائدنا بينما مصالحها الاقتصادية تنمو وتزدهر بلا خوف ولا تأميم ولا ضرب .

إن جماهيرنا الواعية والتى أثارتها كل تلك السياسات لا بعض العبارات الغامضة أو المضللة فى بيان قد عرفت فى حركتها الأخيرة طريقها الحقيقى لكى تمارس دورها الحقيقى وهو المشاركة فى صنع القرار ، لا التفرج عليه أحيانًا وعلى التليفزيون أحيانا أخرى .

---

(١) لاعب « الكرة » المشهور .

ومن هنا هبت الجماهير الطلابية من كل كليات الجامعة هبة تعيد للاذهان ذكرى أشرف نضالاتنا الديمقراطية فى عام ١٩٤٦ ، حين قادت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة النضال الشاق ضد الانجليز وأعوانه وقدمت شهداءها فى معارك الجلاء ، حتى لقد أصبح يوم الطلبة العالمى مرتبطاً بأحداث الخميس ٢١ فبراير ٤٦ فى مصر ، والذى يحتفل به العالم أجمع تخليداً لذكرى شهدائنا ما عدا مصر!!! .

ولقد ظهرت اللجنة الوطنية لطلاب جامعة القاهرة ، كمعبر حقيقى عن أمانى الجماهير فى الحركة الحرة ، وكتأكيد لقدراتها الفكرية والتنظيمية ، وأصبحت ظاهرة تنتشر فى كل الجامعات المصرية كمعبر حقيقى عن الطريق الديمقراطى الذى افتقدته الجماهير طويلاً والذى خطت فيه الآن خطواتها الأولى .

أن جماهير الطلاب ترى أن استمرار حركتها الديمقراطية لن يأتي إلا عن طريق امتلاكهم لحرياتهم الحقيقية وإطلاق طاقات التعبير والتنظيم الكامنة داخل صفوف الطلاب الشرفاء ، وعلى هذا ومن خلال أغلى وأعز تجاربها النضالية فى تجربة ١٩٤٦ ، فإنها ترى ضمانا ، للاستمرار :

١- الدعوة إلى إطلاق حرية الطلاب فى اختيار لجان وطنيه فى كل كلية وكل معهد وكل مدرسة ثانوية على امتداد أرض مصر العزيزة .

٢- التأكيد على تصدى الطلاب من خلال لجانهم الوطنية إلى أى محاولات لتصفية هذه الحركة الديمقراطية الشريفة أو محاولة احتوائها .

٣- ان اللجنة الوطنية العليا لجماهير الطلاب تناشد الطلاب المصريين الإسراع بتشكيل لجانهم الوطنية وتنظيم عمل كل لجنة على حدة ضماناً لاستمرار نضالهم .

عن الاعتصام :

إن تجربة الاعتصام التاريخية التي تصنعها الآن جماهير الطلاب الشريفة بقيادة لجنتكم الوطنية هى فى الحقيقة إلى جانب اعتبارها مكسباً ديمقراطياً دائماً ومستمراً للحركة الطلابية وللجماهير التي طال انتظارها للممارسة الديمقراطية ، تؤكد على أن الاعتصام إلى جانب أنه حق ديمقراطى فإنه أيضاً ليس سوى وسيلة شريفة تستخدمها القوى المكبوتة التي استنفدت كل الطرق والأشكال الأخرى للتعبير عن آرائها بحرية .

والحقيقة التى سوف يسجلها التاريخ للحركة الطلابية وللحركة الوطنية فى مصر أن هذا الاعتصام الطلابى قد فوت كل فرصة لاستغلاله ، وأسقط عنه كل المهاترات التي يمكن أن تُحملها له السلطات ، وأننا إذ نعتز بطاقات الشباب المصرى الشريف وقدرته على التنظيم والقيادة نسجل له بالفخر وجوده . ولأول مرة من فترة طويلة ، يفكر ويدعو وينظم ويحافظ على تنظيماته المصرية

الشريفة ، ولا يفوت الحركة الطلابية أن تسجل عجز كل الأشكال المباحثية وأسلوب تفتيت الاعتصام أو احتوائه من قبل وصاية أية أجهزة أو هيئات ، وان وعى الطلاب قد استطاع فى كل مرة اكتشاف خداع هذه المحاولات جميعها.

لقد كان شعار الاعتصام من البداية : الاعتصام من أجل مصر - الاعتصام بالطلاب وحدهم ، إن جماهير الطلاب المصرية الشريفة بقيادة لجنتها الوطنية العليا ولجانها الوطنية ، حين قررت الاعتصام أسلوبا فإن هدفها كان أيضًا واضحًا ولم يكن أبداً هدفها فى أى وقت انهاء حركتها بتحقيق أحد مطالبها فى مقابلة رئيس الجمهورية .

لكنها كانت تقرر وبوعى حقيقى أن أهدافها الحقيقية والأساسية كانت وما زالت هى خلق اللجان الوطنية الشريفة وضمان استمرارها ، وهى أيضًا فى الإجابة على تساؤلات الحركة الطلابية المصرية ووضع مطالبها موضع التنفيذ دون مماطلة .

عاشت الحركة الطلابية على طريق الديمقراطية .

وليتدفق دمنا من أجل النصر .

اللجنة الوطنية العليا لطلاب

جامعة القاهرة

اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

حرصًا على استمرار الحركة الطلابية الوطنية ووحدتها ونموها وتفاديًا لغرض ضربها وعرقلة مسيرتها :

١- يتوجه وفد من الطلبة فى اللجان الوطنية للكليات وجزء من أعضاء اللجنة الوطنية العليا ومجموعة من أعضاء هيئة التدريس إلى مجلس الشعب لعرض مطالبهم وتساؤلاتهم .

٢- يستمر الاعتصام .

٣- إلى أن تنشر الوثيقة الصادرة عن اللجنة الوطنية فى الصحف صباح الغد ٢٤ /١ ، وإلى أن تذاع فى الإذاعة والتليفزيون مساء اليوم مع بيان من أمانة الاتحاد الاشتراكى تعترف فيه بالحركة الوطنية فى الجامعة الممثلة باللجنة الوطنية العليا للطلاب .

٤- توجيه الدعوة لعقد مؤتمر فى ١/٢١ (يوم الطلاب العالمى) تشكل فيه اللجنة الوطنية العليا لجميع الطلاب فى مصر فى قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة .

٥- مع كفالة الحريات الكاملة لكل من ساهم واشترك وأشرف على الاعتصام .

٦- تنشر الجامعة بيانًا تعترف فيه باللجنة الوطنية وشرعيتها وإذا لبيت جميع المطالب الواردة فى الوثيقة السابقة ليوم ٧٢/١/٢٣ انفضت الدورة الأولى لمؤتمر اللجنة الوطنية لطلاب جامعة القاهرة غداً ، على أن تستمر اللجنة فى اجتماعاتها الدورية للتحضير لمؤتمر عموم مصر .

٧- توجيه الدعوة للسيد رئيس الجمهورية لحضورة افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر اللجنة الوطنية فى ٢١ فبراير .

اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

١٩٧٢/١/٢٣

بيان من اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

لقد تدفقت الحركة الطلابية بعد الخطاب الأخير لرئيس الجمهورية ، بعد أن شعرت أنها تشترك مباشرة فى تقرير سياسة أكثر جديدة وصلابة ، وذلك بعد أن استطاعت القوى الامبريالية أن تجرنا معًا فى تشعبات لا نهائية من المساومات السلمية .

إن هذا التحرك التلقائى للطلاب لا يمكن أن يعبر عن نفسه بصورة جيدة إلا فى وجود لجنة وطنية نابعة من هذا التحرك تساعد على تنظيم دوره ، وليكن واضحًا أن هذه اللجنة نابعة من التحرك التلقائى وليست سابقة عليه . وكان الخط الرئيسى فى تكوين اللجنة أن تشمل ممثلى الكليات الذين اختارتهم المؤتمرات الطلابية المنعقدة خلال الأيام القليلة الماضية .

ولئن كان المهمة الاجرائية الأولى للجنة هى تنظيم مؤتمر يوم الخميس بقاعة ناصر فإن اللجنة بحكم تواجدها كتعبير عن التحرك التلقائى خارج المنظمات الرسمية فتعتبر الوحيدة التى يحق لها التعبير عن وجهة نظر الجماهير الطلابية فى تحركها الديمقراطى التلقائى ، وإن كان لا يفوت اللجنة أن تقدر إيجابيًا الموقف المشرف الذى وقفته بعض قيادات اتحاد الطلاب والاتحاد الاشتراكي فى بعض الكليات .

إن المهمة الموضوعية الأولى للجنة هى تبنى عرض الموقف أمام القيادة السياسية ذلك الموقف الذى تجسد فى مجموعة من المطالب المحددة تجمل فيما يلى :

١- إيقاف كل المحاولات لعقد حلول سلمية مع العدو الأميريكي الصهيونى ، وسحب كافة المحاولات السابقة وانتهاج منهج حربى متنامى ضد العدو .

٢- البدء فوراً فى تعبئة جماهيرنا فى شكل جيش شعبى قوامه فرق الطلاب والعمال والفلاحين لمواجهة احتمالات الحرب الطويلة ضد العدو .

٣- تعديل هكيل اقتصادنا كيما يصبح اقتصاداً للحرب أن يركز على الانتاج الحربى وايقاف الترف الاستهلاكى وتحميل الدخول الكبيرة العبء الأكبر من المعركة .

٤- إعلام غير هزيل وديمقراطية غير مزيفة .

كما تجسد الموقف الطلابى فى طرح مجموعة من الاستفسارات تجمل فى :

١- التساؤل عن اتخاذ قرار الحرب بينما الجبهة الداخلية غير معدة .

٢- التساؤل عن معنى منطق التبرير بالضباب .

٣- التساؤل عن مدى العطاء السوفيتى الحقيقى لقضيتنا خاصة وان السوفييت يفضلون حلاً سلميًا والواقع العملى يفرض حلاً عسكريًا .

٤ - التساؤل عن الربط بين « فرض علينا القتال » وتعليق الأمل على يارنج .

وقد تحدد المطلب الطلابى فى حتمية مقابلة رئيس الجمهورية فى مؤتمر الخميس دون سواه لأن طبيعة الوضع السلطوى فى مصر تجعل رئيس الجمهورية هو الشخص الوحيد القادر فى إجابة مسؤولة عن هذه الاستفسارات واتخاذ اجراءات تنفيذ المطالب الطلابية .

ولئن كان الرأي السائد هو أن يبقى اعتصام الطلاب بالحرم الجامعى حتى يأتى السيد رئيس الجمهورة فإن ذلك معناه الاهتمام العميق للجماهير الطلابية بتحقيق مطالبهم الوطنية والاجابة على تساؤلاتهم الملحة . ونرفض باستمرار اعتبار الاعتصام الهادئ خروجًا علي الديمقراطية .

كل الديمقراطية وكل التفانى للوطن .

اللجنة الوطنية للطلاب

بجامعة القاهرة

بيان الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين

نحن الأدباء والفنانين والكتاب الوطنيين .

نؤيد الكفاح الوطني الديمقراطي للطلبة ، رافضين كافة الحلول الاستسلامية للقضية الوطنية ، إبتداء من قرار مجلس الأمن نوفمبر ١٩٦٧، إلى أية مبادرة تقايض توقيع اتفاقية صلح مع إسرائيل بمساومات الانسحاب الجزئي .

ونؤيد كل المطالب التي تضمنها بيان اللجنة الوطنية العليا للطلاب باعتبارها القيادة الحقيقية للحركة الطلابية

ونرفع صوتنا مطالبين بالإفراج عن جميع الطلبة المعتقلين ليواصلوا كفاحهم الوطني .

عاشت مصر

عاش كفاح الشعب المصري

نعمان عاشور « مؤلف مسرحي » ، أحمد عباس صالح « كاتب » ، أديب ديمتري «كاتب»، عبد الله الطوخي « كاتب وصحفي » ، عبد الفتاح الجمل « كاتب وصحفي » ، نعمية وصفي «ممثلة»، ملك الجمل « ممثلة »، عبد المنعم إبراهيم « ممثل»، صلاح السعدني « ممثل »، سميحة أيوب «ممثلة»، عبد الرحمن أبو زهرة « ممثل» ، عبد الحفيظ التطاوي « ممثل » ، أشرف عبد الغفور «ممثل»، سميرة عبد العزيز « ممثلة » ، مشيرة « ممثلة » ، فؤاد قاعود « شاعر عامية » ، محمد كمال إبراهيم « كاتب قصة » ، سيد مرسي « سيناريست » ، علي شاكر « شاعر » ، مهدي الحسيني « سيناريست » أحمد متولي « سينمائي » ، إسماعيل محمد « سينمائي » ، عطيات عوض الأبنودي « مخرجة سينمائية »، محمد عماد الدين « سينمائي »، محمد نوح « ممثل »، عزالدين إسماعيل « ناقد » ، ماجدة موريس « صحفية » عبد اللطيف سعد « سحفي » ، سهير عبد الستار « صحفية » ، بدوي محمود « صحفي » ، سيد راشد « صحفي » ، نجوى فؤاد عبد الله « صحفية » ، حسن ماهر « رسام كاريكاتور » ، مصطفى كمال « صحفي » ، محمد السنباطي «كاتب قصة » ، عادل سليم « صحفي » ، محمد جبريل « صحفي » ، سامي علي حسن «سينمائي» ، علي الغزولي « مصور سينمائي » ، رفعت أحمد « فنان تشكيلي » ، فايزة محمود

«فنانة تشكيلية » ، ثروت فخرى « فنان تشكيلى » ، مصطفى مهدى « فنان تشكيلى » ، جمال عبد المقصود « كاتب مسرحى » ، خليل كلفت « ناقد » ، ممدوح عبد الرحمن « صحفى » ، صالح إبراهيم « صحفى » احمد الخميسى « كاتب قصة » ، عمر الفاروق « كاتب قصة » ، عدلى فخرى «صحفى »، محمود محمد إبراهيم « كاتب قصة » ، محمود ياسين « ممثل » ، صلاح عيسى «صحفى» ، فتحى عبد الفتاح « صحفى » ، شفيق مقار « كاتب » ، إبراهيم منصور «كاتب قصة»، رضوى عاشور « كاتبة قصة » ، سليمان فياض « كاتب قصة » ، إبراهيم أصلان « كاتب قصة » ، محمد إبراهيم مبروك « كاتب قصة » ، محمد كامل القليوبى « سينمائى » ، عزت عامر «شاعر» ، نجيب شهاب الدين « شاعر عامية » ، عبد الحميد ابراهيم « ناقد » ، سمير عبد الباقى «شاعر وكاتب» ، أحمد الحوتى « كاتب » ، حامد عبد الله « فنان تشكيلى » ، عز الدين نجيب «فنان تشكيلى » ، صبرى السيد «فنان تشكيلى » ، على زين العابدين «فنان تشكيلى » ، عونى هيكل «فنان تشكيلى » ، ابراهيم عبد العاطى « كاتب قصة » ، أحمد هاشم الشريف « كاتب قصة» ، يسرى خميس « شاعر » ، حسن سليمان «فنان تشكيلى » ، أحمد فؤاد سليم «فنان تشكيلى » ، سيد حجاب « شاعر عامية » ، فاروق عبد القادر « ناقد » وداد حامد طلبه « باحثة فنية » ، سمير تادرس «فنان تشكيلى » ، إجلال حامد طلبه « سينمائية » ، عبد الحى قابيل «فنان»، عبد الحكيم قاسم «روائى»، مجيد طوبيا « قصاص وسيناريست » ، سامى السلامونى «ناقد سينمائى»، جميل عطية إبراهيم « كاتب قصة » ، عبدة جبير « قصاص » .

حول المهام الملحة
للحركة الوطنية للطلاب في مصر

إن السلطة المصرية بقراراتها وإجراءاتها المتتالية ، قد وضعت القضية الوطنية في مفترق الطرق ، بل أننا لا نبالغ كثيراً إذا قلنا أن القضية الوطنية أصبحت اليوم علي حافة الهاوية .

وفي هذا المناخ الذى تظهر فيه بشكل واضح أزمة السلطة وعزلتها المتزايدة عن الجماهير ، وعدائها لها أو عجزها عن قيادة مهام مرحلة التحرر الوطني ، فإنه يصبح على حركة الجماهير عامة ، والحركة الطلابية بشكل خاص مهمة أساسية ، هى أن تحدد برامجها وأن تتوحد حول شعارات محددة وموضوعية وأن تخوض النضال العملى من أجل توعية الجماهير بها وتحقيقها . وعليه .. فإننا نطرح الأهداف العامة التالية لمناقشتها بهدف الوصوف إلي برنامج سياسى لحركة الطلاب الوطنية .

أولاً : على المستوى السياسى :

أ) المعركة وحرب التحرير الشعبية :

١ - النضال من أجل رفض كافة الحلول الاستسلامية :

- المطالبة بسحب الموافقة على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .
- المطالبة بسحب الموافقة على مبادرة روجز .
- المطالبة بحسب الموافقة علي مبادرة السادات .

٢- رفع شعار حرب التحرير الشعبية ، علي أنه الطريق الوحيد للتحرير مع ضرورة النضال فى كافة المجالات حتى لا يصبح شعاراً مفرغًا من المضمون .

٣- رفع شعار تسليح الشعب .

٤- رفض التدريب العسكرى الجامعى بصورته الحالية والمطالبة بتطويره .

٥- المطالبة بإطلاق حرية النشاط والدعاية والعمل الفدائى لمنظمات المقاومة الفلسطينية فى مصر ، وتقديم كافة الامكانيات المادية والإعلامية لها .

٦- المطالبة بفتح المعسكرات لقبول وتدريب المتطوعين المصريين للانخراط فى صفوف المقاومة .

٧- المطالبة بإحياء منظمة سيناء العربية ، وفتح باب العمل والتطوع بها للجماهير ، وعدم اندماجها فى القوات المسلحة .

٨- المطالبة بإحياء « لجان المواطنين من أجل المعركة » .

٩- الدعوة لإنشاء لجان شعبية لمناصرة المقاومة الفلسطينية فى الأحياء والقرى ومواقع الانتاج.

١٠- المطالبة بضرب المصالح الأمريكية فى الدول العربية :

المطالبة بضرب المصالح الأمريكية فى مصر ، وإغلاق بؤر الثقافة الأمريكية الاستعمارية فيها .

المطالبة بضرب المصالح الأمريكية في دول الاتحاد ، وتأميم البترول الليبى .

مطالبة عمال الموانئ والمطارات بمقاطعة السفن والطائرات الأمريكية والألمانية الغربية .

مطالبة دول الاتحاد (ليبيا) بقطع كافة العلاقات مع الولايات المتحدة .

١١- اقتصاد الحرب :

- المطالبة بتحويل المصانع الاستهلاكية للانتاج الحربى .
- المطالبة بوضع حد أعلى للاجور يكافئ عشرة أمثال الحد الأدنى .
- المطالبة بتحميل الدخول العليا العبء الأساسى فى المعركة .
- المطالبة بإيقاف استيراد الكماليات والسلع الاستهلاكية .
- المطالبة بإلغاء بدلات التمثيل ، والامتيازات للطبقات العليا .
- رفض توظيف رؤوس الأموال الأجنبية فى مصر ورفض المناطق الحرة .

١٢- أن حركة التحرر الوطنى المصرية هى جزء من حركة التحرر العربى والعالمى ولذا يتحتم:

- ضرورة التحالف مع كل القوى الثورية فى العالم .
- ضرورة التحالف مع كل المعسكر الاشتراكى .
- ضرورة التحالف مع كل حركات التحرر الوطنى فى العالم .
- رفع شعار الانحياز الكامل لقضية التحرر ، ومهاجمة شعار السلطة الديموغوجى (الحياد بين المعسكرين) .
- الهجوم على الرجعية العربية (الأردن - السعودية - اليمن الشمالية - إمارات الخليج).

٣ ا- الهجوم على السياسة الامريكية وسياسة غرب أوربا :

- فضح موقف ألمانيا الغربية .

- فضح موقف فرنسا (برنامج وزير خارجية فرنسا شومان لخلق منطقة تجارة حرة فى البحر المتوسط ، تشارك فيها إسرائيل والدول العربية ، وموقفها من أحداث ميونخ وتستر السلطة عليها فى ذلك) .

٤ ا- أن التحرر الوطنى لا ينفصل عراه عن التحرر الاجتماعى ، ومن ثم يجب طرح القضايا الاجتماعية وسط قطاعات الطلاب لربطهم بحركة النضال خارج أسوار الجامعة مثل :

- توضيح التغير فى ميزان القوى الطبقية داخل السلطة لصالح الرأسمالية الريفية ، مدعما بأسماء مثل (محمد حامد محمود - أحمد عبد الآخر - محمود عثمان - الجواهرجى - أبو شادى - محمود القاضى - سيد مرعى - كمال أبو المجد ... إلخ) .

- المطالبة بفرض ضرائب على الإنتاج الزراعى الخاص (الفواكه - الورود ...) .

- رفض طرد الفلاحين من الأرض .

- رفض التعديل فى قانون الجمعيات الزراعية الذى ينص بحرمان الأميين من عضوية مجالس الإدارة ، ورفع الحد الأدنى للملكية من ٥ أفدنة إلى ١٠ أفدنة .

- إعادة بدل طبيعة العمل لعمال الانتاج ، والمطالبة برفع مستوى معيشة الجماهير .

ب - الديمقراطية :

يجب طرح كافة الشعارات المتعلقة بهذه القضية وتوضيح بعدها الوطني وارتباطها بحرب التحرير الشعبية ، ولذا فنحن نقترح أن تكون الشعارات على النحو التالى :

- إلغاء كافة القوانين المعطلة للحريات السياسية .

- المطالبة بإلغاء قوانين الوحدة الوطنية .

- فضح مغزى قانون المال العالم (الذى يقضى برفع عقوبة الإضراب ، وحماية مؤسسات القطاع الخاص المرتبط بمؤسسات الدولة ضد أي أعمال جماعية) .

- المطالبة بإلغاء الرقابة على الصحف .

- المطالبة بعدم اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى لعضوية المنظمات الجماهيرية .

- تعرية الاتحاد الاشتراكي وتوضيح طبيعته الطبقية ، وإدانة عجزه عن تعبئة الجماهير وتنظيمها.

- المطالبة بإلغاء مكاتب البوليس السياسي .

- المطالبة بإلغاء مكاتب الأمن السياسية .

- المطالبة بحق الجماهير في تكوين منظماتها الجماهيرية خارج إطار السلطة الرسمي ، مثل: (اللجنة الوطنية العليا ونقابات العمال ... إلخ) .

أ) اتحاد الطلاب واللائحة الطلابية :

١ - المطالبة بإلغاء نظام الريادة .

٢- عدم اشتراط موافقة السلطات المختصة على ترشيح أي من المرشحين .

٣- إلغاء عقوبة الفصل النهائي من الجامعة .

٤- إلغاء العقوبات على ممارسة العمل السياسي داخل الجامعة .

٥- ضرورة النص في اللائحة على حرية الاجتماع والتظاهر والاعتصام .. إلخ داخل الجامعة.

٦- حرية الصحافة داخل الجامعة وعدم اشتراط إمضاء رائد الشباب على أي من المجلات .

٧- إلغاء مكاتب الأمن داخل الجامعة .

٨- الغاء مراكز البوليس السياسي الرسمي داخل الجامعة .

٩- ضرورة تمثيل الطلاب في مجالس التدريب .

ب) المشاكل العلمية والدراسية :

١- ضرورة النضال من أجل تمثيل الطلاب في مجلس الكليات وفي مناقشة المناهج الدراسية .

٢- المطالبة برفع مستوى المعامل والدروس في الكليات العملية ، وكذلك تجديد المكتبات ودعمها .

٣- المطالبة بتوفير الكتاب الجامعي توفيراً حقيقياً وتاماً أمام جميع الطلاب .

٤- العمل علي إلغاء ظاهرة الدروس الخصوصية ، وذلك عن طريق :

(أ) زيادة عدد المدرسين والمعيدين ، وبناء قاعات جديدة للدرس .

(ب) العمل على توفير الكتاب الجامعي بثمن زهيد وذلك عن طريق شراء الجامعة لحق الطبع من الاستاذ الجامعي ، والمساهمة في نفقات طبعه والعمل على صدوره في بداية العام الدراسي .. إلخ.

جـ) مقاومة كل من يمارس الكسب غير المشروع عن طريق الدروس الخصوصية .

٥- إلغاء الرسوم والتمغات على كافة الأوراق الطلابية .

مشاكل الإسكان والمدينة الجامعية :

وهنا يجب التنويه على ضعف العمال السياسي والنقابي داخل المدينة الجامعية على الرغم من أن أبناء المدن الجامعية هم أقرب الناس لنا من حيث واقعهم الطبقي ، ولكن لضعف حركتنا بينهم ولتأثير مناخ المدينة عليهم فإنهم يلجأون للاغتراب والهروب حيث تتلقفهم الجماعات الدينية . ولذا يجب الاهتمام بالآتي :

١- العمل علي ربط طلاب المدينة بالأسر الاجتماعية والثقافية داخل أسوار الجامعة والمدينة.

٢- العمل علي تنمية صندوق خدمة الطالب ، وتوجيه جزء أكبر من إمكانياته لحل مشكلة الإسكان .

٣- العمل علي تكوين لجان طلابية بالمدن الجامعية التي لا توجد بها مثل هذه اللجان ، ومنحها اختصاصات واسعة للإشراف على العمل داخل المدينة .

٤- زيادة الاشراف على التغذية والنظافة داخل المدينة .

٥- في بعض الجامعات التي لا تكفى المدن الجامعية بها للإسكان .. على جميع الاتحادات الطلابية فيها تأجير عمارات كاملة لإسكان الطلاب بها ومساهمة الجامعة في ذلك .

مشاكل الطلاب الاجتماعية وبنك الطلبة :

١- ضرورة وضع قواعد حاسمة من أجل التحقق من حاجة الطلبة للقروض وتوجيهها للمستحقين فعلاً .

٢- يجب أن تدفع القروض على دفعات شهرية لا تقل عن عشرة جنيهات طوال أشهر العام الدراسي على أن ترد عند التخرج بالتقسيط المريح .

٣- يجب وضع أولويات الإقراض ، ونقترح أن تكون كالتالي :

أ) الطلاب معدومى الدخل الذين لا يقيمون بالمدينة الجامعية المقتربين .

ب) الطلاب معدومي الدخل الذين يقيمون بالمدينة الجامعية المغتربين .

جـ) الطلاب معدومي الدخل الذين لا يقيمون فى المدينة الجامعية وغير المغتربين .

د) الطلاب معدومى الدخل الذين بأى وضع آخر والمحتاجين حقًا .

هـ) الطلاب المهجرين .

٤- ضرورة إعانة بنك الإقراض الطلابى من الدولة ، ومن مصاريف الطلاب ، على أن يخصص جزء أكبر منها لصندوق خدمة الطالب .

المشاكل الصحية :

١- المطالبة بزيادة الاعتمادات المخصصة للوحدات العلاجية بالكليات وتزويدها بالأدوية اللازمة.

٢- ضرورة وجود طبيب مقيم دائمًا بالمدينة الجامعية - ضرورة إصلاح وضع المستشفيات الجامعية .

٣- ضرورة رعاية الدولة طبيًا للطلاب ، وإجراء مسح طبى شامل لطلبة الجامعة .

٤- ضرورة إتاحة الفرصة للطلاب الذين لم يسددوا الرسوم للاستفادة من المستشفيات الجامعية .

٥- ضرورة إنشاء مستشفى جامعى فى الجامعات التى لا يوجد بها .

المواصلات :

١- تسهيل إجراءات استخراج الاشتراكات ، وإنشاء مكاتب لذلك بالكليات .

٢- استمرار العمل بالاشتراكات خلال الاجازة الصيفية .

٣- تخفيض ٥٠ ٪ من أجور السكك الحديدية .

مطالب إضافية :

تنظيم برامج رعاية ثقافي واجتماعية فى العطلات للطلاب ، وايجاد فرص عمل كاملة للمحتاجين خاصة فى الأجازات .

بيـــــــان

صادر عن الطلاب بجامعة القاهرة المعتصمين بقاعة ناصر

إن اعتقال مجموعة من الوطنيين الطلاب وبعض العناصر الشريفة من خارج الجامعة ممثلة في أدباء ومحامين وصحفيين - إنما هو امتداد لمخطط السلطة لتصفية الحياة السياسية فى مصر .

فى الوقت الذى يمتد فيه صمت المدافع على جبهة القتال ، تركز السلطة كل جهودها لاستجداء الحلول الاستسلامية فى أروقة الجمعية العامة للامم المتحدة ثم قرار مجلس الأمن إلى مشروع روجرز ووقف إطلاق النار والمبادرة المصرية ، إلى قرار الجمعية العامة الأخير التي تمثل كلها سلسلة متصاعدة من التنازلات ، وعندما ترفض حركة الجماهير الشعبية مبدأ التنازلات وتطالب بحقها فى الاشتراك فى المعركة فإن السلطة التي تبدو حملا وديعًا أمام العدو تظهر أنيابها أمام الجماهير - فمن قمع حركة الجماهير فى أبو كبير وحلوان وشبرا وكمشيش والجامعة ،إلى ما تفعله اليوم من استعمال أساليب القمع ابتداء من أساليب البلطجة فى تمزيق المجلات وضرب الطلبة الوطنيين والمجالس التأديبية - وأخيراً يأتي اعتقال الوطنيين من الطلاب وغيرهم تتويجا لهذا المخطط المعادى للحركة الوطنية فى مصر . ومن هنا فإن الطلاب المجتمعين فى قاعة ناصر يوم ١٩٧٣/١/٩ يرون أن ضرب الديمقراطية فى الجامعة هو جزء من ضرب الحركة الوطنية فى مصر كلها وسيعملون على :

١- الافراج الفورى عن الوطنيين المعتقلين من الجامعة وغيرها ونشر التحقيقات التي تمت معهم وحماية كل حقوقهم القانونية .

٢- التأكيد على وثيقة يناير ١٩٧٢ الوطنية :

أ) رفض الحلول الاستسلامية .

ب) اشتراك الشعب فى المعركة .

جـ) اقتصاد حرب حقيقى .

د) دعم الثورة الفلسطينية إلى آخر ما جاء بالوثيقة الوطنية .

٣- انتزاع حقنا فى تنظيم لجان وأسر وجماعات بعيدة عن تنظيمات السلطة وخارج أسوار اتحاد الطلاب ، وتؤكد على شكل لجان الدفاع عن الديمقراطية . وتدعو كل المؤسسات الجماهيرية لتشكيلها.

٤- رفض مبدأ الارهاب على القوى الوطنية فى مصر :

أ) رفض الاعتقال المطلق .

ب) رفض مجالس التأديب عن القضايا السياسية .

٥- رفضنا للقوانين المعطلة للحريات الديموقراطية والمطالبة بتغيرها :

أ) الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ .

ب) قانون الوحدة الوطنية .

جـ) اللائحة الجامعية ولائحة اتحاد الطلاب .

٦- إلغاء مكاتب الأمن ولجان النظام فى الجامعة .

٧- رفع الرقابة عن الصحف إلا للمعلومات العسكرية .

إن انتزاع الجماهير المصرية لحقها فى تنظيم نفسها فى تنظيمات جماهيرية ، لإدارة حوارة ديمقراطى حول قضايا الوطن ومن أجل التحرير والتقدم الذى سيضعه أبناء مصر على سواعدهم .

إن كل هذا هو السبيل للوصول إلي وحدة وطنية حقيقية .

كل الديمقراطية للشعب كل التفانى للوطن

وإلى اللقاء فى ساحة النضال

جماهير الطلاب - جامعة القاهرة

المعتصمون بقاعة نا صر

٨/ ١/ ١٩٧٣

طلبة جامعة الاسكندرية المعتصمون

بيان رقم (١)

فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ مصر التي يحتل فيها العدو الأمريكى الصهيونى أرضنا لفترة تجاوزت خمس سنوات ، نجد النظام المصرى يمارس حله لمسألة التحرير من خلال التنازلات المتتالية التى بدأت بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ثم مبادرة روجرز ، ثم وصلت إلي قرار الجمعية العامة الأخيرة ، بعيداً عن مشاركة الجماهير ، وذلك عن عمد حتى لا تستطيع الجماهير فرض إرادتها التي تمثل مصالحها الحقيقية فى التحرير والديمقراطية .

بهذا ومن خلال الإرهاب صادر النظام المصرى كل الحريات الديمقراطية فأصبحت الصحافة تمثل رأي السلطة فقط .

ولم يتوقف ضرب الديمقراطية على حرية الصحافة ، بل تعداه إلي تحريم الاجتماعات علي كل المصريين إلا بإذن المباحث العامة ، كما صودرت حريات الطباعة والنشر ، واحكمت سيطرتها على النقابات المهنية والعمالية والاتحادات الطلابية من خلال ربطها بالاتحاد الاشتراكى من جهة ، وتدخل السلطة فى مواعيد الانتخابات ، وشطب العناصر الشريفة من قوائم المرشحين عن طريق المباحث العامة، ولم يتوقف الاعتداء على الديمقراطية عند هذا الحد بل تعداه إلي أن معتقلات النظام لم تخل فى تاريخ مصر الحديث من الوطنيين والشرفاء .

ولم يكن القبض على الطلبة الوطنيين أخيراً فى جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية وأسيوط والمنصورة ، إلا استمرارا لضرب الديمقراطية ولعزل الحركة الطلابية الوطنية عن القيام بدورها الطليعى كفصيل وطنى . وأننا نحن المعتصمين نعلن أن الحرية لا تمنح ولكنها تنتزع .

وأننا نحذر من أي معاملة سيئة للوطنيين المعتقلين ، ونطالب :

١- بالإفراج فوراً عن كل الوطنيين المعتقلين .

٢- بحرية الصحافة في الجامعة ، علي أن تلغى المادة الخاصة بالحجر علي حرية النشر فى الجامعة .

٣- نطالب بحرية الصحافة فى مصر ورفع الرقابة عنها إلا فيما يخص الأمور العسكرية ، وأن تنتخب هيئات التحرير من نقابة الصحفيين .

٤- إطلاق حرية الاجتماع لكل المواطنين المصريين بعيدا عن المباحثات العامة .

٥- نطالب بحرية الطباعة والنشر الا فيما يخص الأمور العسكرية .

٦- نطالب رفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية والنقابات العمالية والمهنية من قبل الاتحاد الاشتراكي والأجهزة الإدارية .

٧- نطالب أن تنبع أى لائحة جامعية أو اتحادية من القاعدة الطلابية وتعرض بعد ذلك للاستفتاء الطلابى .

كل الديمقراطية للجماهير

كل التفانى للوطن

١٩٧٢/١٢/٢٠

الانتفاضة وشعاراتها

القيمة الأساسية للشعار الناجح هو تحويل الأفكار السياسية المعقدة ، والمطالب الوطنية العميقة والمفاهيم الاقتصادية المركبة إلى هتاف مُنغم ، مرقع ، سهل الحفظ والترداد ، وبحيث يصبح خلال فترة وجيزة أنشودة على كل لسان ، تجمع الناس ، وتوجه حركتهم ، وتعبر عن رغباتهم الحقيقة ، وفى هذا السياق نبغ رميلنا المناضل الوطني الكبير ، المهندس كمال خليل (طالب هندسة القاهرة السابق) ، الموهوب بالفطرة ، فى صياغة الكثير من الشعارات ، التي تحولت إلى شعارت للشارع المصرى كله ، وتبنتها الجماهير من على ألسنة المظاهرات الطلابية إلى أن أصبحت شعارات العمال فى المصانع والفلاحين فى الحقول والمثقفين فى تجمعاتهم ، لأنها عكست بوضوح مطالبهم الصحيحة وعبرت عنهم أصدق تعبير .

ولقد كان من حسن حظى أن عاصرت ميلاد عشرات الشعارت النضالية التي أصبحت على ألسنة الجماهير المصرية ، فى كل انتفاضة شعبية ، وفى شتى أرجاء البلاد ، حيث زاملت كمال خليل فى الكلية وفى «جماعة أنصار الثورة الفلسطينية» ، «ونادى الفكر الاشتراكى التقدمي» ، وفى السجون والمعتقلات وحروب الشوارع ومظاهرات الجامعة والمؤتمرات السياسية الحاشدة ، وفيها جميعًا وُلدت شعارات الانتفاضة الطلابية ، التي أصبحت شعارات الشعب كله ، ومنها :

هوْ بيلبس آخر موضة	واحنا بنسكن عشره فى أوضة
هُمّا بياكلوا حمام وفراخ	والشعب من الجوع أهو داخ
الصهيونى فوق ترابى	والمباحث على بابى
يا أمريكا لمى فلوسك	بكره الشعب العربى يدوسك
إحنا الطلبة مع العمال	ضد تحالف رأس المال
إحنا الطلبة مع العمال	ضد حكومة الاستغلال
الإضراب هو سلاحنا	ضد السلطة اللى بتدبحنا
بالطول بالعرض	حنجيب ممدوح الأرض
سيد مرعي ده يبقى مين	بيقى حرامى الفلاحين
سيد مرعى يا سيد بيه	كيلو اللحمة بقى بجنيه (1)
يا حكومة الوسط وهز الوسط	كيلو اللحمة بقى بالقسط (1)

لم كلابك يا ممدوح — دم أخواتنا مش حيروح

يا أهالينا يا أهالينا — آدي مطالبنا وآدي أمانينا

أول مطلب يا شباب — حق تعدد الأحزاب

تاني مطلب يا جماهير — حق النشر والتعبير

تالت مطلب يا أحرار — ربط الاجر بالأسعار

يا حاكمنا من عابدين — باسم الحق باسم الدين

فين الحق وفين الدين

يا حاكمنا بالمباحث — كل الشعب بظلمك حاسس

مش كفاية لبسنا الخيش — جايين تاخدوا رغيف العيش

كذلك استخدمت فقرات من قصائد الشعراء الوطنيين كأحمد فؤاد نجم وزين العابدين فؤاد ، وغيرهما ، كشعارت للحركة الطلابية والجماهرية ، مثل مقطع من قصيدة لزين يقول :

ايه أتقل من جزمة غريبة في قلب بلدنا

من إيد نجسة بتسرق زادنا

من راية غريبة بتعلا في الميادين

من كلمة شريف محرومة تخش الجرانين

يا كلمة يا خنجر جوه الحلق

فوري ودوري وهزي بلدنا

من جوه الجامعة وصحيُ الخلق

وفي مواجهة محاولات تصفية « اللجنة الوطنية العليا للطلاب » ، كان شعار الحركة الطلابية :

يا شعب قوم وطالب — باللجنة والمطالب

اللجنة والمطالب — يا إما الاعتصام

وحينما اعتقلت أجهزة الأمن عشرات المئات من طلاب الجامعة وطالباتها ، ونقلوهم في الفجر البارد إلي السجون والمعتقلات كان هتافهم المدوّي ، الذي هزّ شوارع القاهرة :

إحنا ولادكم — إحنا إخواتكم

واللي بنعمله ده علشانكم

إصحي يا مصر — إصحي يا مصر

فى الفن والانتفاضة

لعب الفن دوراً مشهوداً فى التمهيد للانتفاضات الطلابية ومواكبتها والدعوة لها والدعاية لأفكارها ، التى جسدت مجمل مطالب وبرامج الطبقات الشعبية والوطنية ، فى لحظة تاريخية فاصلة.

إن دور الشيخ إمام عيسى ، مغنى الوطن والشعب والثورة ، فى هذا السياق يحتل موقعًا رائداً، شبيهًا بالموقع الذى احتله الشيخ سيد درويش ، فنان مصر العظيم ، خلال ثورة الشعب عام ١٩١٩ وما تلاها ودور الفنان الوطنى الكبير ، عدلى فخرى ، لازالت أصداؤه تتردد فى الوجدان الوطنى لجيلنا حتى اليوم ، ، وكذلك لعب الحضور الكبير للشعراء الوطنيين الكبار : أحمد فؤاد نجم وزين العابدين فؤاد ، وفؤاد قاعود ، وسيد حجاب ، وعبد الرحمن الأبنودى ، ونجيب شهاب الدين ، وغيرهم، دوره العظيم فى تأجيج مشاعر الثورة والتمرد والأحاسيس الوطنية ، لدى أبناء جيل السبعينيات .

ولا يمكن أن يُنسى الشاعر الكبير الراحل أمل دنقل ، وقصيدته العلامة ،الكعكة الحجرية، التى كتبها من وحى احتلال جموع الطلاب والشعب لميدان التحرير خلال وقائع سنوات الجمر ، السبعينية .

وقد وجدت أثناء بحثى عن تاريخ كفاح طلاب مصر قصيدة رائعة للشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى ، مهداة إلى روح الشهيد عبد الحكم الجراحى ، رأيت أن أضمها إلى هذه المجموعة ، لما لها من قيمة فنية وتاريخية .

وهذه القصائد الجميلة ، غيض من فيض ، وكثير من قليل ، من نهر الفن النضالى الذى واكب عقد الثورة الطلابية والشبابية السبعينية ، نوردها هنا كمجرد نماذج لا أكثر ، ويحتاج الأمر لناقد متخصص كى يكون أكثر قدرة على اكتشاف مكامن الجمال والتعبير فى ،ديوان الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية، الفنى الواسع المدى .

أعاصير مصرية

مهداة إلى روح الشهيد عبد الحكم الجراحى

للدكتور / إبراهيم ناجى

كم أغر فى بواكير الصبا … ناضر يسحب أذيال النِّعَمْ

طبعه الجسود فلما هتفت … مصر تدعوه تناهى فى الكرم

قدم الروح إليها ومشى … ثابت الخطوة جبار القَدَم !

كلَّفته اليقظة الكبرى بها … مهجة ترعى وعينًا لم تَنَمْ

جشمته خطة دامية … وعرة المسلك حُفَّت بالألم

يجِد الموتَ بها لذَّتَه … ويرى العار إذا المرء سَلِمْ !

* * *

يا لمصر الجنة الفيحاء كم … فتحت قبراً لباغٍ قد ظلَم !

يَطْلع الصبح على هذى الرُّبى … فإذا الورد ضحوكٌ فى الأكم

فاذا أمسى المساء انقلبت … فوهة حمراء تَغلى بالحُمَم !

لست تدرى إذ تراها ظمئت … فروى الأحرار واديها بدمْ !

ذاك لون الورود ؟ أم لون الردى الجاثم ؟ أم لون الجحيم المضطرم

مقاطع من الخميس الدامى

شعر : زين العابدين فؤاد .

يوم الطلبة العالمى ٢١ فبراير ١٩٤٦

تأييد لكفاح الطلبة المصريين فى عام ١٩٤٦

(١)

لما انْكسر عرابى من على الحصان
لا انهدّ حيْل الخيل ، ولا قلّت الفرسان
ولا كتاب النيل فى ليل اتقفل
والدّم سايل لسّه ع العنوان

وتزَغرط المقصات فى صالون الحلاقة
وتسخن الميه .. عشان الحموم
والمكوجية .. ينشّوا ياقه .. وياقه
وينفضوا السترة .... ويكوروا الهدوم
طَرحه عشان العروسه
منديل عشان العريس
وبلدْنا ضِحكه وبوسَه
وعروسه يوم الخميس

لكن خميس زى دول ... ما ضحكش حدّ لعريس
ما ضحكش غير الرصاص ... والسجن ... والمتاريس

(٢)

باحب اللبن ... ويا شاى القطار
ونفسى أشوفُ الورود ع الغداَ
وأحبْ الندى
يفتّح جنينة النهارُ
وباحلم ببيتنا ، سريرنا النحاس

وياحلم بطرحة عشانك .... بهدمة ومداس
وياحلم ببنت وولد
ونفسى أشوف الكابوس
يفوت البلد

(٣)

شايلين أحلامهم فى إيديهم
خارجين ألوفات
شايلين أعلامهم فى عنيهم
شبان ... رجاله ... بنات ... ستات
راجعين احلامهم فى ايديهم
ويا الأموات

(٤)

إيه أتقل من جزمة غريبة ف أرض بلدنا ؟
من إيد نجسه بتسرق زادنا ؟
من راية غريبة بتعلا فى الميادين ؟
من كلمه شريفه محرومه تخش الجرانين ؟

يا كلمة يا خنجر جوه الحلق
هزى بلدنا ..
من جوه الجامعه وفورى .. ودورى .. وصحى الخلق

(٥)

ويلم باقى الدم عضمه ويترعش
ويخش سور الجامعة ... والأسوار حديد
ويدور ويحضن بعض يكبر ... ينكمش
ينقص ، يزيد
ويخش توب الدم مرفوع العلم
علمك يا مصر بترفعه ميت ألف إيد
يعلا ... يرفرف ع الجوامع .. ع الهرم
على صوان فى الجامعة عاملينه الحرس
جوه الصوان ... صورة السرايه ... بالملك
واقف فى إيده سيفه ما يخوف فرس
وتفور يا توب الدم ع الصورة الذليلة تتكسر

وتتحمل فوق الكتاف
ويعلا صوتك بالهتاف
لازم بلدنا تنتصر
لازم بلدنا تنتصر

(٦)

أصوات

- العربيات بتخوض فى الخلق
- إتنين وقعوا
- الدم لحد الحلق
- قتلوا تلاته
- هاتوا الإسعاف
- هاتوا القتلى شيلوهم ع الأكتاف
- هاتوا ضمير الدنيا المجروح .. يتعلم إيه معنى الإنصاف

(٧)

رجع المقتول يمسح دمه
رجع الموكب شايل همه
شايل لحمه
شهدا ماشيين ، فى جنايز بعض
شهدا من فوق الاكتاف ،
شايلتهم شهدا فوق الأرض

يا بلدنا يا بطن كبيره
كبيره ، وبتخلف
ترجف ، تنزف
تزرع شهدا
تحصد شهدا
من قبل عرابى مات شهدا
من بعد عرابى مات شهدا
وف ألف طاعون ، وطاعون
وف كل دراع بيخون
بيموت شهدا

علشان يضحك فى الضلمه قمر

(٨)

ولاَ حزن الشّمس المحرومة من عين تنظُرْ
من عُود قمحاوى .. نفْسُه يُطل ويتخضّر
ولا حزن جبال اللّيل .. والليل خنجر
بيشقّك يا سرير الزفّه
يا حزينة فى سرير الزفّة
هَتدُوب عِمْدانُه .. لا عمره اتْهَز . ولا اتدفّا
إبكى يا عروسة .. إبكى .. وإبكى
ده عريسك سافر لجل يجيب الشّمس ما جاشْ
ده عريسك سافر ع السُّونكى
خُطّى دموعك على جرحه قطن وشاش
إبكى يا عروسه ... إبكى .. وإبكى
ده عريسك سافر لجل يجيب الشّمس ما جاشْ
ولا عادش هَيضْحَك لكْ تانى
سرقوا الضّحكة منه بِمدفع رشّاشْ

يصْحَى حُصان عرابى بعد رَقْدتُه
يصحى عشان يضحك فى مَرَّه وألف مَرَّه ينكسر
مره السرايه تتحفر له فى سكّتُه
مره الخيانة ... والغَدَرْ
مره المتاريس الحديد بتْفَتّتُه
بتْكَلم ف الصُّبْحيُه أقوى م القدر
مره هزيل
مره نحيل
مره بيعطش من على شَطّكْ يا نيل
مره بيسكت جنب ميتْ مرة صَهيل
يا حصان عرابى يا عَفِى
مهما تطول السكة والنُّور ينطفى
مسيرنا نضحك للقمر
للقمر

بكائية يناير

أنَا رُحْتِ القَلْعَة وشُفْت يَاسِْين
حَواليه العَسكَر والزّنَازِينْ
والشوُم والبُوم وكلاب الرُوم
ياخَسَارة يا أزهَارِ البسَاتين
عَيْطي يَابَهِيَّة عَلى القَوانين

* * *

أنا شُفْت شبَابِ الجَامعة الزيْن
أحمَد وبهَاء والكُرْدي وزيْن
حَارْمينهُم حَتى الشوف بالعَين
وف عِزّ الضُهر مِغَمّيين
عَيْطي يَابَهِيَّة عللى القَوانيْن

* * *

وقابلت سهام
ف كلام إنسَان
مَنقُوش ومَأثر ف الجُدَران
عَن مَصْر وعَن عمَّال حُلوان
مَظاليم العَهد المعتقلين
عَيْطي يَابَهِية عَلى القَوانين

* * *

وقابلت هناك عزّت وجَواد

وقَابلتْ كمَان مُنْذر وزيَاد

أربعَة أبطَال شنقوا الجَلاد

التَلّ يَهودَا الفَدائيِّين

زغرَطي يَا بلدنَا لدُول مسَاجِيْن

* * * * *

واسمَعي يَابَلدنا خُلاَصْة القَول

وباقولّك أهُهْ وانا قَدّ القول

مُشْ مُمكن كدَه

حَيْحُول الحول

عَلى كدَه والنّاسُ يفُضَلوا سَاكتين

* * *

خَليكُوا شَاهدِيْن

خليكُوا فَاكرِيْن

أنَا رُحْت القَلْعَة

وشُفْت يَاسِيْن

معتقل القلعة - ١٠ فبراير ١٩٧٢

أغنية الكعكة الحجرية(*)

أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهروا الأسلحه !

سقط الصمت ، وانفرط القلب كالمسبحه

والدم انساب فوق الوشاح !

المنازل أضرحةٌ ،

والزنازن أضرحةٌ ،

والمدى أضرحه

فارفعوا الأسلحه

واتبعونى ؛ أنا ندم الغد والبارحه

رايتى : عظمتان وجمجمة ، وشعارى : الصباح !

* * *

دقت الساعة المتعبه

رفعت أمه الطيبه

عينها !

(دفعته كعوب البنادق فى المركبه !)

دقت الساعة المتعبه

نهضت ، نسقت مكتبه

(صفعته يدٌ - أدخلته يد الله فى التجربة !)

دقت الساعة المتعبه

جلست أمه رتقت جوربه

(وخزته عيون المحقق ...

حتى تفجر من جلده الدم والأجوبة !)

دقت الساعة المتعبه !

دقت الساعة المتعبه !

دقت الساعة المتعبه !)

(*) كتبها الشاعر الراحل بتأثير من الانتفاضات الطلابية ، عن واقعة احتلال الجماهير والطلاب لميدان التحرير (أواخر شهر يناير ١٩٧٢) ، احتجاجاً على اقتحام مصفحات الأمن المركزى للجامعة ، واعتقال الطلاب المعتصمين وقيادة اللجنة الوطنية العليا للطلاب .

عندما تهبطين علي ساحة القوم لا تبدأى بالسلام
فهم الآن يقتسمون صغيرك فوق صحاف الطعام
بعد أن أشعلوا النار في العش والقش والسنبله
وغدا يذبحونك .. بحثا عن الكنز في الحوصله
وغدا تغتدى مدن الألف عام
مدنًا للخيام !
مدنا ترتقى درج المقصله !

* * *

(دقت الساعة القاسيه
وقفوا فى ميادينها الجهمة الخاوية
واستداروا علي درجات النصب
شجرا من لهب
تعصف الريح وريقاته الغضة الذاتيه
: بلادى ... بلادي ...
(بلادى البعيده)
دقت الساعة القاسيه
انظروا ! هتفت غانيه
تتمطى بسيارة الرقم الجمركى ، وتمتمت الثانيه :
سوف يتصرفون إذا البرد حل ، وران التعب

* * *

دقت الساعة القاسيه
كان مذياع مقهى يذيع أحاديثه الباليه
عن دعاة الشغب
وهمْ يستديرون ،
يشتعلون علي الكعكة الحجرية تحت النصب
شمعدان غضب
يتوهج فى الليل : والصمت يكنسح العتمة الكابيه
يتغنى بغنوة ميلاد مصر الجديدة
دقت الساعة القاسيه
دقت الساعة القاسيه

تقرير سرى عن الاحداث

محمد سيف

يتكلموا الشعُرا

عن الوطن فى العلن

فى كل يوم ،

يبثُّوا روح الثورة فى الحوارى

ويزكُّوا نار الفتنة ما بين الصفوف

ويحرضوا الأطفال ، صغار السن ،

ضد الخوف

(يا صاحب السلطان

إقتل جميع الشُّعرا)

* * *

ظهرت بوادر فتنة بين العاملين فى المصانع

واتسلِّلت ما بين صفوفهم فكرة مسمومة

بتنادى بالاتحاد !

ضد اللى شاربين دمُّهم

ضد اللي بايعين البلاد

(يا صاحب السلطان

إسجن جميع العاملين فى المصانع)

* * *

الفلاحين ،

من بعد ما شَنِّف ودانهم صوتك العالى

بالعدل والإنصاف

بان فى وشوشهم الفرح

كان الكلام ده العصر

ساعة المغرب

شافوا الكلاب سايبة عليهم من نواحى القصر

وبعد ما طلبوا ف صلاة الليل رضا المعبود

قابلهم المِش القديم فوق الحصير بالدود

سبُّوا لك الأيمان وباتوا ف كفر

(يا صاحب السلطان

إجلد جميع الفلاحين فى الغيطان)

* * *

عرفت إن موظفين الديوان فى الدولة متذمرين

وده خطر لازمه الحذر واللوْم

لإنهم ناصحين ومتكتمين

(يا صاحب السلطان

سرّح ورا رجال ديوانك مخبرين)

* * *

الجيش بيغلى زى ماء ع النار

فيه خوف من العسكر

عوّدتُهُم ع الامتثال والكبت

وحكمتهم بإدين حديد

لكنهم ، بيألفوا عليك النُّكت

فيه خوف من الظباط

عودتهم على طبع لاسترزاق
ولو أتتهم نكلة أزيد من شيطان
دوغرى يبيعوك
ونصحى يوم على إنقلاب من هيئة الأركان
(يا صاحب السلطان
سرّح رجال الجيش)

* * *

الطلبة لايام دى أمورهم ساءت
وبقوا كما العمل الرِّدِى
بيحرّضوا ضد النظام
ولا عادشى ينفعهم كلام
واعرف بإنك فى المنام
تِحلم بتلميذ بين إيديك بتطفّحُه الدّرّدى
(يظهر بإننا محتاجين
لسجن ألف ف ألف كيلو مربع
علشان نحل لصاحب السلطان مشاكله
نحشر به كل الناس وتُقعُد
يا بهى الطلعة
على تلّه !)

القاهرة ١٩٧٢

فؤاد قاعود

الانتفاضة

لكل فعل رد	ولكل رخى شد
دى المعمعة يا واد	باين ح تبقى جد
دول ناس كتير كتير	ما يخضعوش لعد
وفجر بكره زاد	من خطوته ومد
أندر ما فى الولاد	أثمن ما فى العدد
أطهر ما فى البنات	بيزودوا المدد
أثبت من الثبات	ومن الحجر أشد
ولا يقدر السكات	يبنى قصادنا سد
ولا يقدر الظلام	يكون لنورنا قد
وان شعب مصر قام	مش راح يخلى حد

فبراير ١٩٧٣

الفهـــرس

القسم الأول: قضايا الماضي

القسم الثانى : إشكاليات الحاضر

القسم الثالث : تحديات المستقبل

المؤلف فى سطور

الاســم : أحمد بهاء الدين شعبان الشافعى

الدراسة : درس الهندسة الميكانيكية بكلية الهندسة جامعة القاهرة - كلية الهندسة - جامعة بغداد .

- من مؤسسى « جماعة أنصار الثورة الفلسطينية » - هندسة القاهرة فى مقتبل السبعينيات .

- ساهر فى تنظيم وقيادة الانتفاضات الطلابية الوطنية الديموقراطية التى عمت جامعات مصر فى خلال عقد السبعينيات مطالبةً بالتصدى للمؤامرة الأمريكية والصهيونية على مصر والوطن العربى ، وضاغطةً من أجل شن الحرب على إسرائيل وبتحرير الوطن والمواطن من خلال تحقيق ديموقراطية حقيقية .

- انتخب عضواً باللجنة الوطنية العليا للطلاب ، التي أصبحت القيادة الشرعية المعبرة عن التيارات الوطنية والديموقراطية والثورية فى الجامعات المصرية خلال تلك الفترة ، ثم انتخب أميناً عاماً لنادى الفكر الاشتراكى بالجامعة

- أتهم بالمشاركة فى تفجير الانتفاضة الجماهيرية يومى ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ وبالتحريض على الصدام مع السلطة .

- عايش المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية بلبنان حتى الغزو الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢ .

- أعتقل أعوام ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ و ١٩٨٢، ١٩٩٤ بسبب نشاطاته الوطنية والمعارضة للتفريط فى حقوق الشعب والتسليم للعدو الإسرائيلى ، وكانت المرة الأخيرة بسبب اشتراكه ممثلاً لـ « الحركة الشعبية لمقاومة التطبيع ومقاطعة إسرائيل » فى الاحتجاج على اشتراك إسرائيل فى معرض القاهرة الصناعى الدولى مارس ١٩٩٤ .

- يعمل بالطباعة والنشر .

- يكتب فى الصحف والمجلات المصرية والعربية دفاعًا عن الحقوق الوطنية وكفاح الجماهير العربية فى كل مكان ، ودفاعًا عن قضايا الشعب المصرى.

من مؤلفاته :

١- ٤٨ ساعة هزت مصر (عن انتفاضة ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧) دار فلسطين الثورة ، بيروت ١٩٧٩ .

٢-النفط العربى والاستراتيجية الأمريكية ، بيروت - دار المصير - ١٩٨٢.

٣- الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠ ، القاهرة ، دار سينا للنشر، ١٩٩٤ .

٤- اتفاق غزة أريحا : الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية (بالاشتراك مع الاستاذة / نادية رفعت) ، القاهرة ، ١٩٩٤.

٥- حاخامات و جنرالات : الدين والدولة فى إسرائيل ، دار نوارة، القاهرة ، ١٩٩٦ .

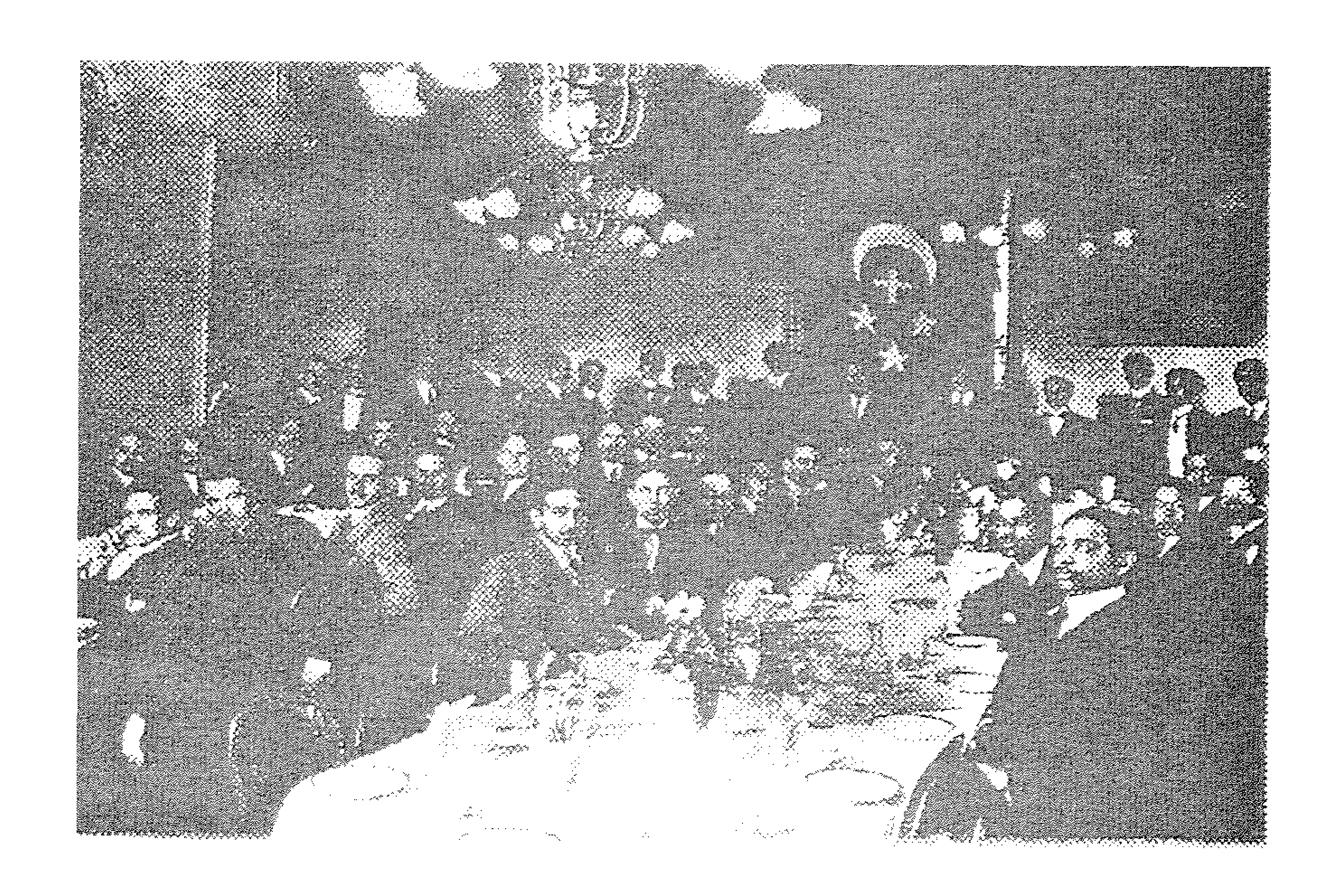
الملحق المصور

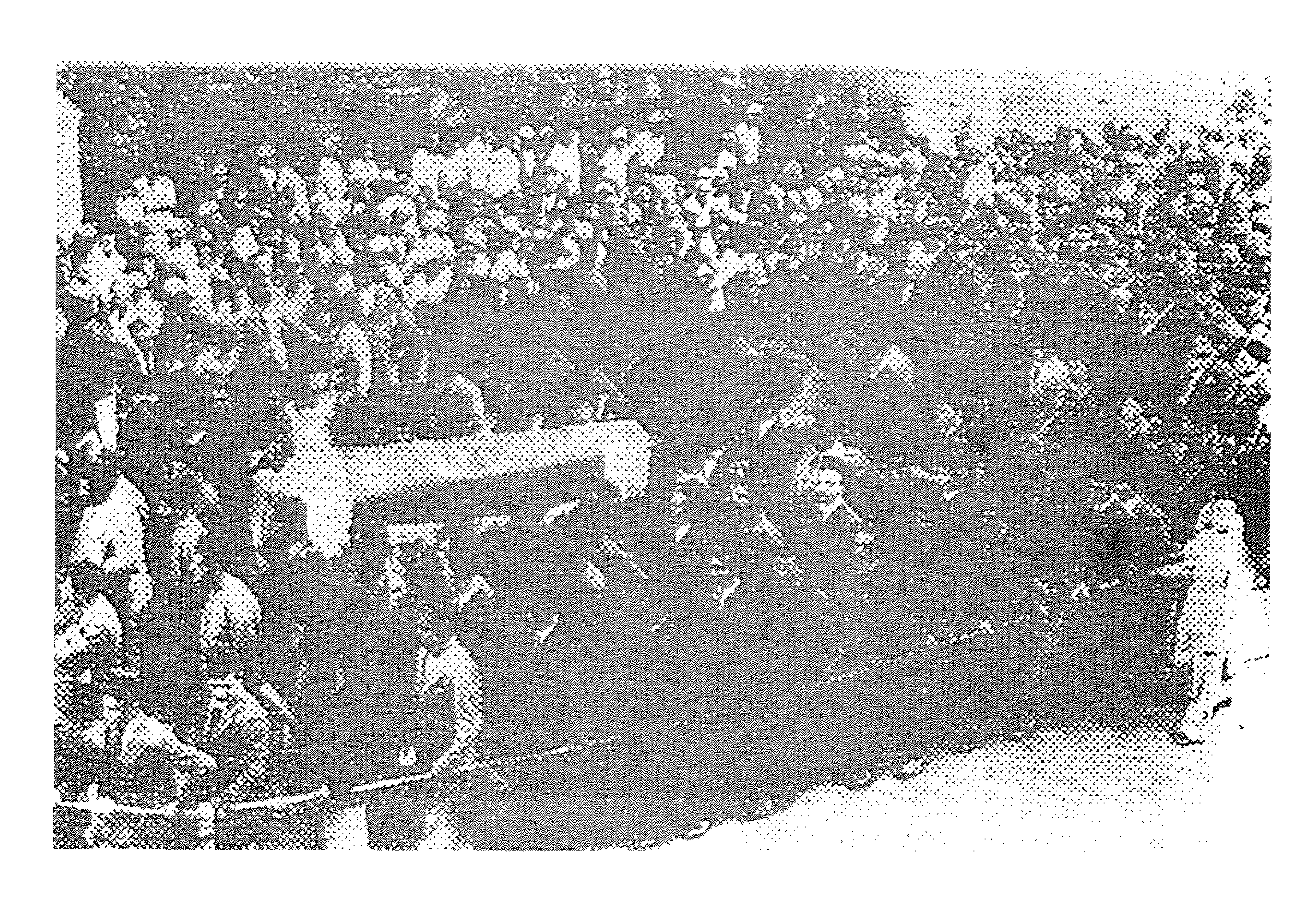
الملحق المصور





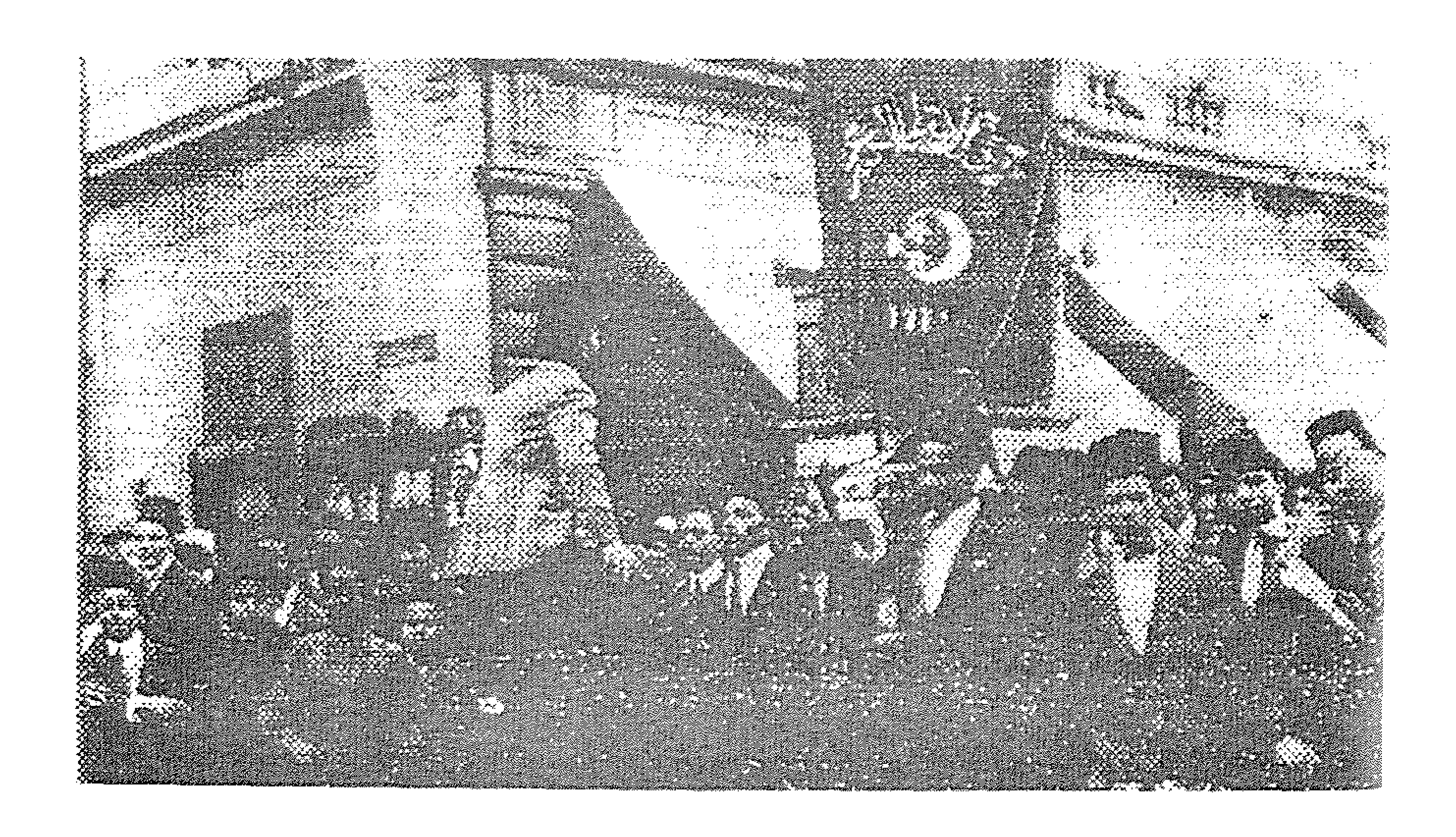
فتيات مصر وطالباتها .. رائدات فى النضال الوطنى ضد الاحتلال ومن أجل الديمقراطية



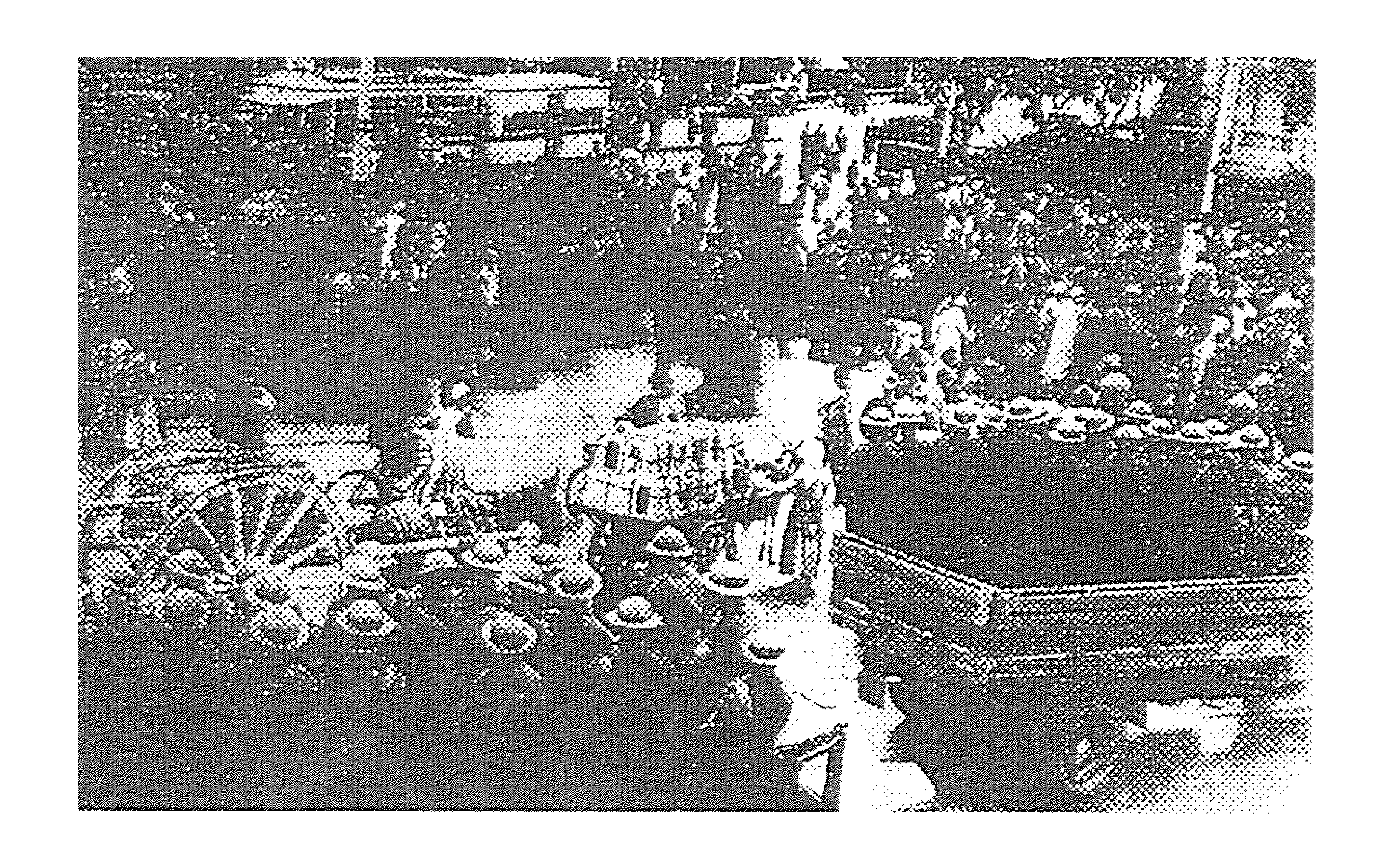


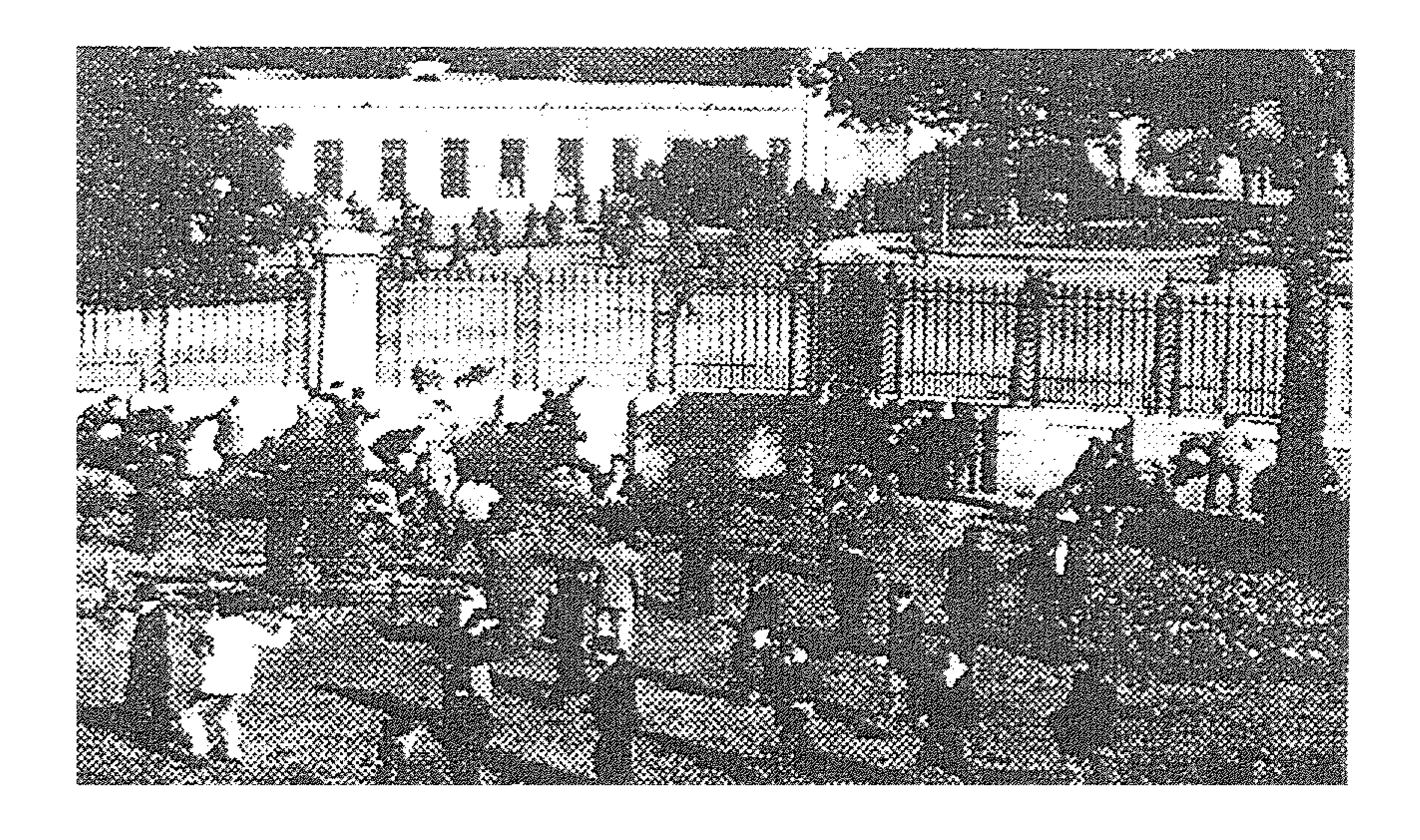
أعلى : مؤتمـــر وطنى لطـــــــلاب مصر المبعوثين فى الخارج

والصورة السفلى : مصر فى وداع شهداء ثورة الطلاب عام ١٩٣٥

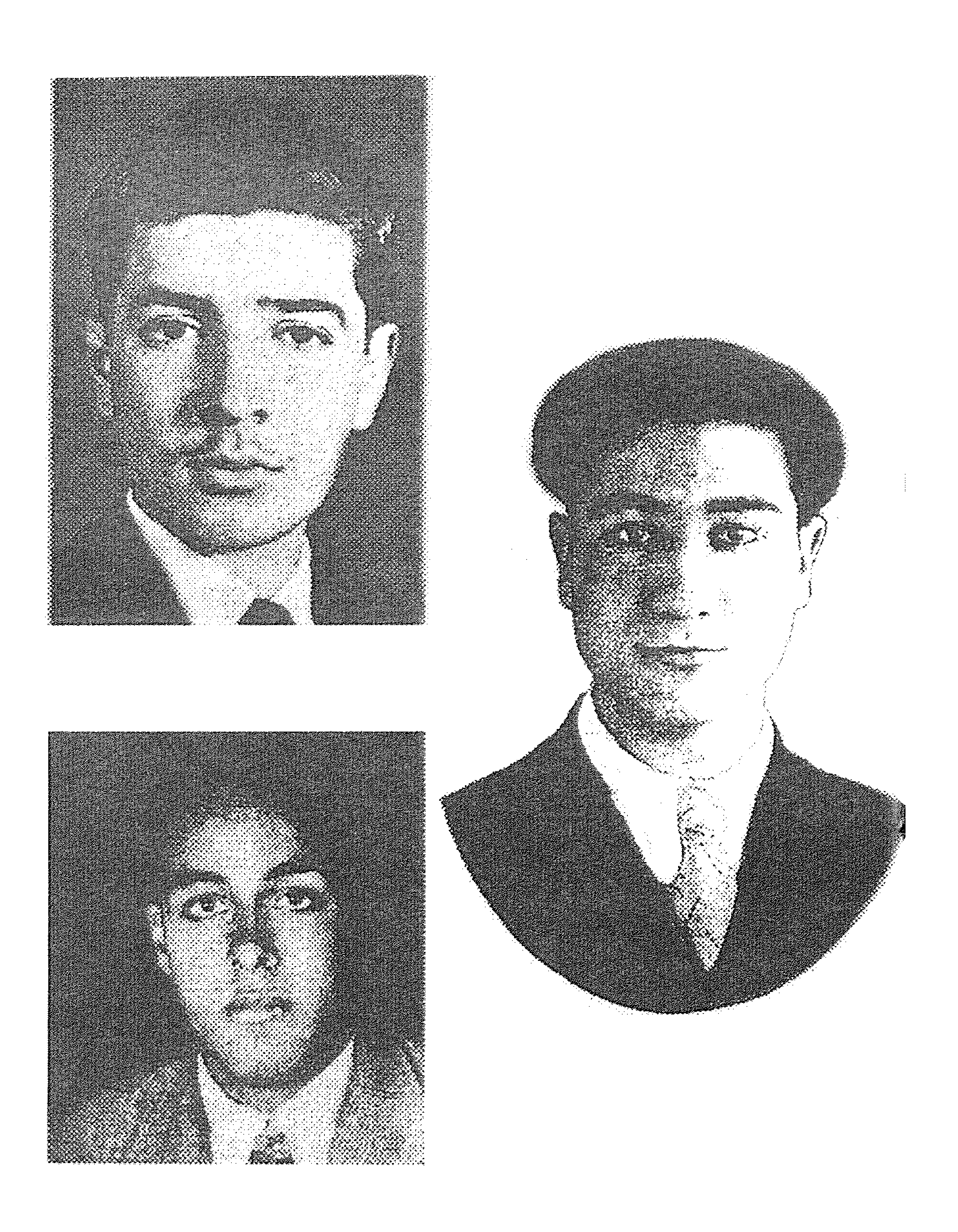


مظاهرات طلاب مصر .. زاد ثورة ١٩١٩ ووقودها الحى





أعلى : جحافل قوات شرطة النظام الملكى تتصدى لمظاهرات الطلاب . وأسفل : البوليس تتصدى لمظاهرة جامعية تأييداً لقضية الشعب الفلسطينى عام ١٩٣٥ .



على اليمين : عبد الحكم الجراحي . شهيد حركة طلاب مصر الكبير و على يساره . أعلى .
لشهيد جواد حسنى (١٩٥٦) . وأسفل . الشهيد عبد المجيد موسى - شهيد عام ١٩٣٥





مفاوضات قادة الحركة الطلابية مع سيد مرعى . أمين الاتحاد الاشتراكى (أحمد بهاء الدين الثالث فى مواجهة الصورة الأولى . وعلى يسار الصورة الثانية)

اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

حرصاً على استمرار الحركة الطلابية الوطنية ووحدتها ونموها وتماديها لعرض مطالبها ومعرفة مسيرتها.

١ – بتوجيه وفد من الطلبة في اللجان الوطنية للكليات وعدد من أعضاء اللجنة الوطنية العليا ومجموعة من أعضاء هيئة التدريس إلى مجلس الشعب لعرض مطالبهم وتساؤلاتهم.

٢ – يستمر الاعتصام.

٣ – إلى أن تنشر الوثيقة الصادرة عن اللجنة الوطنية في الصحف صباح الغد ... وإلى أن تذاع في الاذاعة والتلفزيون مساء اليوم مع بيان من أمانة الاتحاد الاشتراكي تعترف فيه بالحركة الوطنية في احتضانها الممثلة باللجنة الوطنية العليا للطلاب.

٤ – توجيه الدعوة لعقد مؤتمر في يوم ٢/٢١ (يوم الطلاب العالمي) تتشكل فيه اللجنة الوطنية العليا لجميع الطلاب في مصر في قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة.

٥ – مع كفالة الحريات الكاملة لكل من ساهم واشترك وأشرف على الاعتصام.

٦ – تنشر الجامعة ما يعترف فيه باللجنة الوطنية وشرعيتها وإذا لبيت جميع المطالب الواردة في الوثيقة الصادرة يوم ٧٢/١/٢٣ انفضت الدورة الأولى لمؤتمر اللجنة الوطنية لطلاب جامعة القاهرة غداً على أن تستمر اللجنة في اجتماعاتها الدورية للتحضير لمؤتمر عموم مصر.

٧ – توجيه الدعوة للسيد رئيس الجمهورية لحضور افتتاح الدورة الثانية لمؤتمر اللجنة الوطنية في ٢١ فبراير.

اللجنة الوطنية العليا

لطلاب جامعة القاهرة

١٩٧٢/١/٢٣

بيان من اللجنة الوطنية العليا
لطلاب جامعة القاهرة

لقد تدعمت الحركة الطلابية بعد خطاب الأخير لرئيس الجمهورية بعد أن شعرت أنها تشترك مباشرة في تقرير سياسة أكثر جدية وصرامة، وذلك بعد أن استطاعت القوى الامبريالية أن تجرنا معاً في تنميات لا نهائية من المناورات السلبية.

إن هذا التحرك التلقائي للطلاب لا يمكن أن يعبر عن نفسه بصورة جيدة إلا في وجود لجنة وطنية نابعة من هذا التحرك تساعد على تنظيم دوره، ولهذا أصبح واضحاً أن هذه اللجنة نابعة من التحرك التلقائي وليست سابقة عليه. وكان الخط الرئيسي في تكوين اللجنة أن تشمل ممثلي الكليات الذين اختارتهم المؤتمرات الطلابية المنعقدة خلال الأيام القليلة الماضية.

ولئن كانت المهمة الاجرائية الأولى للجنة هي تنظيم مؤتمر يوم الخميس بقاعة ناصر فإن اللجنة بحكم تواجدها كتعبير عن التحرك التلقائي خارج المنظمات الرسمية تعتبر الوحيدة التي يحق لها التعبير عن وجهة نظر الجماهير الطلابية في تحركها الديمقراطي التلقائي وإن كان لا يفوت اللجنة أن تقدر إيجابياً الموقف المشرف الذي وقفته بعض قيادات اتحاد الطلاب والاتحاد الاشتراكي في بعض الكليات.

إن المهمة الموضوعية الأولى للجنة هي تبني عرض الموقف أمام القيادة السياسية، ذلك الموقف الذي تجسد في مجموعة من المطالب المحددة تتمثل فيما يلي:

١ – إيقاف كل المحاولات لعقد حلول سلمية مع الاستعمار الأمريكي الصهيوني وسحب كافة المحاولات السابقة وانتهاج نهج حربي متنامي ضد العدو.

٢ – الاستعداد فوراً في تعبئة جماهيرنا في شكل جيش شعبي تواصله فرق الطلاب والعمال والفلاحين لمواجهة احتمالات الحرب الطويلة ضد العدو.

٣ – تعديل هيكل اقتصادنا كي يصبح اقتصاداً للحرب بأن يركز على الانتاج الحربي وإيقاف الفرص الاستهلاكي وتحميل الدخول الكبيرة العبء الأكبر من المعركة.

٤ – اعلام غير مزيف وديمقراطية غير مزيفة.

كما تجسد الموقف الطلابي في طرح مجموعة من الاستفسارات تتمثل في:

١ – التساؤل عن اتخاذ قرار الحرب بينما الجبهة الداخلية غير معدة.

٢ – التساؤل عن مدى منطق التحرير بالصداقة.

٣ – التساؤل عن مدى العطاء السوفيتي الحقيقي لقضيتنا

صور لبعض بيانات الحركة الطلابية أثناء الانتفاضات الطلابية عام ١٩٧٢





جلسة الاستماع في مجلس الشعب : الطلاب يقدمون مطالب الأمة



قادة الطلاب خلف قضبان الزنازين :

اجتمعوا العشاق فى سجن القلعة .. اجتمعوا العشاق فى باب الخلق



احالة ٥٦ متهمــا

الى محكمـــة امن الـــدولة العليـــا

بتهمـــة الاشتراك فى حوادث الطلبـــة

احالت نيابة امن الدولة العليا امس ٥٦ من المتهمين فى حوادث الطلبة الى محكمة امن الدولة العليا لاشتراكهم فى حوادث طلبة والتدبير لها خلال العام الماضى وفى شهر فبراير من هذا العام .

ووجهت للمتهمين التهم الآتية :

● اذاعة اخبار وبيانات وشائعات كاذبة وبث الدعايات المثيرة لتكدير الامن العام وتوزيع المنشورات التى تتضمن التحريض على قلب نظام الحكم فى مصر العربية .

● تحريض الطلاب على الامتناع عن تلقى الدروس والقيام بمظاهرات داخل الجامعة وخارجها .

● الاشتراك فى اتفاقات جنائية لارتكاب هذه الجرائم .

بين المتهمين ٢١ طالبا بجامعة القاهرة و ١٥ طالبا بجامعة عين شمس و ٨ بجامعة الاسكندرية و ٣ بالمعاهد وواحد بالازهر وطالب ثانوى واثنان بالجامعة الامريكية والصحفية صافيناز كاظم وزوجها شاعر العامية احمد فؤاد نجم واثنان من العمال .

وقد احال محمد حلمى راغب رئيس نيابة امن الدولة كلا من :

الاهرام

« ارادة أمــــة »

ليست موضع مناقشة ولا مساومة مع امريكا ولا مع غير امريكا

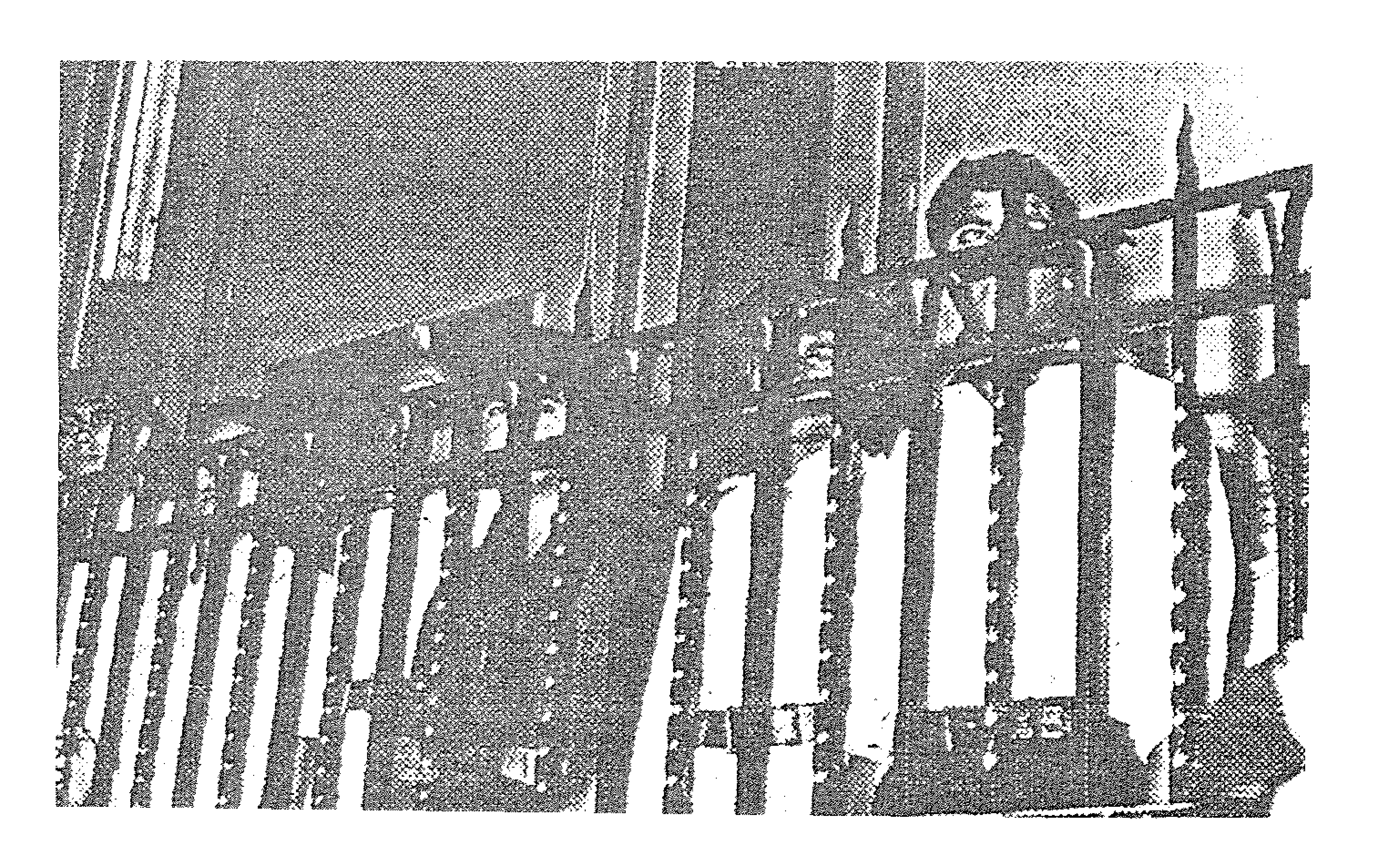
ليس هناك تعديل فى الميثاق وليس هناك عدول عن الاشتراكية

يسحب كل القضايا المتصلة بالشباب من امام المحاكم

بعودة جميع الصحفيين المبعدين عن العمل الصحفى

القذافى وصل الى

قرار الاتهام الموجه لقادة الحركة الطلابية . والصفحة الأولى من جريدة الاهرام تحوى خطاب السادات بمناسبة الانتفاضات الطلابية

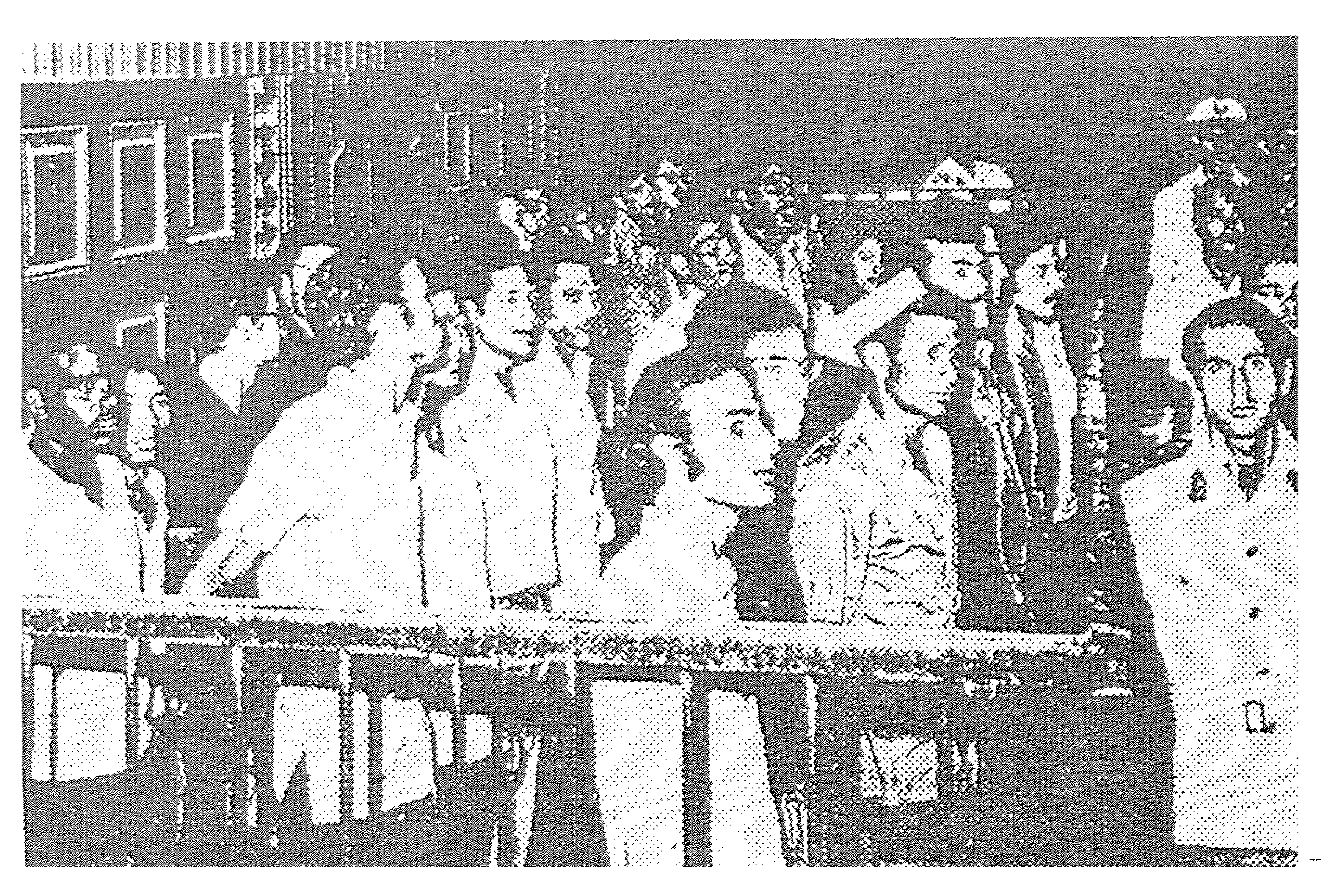


امهات المناضلين : صمود رغم الألم زاد الطلاب صلابة



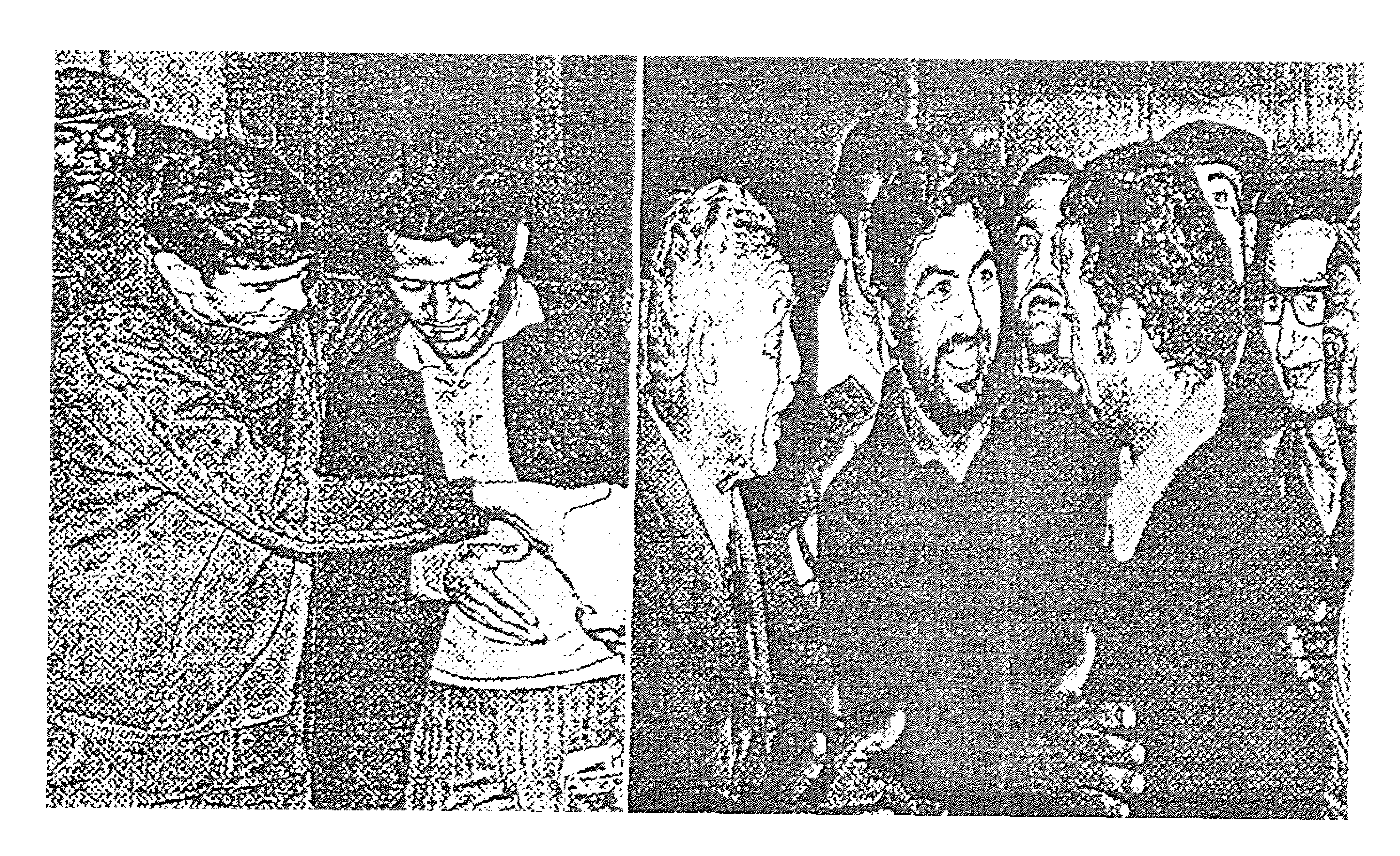
من وقائع محاكمة قادة الحركة الطلابية : خلف القضبان ومرافعة المحامين





فى محاكمة قادة الانتفاضة الطلابية (يناير ١٩٧٢) . ويبدو أحمد بهاء الدين أعلى يسار الصورة الأولى وأحمد عبد الله فى منتصف الصورة الثانية . (مشاراً إليهما بسهمين)





أحمد هشام - محمد الشبه - سمير غطاس - أحمد شرف الدين وكمال خليل ..

خارجون إلى الحرية من معتقل القلعة وليمان طره عام ١٩٧٢



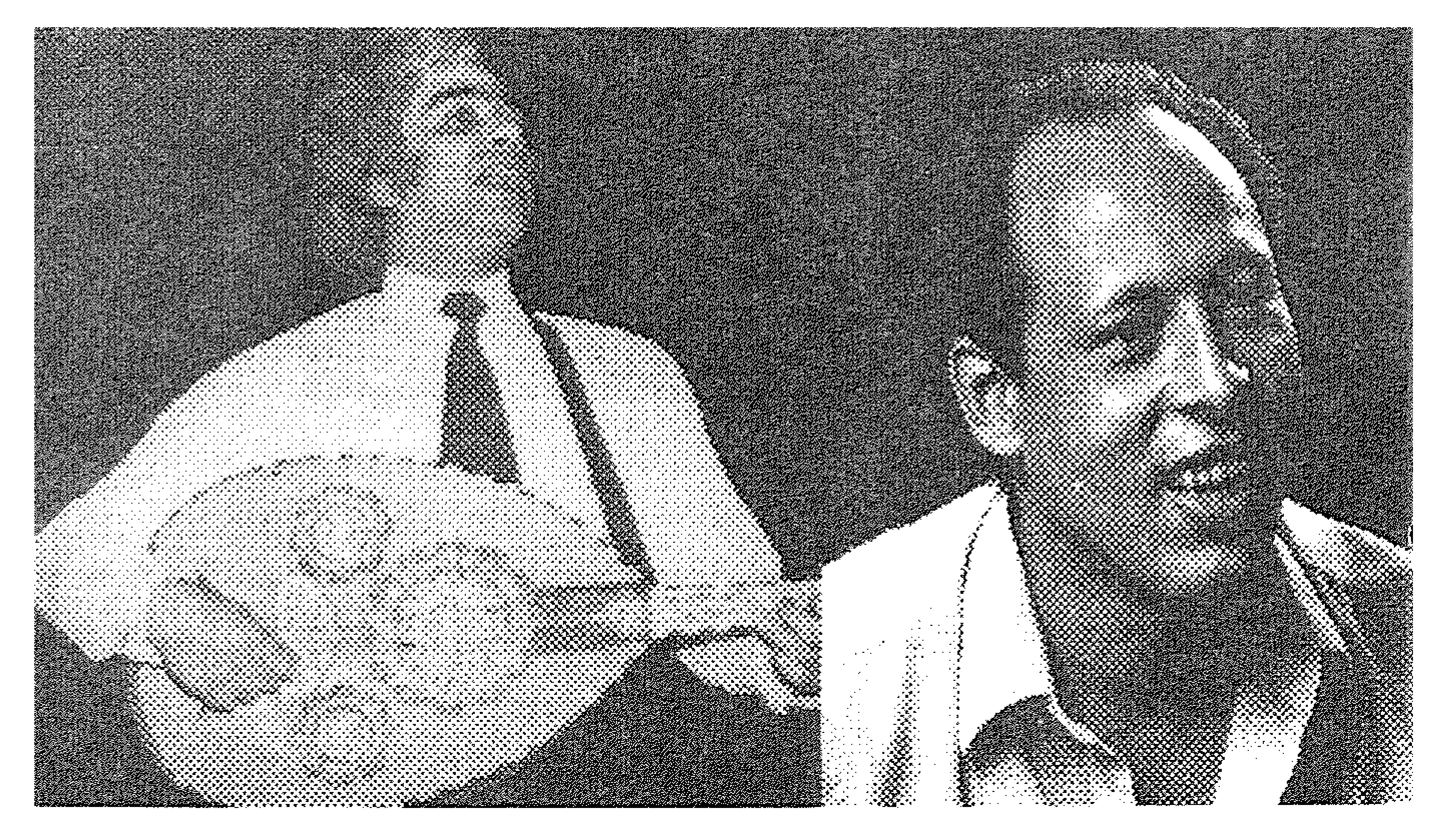


مظاهرات طلابية حاشدة .. والأمن المركزى فى المواجهة

عفاف مرعى (الدكتورة) تتقبل تهانى زملائها بفرحة الخروج من المعتقل

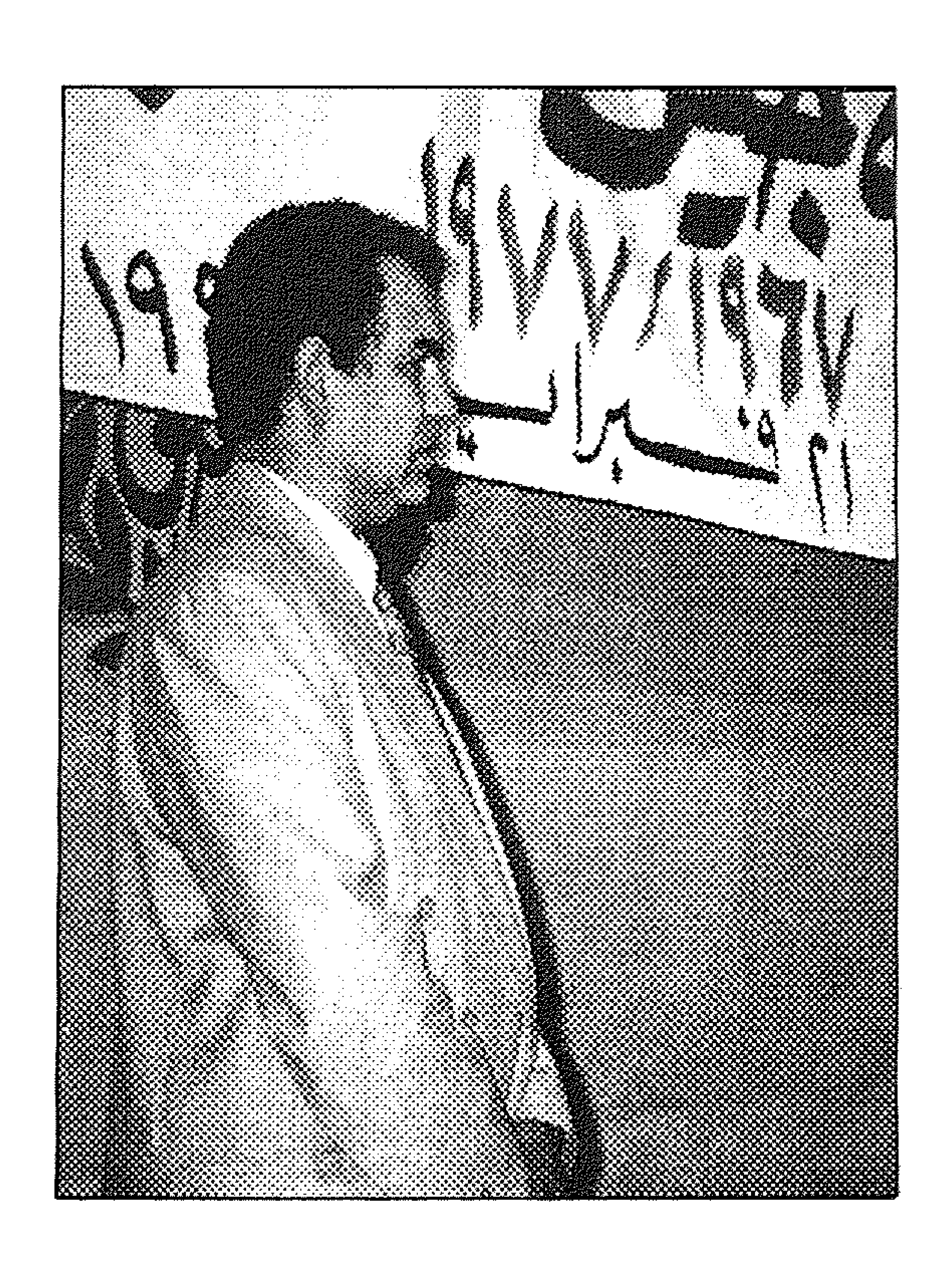


طلاب مصر يحرقون العلم الاسرائيلى والأمريكى أمام الحرم الجامعى



لعب الفن الثورى دوراً رائداً خلال فترات الانتفاضات الطلابية :

الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم وزين العابدين فؤاد وعدلى فخرى مناضلون بالكلمة واللحن فى معركة الثورة والحرية .



أحمد بهاء الدين فى المهرجان الختامى لإحتفالية جيل السبعينات بمناسبة
مرور ٢٥ عاماً على انتفاضات الطلاب الوطنية الديمقراطية (١٩-٢١ فبراير عام ٩٧

● أولادى ... القاعدة الطلابية سليمة ... همّا تلاتين واحد بس اللى أفسدوها ... أنا عاوزهم !! (**أنور السادات خطاب بعد نتفاضة ١٩٧٢**)

● أنا شفت شباب الجامعة الزين
أحمد وبهاء والكردى وزين
حارمينهم حتى الشوف بالعين
وف عز الضهر مغميين
عيطى يابهية على القوانين

(أحمد فؤاد نجم - بكائية يناير)

● هذا الجيل فى نظرى يُعتبر جيلاً متفرداً .. جيل "أحمد عبد الله" و"علاء حمروش " و "أحمد الجمّال" و "أحمد بهاء الدين شعبان" .. هذا الجيل الذى قاد الحركة الطلابية فى السبعينيات ... أين هم الآن !!؟!

(چورج اسحق - جريدة الشعب ١٠/١٢/١٩٩٦)

يا بهاء ..

● مش بنكبر بالسنين
إنما بعدد البنين
والبنات
اللى بتردد غُنانا
كل يوم
فى الحارات

(زين العابدين فؤاد - الحلم فى السجن)

● كلما جمعتنى ندوة أو مؤتمر بأحمد بهاء ... أتذكر يوم اقتحام قوات الأمن للحرم الجامعى لفض اعتصام الطلبة والذى كان بهاء أبرز

قياداته .. حيث أوقف مجزرة حقيقية بحكمة وتعقل يفوقان عمر الفتى آنذاك .. وقف بهاء على باب المدرج الذى اصطفت سيارات الترحيل أمامه ليخرج الطلاب واحدا واحدا .. يسلم على المقبوض عليه قائلا : تحمل هذا من أجل مصر .

وبالرغم من انخراطه فى مجال الأعمال الخاصة إلا أن " راهب الحركة الطلابية " كما كان يُسمى لم يفقد علامات الاتجاهات .. ولم يفقد أى قدر من اهتمامه بقضايا وهموم مصر .. ولم تلتبس عليه الأولويات .. فركز جهوده فى مقاومة التطبيع ودراسة العدو الصهيونى ..

لم يغب بهاء عن الساحة كما غاب كثيرون من زملائه .. فأمثال هذا الرجل لايغيبون .. إلا إذا غابت مصر .. ومصر لن تغيب .. ما بقيت المآذن وأبراج الكنائس .. وحى الحسين والسيدة .. ومزارع القطن .. ومثقفون مثل المهندس أحمد بهاء الدين شعبان .. وجنود كسليمان خاطر .. آذان يُرفع خمس مرات كل يوم .

(خالد يوسف - جريدة الشعب - ١٩٩٦/١١/١٢)

- نهران صنوان أنت :
  فتى طريقنا تُـراك ،
  أم تراك شيخنا الجليل !
  وليدنا الطرىَّ كنت .
  أم شهيدنا القتيل
  يـا بهاء
  يا غزالة لا يرى دماءها السفهاء
  وحيدٌ فى شعاعك الوحيد
  وكثير فى خفوق شعبك الأصيل

  أيها الساخن الظليل
  يـا دلالة
  ودليل

(حلمى سالم - سيرة بيروت)

صورة الغلاف : احتلال الجماهير لميدان التحرير
يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢ عقب اعتقال قادة الحركة الطلابية

هــذا الكتــاب

حين يتنادى الرعيل الذى شارك وقاد وتحمل مسئوليات وتبعات الانتفاضات الطلابية الثورية التى وسمت عقد السبعينيات المنصرم بطابعها . إلى الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على وقائعها . يصبح من الضرورى أن يقدم كل منا ما يستطيع . احتفاءاً بهذه المناسبة الجميلة والجليلة . وتجديداً لذكرياتها . ولخبراتها ودروسها . فهى وإن كانت قد أثرت فى أعماق جيل بأكمله . وتركت - ولا زالت تترك - بصماتها الجادة على وعيه وانتماءاته وانحيازاته الوطنية والاجتماعية . فلا يعنى ذلك أنها حدث تاريخى وانقضى ثم انتهت آثاره إلى غير رجعة . على العكس تماماً . فهى ككل الأحداث التاريخية الكبيرة . أثرت . وستظل تؤثر . فى مسار الوطن واختياراته التاريخية لعقود طويلة من السنين . ومن هذا المنطلق . كان واجباً على كل من أتاحت له الظروف معايشة جانب من وقائع هذه المرحلة الهامة . أو أتاحت له الأحداث معاينة ملابساتها . أن يقول كلمته بقدر ما تتيح له إمكانياته فى التعبير . متوخياً الأمانة والدقة والصدق قدر الاستطاعة . حتى نساعد - على الأقل - من يريد من المتخصصين والمحللين . ربما فى فترة تالية أرجو ألا تتأخر كثيراً . على إنجاز ما تستحقه تلك الحقبة من دراسات موضوعية وعملية تستخلص العناصر الرئيسية لها . وتسجل - لصالح الأمة - أبرز علاماتها وإنجازاتها . وأيضاً نقائصها وسلبياتها . دونما تحيز أو غرض . اللهم إلا ابتغاء وجه الحقيقة . التى هى فى نهاية المطاف الحق ذاته .



أحمد بهاء الدين شعبان

* من مؤسسى " جماعة أنصار الثورة الفلسطينية " فى مقتبل السبعينيات وأمين " نادى الفكر الاشتراكى " المنظمة الديمقراطية المتقدمة التى تشكلت فى الجامعة عام ١٩٧٦.
* ساهم فى تنظيم وقيادة الانتفاضات الطلابية الوطنية فى السبعينيات .
* انتخب عضواً باللجنة الوطنية العليا للطلاب
* اتهم بالمشاركة فى تفجير الانتفاضة الجماهيرية يومى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧
* عايش المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية بلبنان حتى الغزو الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢ .
* عضو أمانة "الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل "
* ساهم فى تأسيس "مركز جيل السبعينيات"

* من مؤلفاته :

١- ٤٨ ساعة هزت مصر .

٢- النفط العربى والاستراتيجية الامريكية .

٣- الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠

٤- اتفاق غزا أريحا



(بالأشتراك مع أ. نادية رفعت)

٥- حاخامات وجنرالات .



مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

٤ ش ٩ ب - المعادى - ت : ٣٧٥٢٠٣٣ فاكس : ٢٧١٣١٧٩